وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانيةوالاجتماعية
قسم التاريخ

العنوان:

# الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية

## الجنوب الشرقي الجزائري (1844-1882م)

مذكرة نهاية الدارسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبات:

- رابحي فاطمة
- قرزو أم هاني

إشراف الأستاذ:

- سعودي أحمد

لجنة المناقشة:

| رئيس اللجنة | الاستاذ المشرف | الاستاذ المناقش |
|---|---|---|
| د:محمود علالي | د:احمد سعودي | الأستاذ:عيسى بوقرين |

السنة الدراسية:2016-2017.

# شكر وعرفان

أولا وقبل كل شيء نشكر الله ونحمده كثيرا لجلاله وعظيم سلطانه على توفيقه وعطائه على نعمة التي لا تعد ولا تحصى سبحانه علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم : أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ المشرف احمد سعودي على حسن توجيهاته ونصحه وتعبه معنا من خلال تتبعه لانجازنا هذا العمل المتواضع راجين من المولى عز وجل أن يبلغه المقاصد لما فيه الخير والسداد

كما نشكر الأستاذ بوقرين عيسى الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ومعلوماته جزاه الله عنا خير الجزاء ، كما نشكر جميع أستاذة قسم التاريخ على ما قدمناه لنا خلال تحصيلنا الدراسي

كما نشكر كل من علمنا حرفا من الطور الابتدائي إلى الطور الجامعي وبه نتقدم بالشكر والعرفان إلى الطاقم الإداري بمتحف المجاهد بولاية الاغواط على ما قدموه لنا في انجاز هذا العمل ، كما نشكر كل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة

نسأل الله تعلى أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه كريم مقبولا

عنده وان يذخره لنا في صحائف أعمالنا

فهو نعم المولى ونعم النصير .

فاطمة + أم هاني

# إهداء

إلى مولاي وخالقي وولي نعمتي وموفقي في مشواري الدراسي إلى من أنار دربنا رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم إلى شهدائنا الأبرار

هاهي رحلتي تجوب آخر محطاتها لتصل إلى شاطئ الأمان ولتحط من جديد في مسقط رأسي تاركة ورائي أجمل الذكريات

اهدي ثمرة جهدي هذا إلى من وضعت الجنة تحت أقدامها إلى صاحبة أول اسم نطقت به شفتاي وأعذب التقطته أذناي إلى منبع الحنان إلى نور الذي أعيش به واليه إلى مصدر العطاء ، إلى من بعثت في نفسي الطمأنينة والأمان إلى من لا أنسى فضلها على طول الزمان والى تلك العيون التي سهرت من أجل أن تشرق عليا شمس الأمنيات إلى خليلتي الغالية المكافحة الصامدة أمي الغالية

إلى رمز الثبات وقدوتي في الحياة ناصحي ومرشدي في كل خطوة أخطوها إلى الذي رباني فأحسن تربيتي إلى من أحاطني بأساور الرعاية ولقنني مبادئ الأخلاق والهداية فكل كثر في حقد قليل وكل عظيم في شأنه حقير إلى عوني وسندي في الحياة أبي الغالي

إلى نور عيني ومهجة قلبي إلى أغلى الناس إلى من غرسوا في قلبي حياة الأمل بلا ملل إلى المعدن الصافي الذي أرى فيهم نفسي إخوتي رابح ، أنور ، ابراهيم الخليل ، سيف الدين .

إلى شموع العائلة الطيبة إلياس عبد الرؤوف ، رابح ، ريتاجّ ، مريم ، هيثم ، يقين ، يسرى ، محمد ، عثمان ، يوسف ، فاطمة الزهراء ، عزالدين ، هاجر ،فاطمة ، تنسيم ، إسماعيل ، ابراهيم ، والكتكوت رياض ، أشواق ، إكرام إلى كل أفراد عائلتي كل باسمه

إلى من تقاسمت معي عناء هذا الجهد المتواضع رفيقة دربي أم هاني قرزو وعائلتها الكريمة وخاصة زوجها وأولادها ريان ،ابتهال ، وسيم

إلى من جمعتني بهم الأقدار إلى من وجدت فيهم الأنيس في غربتي والرفيق في وحدتي فضيلة ، فريدة ، سمية ، مليكة ، فاطمة ، فتيحة ، خيرة ، سارة ، فاطمة ، فاطمة (ط) سعدية ، فايزة ، فاطنة ، فضيلة ، إلى كل أعمامي وعماتي وخالاتي وأزواجهم وأولادهم

إلى كل من يعرف فاطمة من قريب أو بعيد على بعيد على وجه الخصوص زملائي طلبة قسم التاريخ وخاصة الفوج 03

إلى من قاسمني عناء هذا البحث وكان نعم الصديق إسماعيل بن عيشة وعائلته الكريمة وخاصة الغالية فاطمة

الى كل دفعة 2016 /20017 إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

الى كل من عرفني الى جميع سكان قصر الحيران

الى الجزائر الحبية

فاطمة

# قائمة المختصرات

تح: تحقيق

تر: ترجمة

د تن: دون تاريخ النشر

ع : عدد

س : السنة

ط : طبعة

ج : جزء

ص : صفحة :

مم ك : المؤسسة الوطنية للكتاب

د س :دون سنة طبع

# مقدمة

منذ البدايات الاولى للاحتلال الفرنسي للجزائر سنه 1830م ،عملت السلطة الاستعمارية على وضع استراتيجية من للتغلغل في عمق الاراضي الجزائرية، بهدف بسط النفوذ واستكمال مشروع التوسع نحو مناطق الصحراء الجزائرية وقد اعتقد الفرنسيون بعد سقوط مدينة الجزائر انهم سوف يسيطرون على بقية المناطق الاخرى خلال ايام معدودات .الا ان السلطة الاستعمارية تفاجأت بوجود مقاومة عنيفة وشرسة من طرف الشعب الجزائري في مختلف مناطق الوطن... مما أخر عملية توسعها وفرض سيطرتها الى غاية 1916م، حيث تم إخضاع كل الاراضي الجزائرية بعد القضاء على المقاومات الشعبية، و في ذات السياق نجد من ضمن المناطق الصحراوية التي تركت بصماتها النضالية ضد التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية مناطق الجنوب الشرقي المتمثلة في كل "من بسكرةالاغواط،تقرتورقلهوادي سوف" التي أبدت المقاومات الشعبية فيها منذ سنه 1844 حيث يعتبر هذا التاريخ البداية الفعلية الفرنسي نحو عمق الصحراء الجزائرية،لكن السلطة الاستعمارية استطاعت ان تقضي على هذه المقاومات بفضل تعددها العسكري من جهة بفضل جواسيسها وعملائها المنتشرين في منطقه الصحراء من جهة اخرى ناهيك عن سياستها القمعية المفروضة على الاهالي التي نتج عنها تدهور في الحياة الاجتماعية والاقتصادية حيث انتشر الفقر وضربت المجاعة اطنابها في مختلف القبائل البدوية، وسلبتالأراضي من أهلها بسبب تراكم الديون وغيرها من النتائج السلبية وعليه يمكن القول بأن هذا الموضوع الذي يعالجه اليوم درس بأشكال ضئيلة تتخللها تغيرات تاريخية وبرؤى تخدم أغراض الاستعمار الفرنسي في الجزائر ،لذلكيدخل هذا الموضوع ضمن إطاروضع تاريخنا المحلي والوطني على مائدة البحث لإعادة كتابته بطريقة علمية تتوخى الدقة والموضوعية لإبراز الحقائق التاريخية النزيهة والبعيدة عن الأغراضوالنوايا الاستعمارية. وبذلك نحمي تاريخنا من التزوير و التشويه، ونظمن إيصاله إلى الأجيال الصاعدةأمانة وباللغة الوطنية ليتمكن قراء اللغة العربية من الاطلاع على جانب مهم من تاريخنا المعاصر.

- **أسباب اختيار الموضوع :**

تعتبر مناطق الجنوب الشرقي الجزائري دراسةسيمونوغرافية من المساحة الجغرافية التي تشمل المنطقة الأغواط شمالا الى تمنراست غربا ومن اليزي شرقا إلى عين صالح غربا، واختيارنا لهذا العنوان لسبب واحد وهو حجم مناطق الصحراء (الجنوب الشرقي) في المقاومة الشعبية السياسية لا يتناسب مع حجم البحوث المتخصصة لها، لكون اغلب الدراسات التاريخية حول الصحراء الجزائرية نجده قد كتب بأقلام استعمارية، وكل ما كتب بأقلام وطنية فهو قليل جدا مقارنة ما كتب من طرف الرحالة والمؤرخين الأجانب...،وفيإطار تجميع المادة التاريخية وقفنا على الزخم الكبير من الأحداث التاريخية التي جرت في مناطق الجنوب الشرقي الصحراء الجزائرية كل منطقة فيها تحتاج إلى دراسة علمية مستقلة.

**أسباب تحديد الموضوع الإطار الزماني 1844م-1882م:**

1- ان بداية هذه الفترة1844 تعتبر منطلقا للبداية الفعلية للتوسع الاستعماري نحو عمق الصحراء الجزائرية الجنوب الشرقي خاصة. حيث كان الاستعمار يعمل على بسط نفوذه وفرض سيطرته في كامل أرجاء الوطن الجزائري.

2- لاحظنا أن هذه الفترة من تاريخنا قد تناولها الغربيون من وجهة نظر لا تخدم الحقيقة التاريخية وان أكثر ما يميز الحقيقة هو توسع الاستعمار الفرنسي نحو الجنوب بعد فشله في الشمال .

3- إن توسع الاحتلال الفرنسي نحو الجنوب الشرقي الجزائري ومد سيطرته إلى تونس ثم المغرب معناها تركيز حكمه وتدعيم سلطته في الجزائر كقاعدةأماميةارتكازي في المغرب العربي وإفريقيامعا.

4- تعتبر هذه الفترة منعرجا تاريخيا هاما في حياة الجزائر حيث وصل الاستعمار الفرنسي بالجزائر إلىأوج قوته واطمأن على وجوده في المنطقة بصفة دائمة رسمية بينما بدأت فيها بذور المقاومة التي أفشلت مشروعه.

5- تمثل سنة 1882تاريخ السيطرة الفعلية على منطقة ورقلة من طرف السلطات الفرنسية.

**أهمية الدراسة و أهدافها:**

**أهمية الدراسة:**

أن تتبع مسار تاريخ مقاومة سكان منطقة الصحراء الجزائرية(الجنوب الشرقي) ضد الاستعمار الفرنسي و استعراض أهم مظاهر السياسة الفرنسيةوأثرها على المجتمع الجزائري و موقف السكان من المشاريع الاستعمارية له أهمية كبرى في الدراسات التاريخية المعاصرةلأنه مثل هذه الدراسات تقدم لنا المادةالأولية التي يمكن أن نستخلص منها الخطوط العريضة للتطور التاريخي للبلاد، ما تكتسي هذه الدراسة من أهمية من حيث سد الفراغ في جوانب كثيرة للعديد من الأحداث التاريخية التي وقعت في صحراء الجزائر، كالنشاط السياسي و العسكري خصوصا في الجنوب الشرقي الجزائري.

**أهدافها:**

تهدف هذه الدراسةإلى:

1/ إثراءالمكتبة الجزائرية كتابات حول تاريخ الصحراء الجزائرية

2/ المحافظة على الميراث التاريخ لمنطقة الجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية

**إشكالية الدراسة:**

إن دراسة منطقة الجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية،على امتداد فتره الاحتلال الفرنسي يعد جانب كبير من الأهمية وهو يطرحالإشكالية التالية:

- تطرح نفسها ماهي ابرز انعكاسات التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي:

لتوضيح هذه الإشكاليةأكثر يمكننا طرح التساؤلات التالية والتي سنحاول من خلالها أن نصل إلى بعض الإجابات، محاولة منابلوغ نوع من المعرفة لما كانت عليه الصحراء خلال الحقبةالاستعمارية:

*هل يمكن اعتبار تنوع الخصائص الطبيعية والبشرية في مناطق الصحراء (الجنوب الشرقي الجزائري) كانت وراء الاهتمام الفرنسي بالمنطقة؟

*كيف كانت الأوضاع العامة قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة:

الصحراء(الجنوب الشرقي)، وهل كان لها دور في تسهيل عملية الاحتلال؟

*ماهي مجريات عملية الاحتلال الفرنسي؟ وهل كانت ردود الفعل عند السكان بالقابلية للاستعمار القابلية للاستعمار أوبالتصدي للمقاومة؟

*ما مدى انعكاسات السياسةالاستعمارية على الصحراء (الجنوب الشرقي)وسكانها

*ماهي أهم المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية؟ وكيف واجه سكان الصحراء هذه المشاريع؟

*كيف كان موقف الطرق الصوفية من التواجد الفرنسي في الصحراء الجزائرية(مناطق الجنوب الشرقي الجزائري)

**المناهج المعتمدة:** بالنظر لطبيعة الموضوع فقط معتمدا على ثلاث مناهج حسب ما تطلبه طبيعة كل يبحث من المباحث وهي كالآتي:

**1/المنهج الوصفي:**اعتمدناه في استعراض ووصف الوقائع التاريخية، لكون أن الدراسة احتوت على جملة من الأحداث.

**2/المنهج التاريخي التحليلي:** استخدمناه في عرض وتحليل اهتمامات السلطةالاستعمارية بمنطقة الصحراء الجنوب الشرقي الجزائريوأهدافها و خلفياتها، واستنباط النتائج المترتبة عن السياسةالاستعمارية من اجل الوصول إلىأهدافها الحقيقيةوخفاياها الباطنية....

**3/المنهج المقارن:**اعتمدناه هو الآخر في عدة جوانب من الدراسة خاصة فيما يتعلق بتداخل الوقائع التاريخية، كلمة،كالمعارك، المسميات، اختلاف الأوراق،الروايات الشفوية.

خط البحث يستعمل هذا الموضوع على مقدمة فصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة معتمدين على مجموع من المراجع والمصادر لقد اعتمدنا العديد من المصادر والمراجع في انجاز هذا العمل من أهمها الصروف في تاريخ واد سوف لصاحبه العوامر كما استفدنا من كتاب الاحتلال في واد سوف وكذلك تاريخ العدواني لصاحبه العدواني والذي أفادنا في أصول السكان في الجنوب الشرقي وكذلك الاحتلال في العديد من المناطق . أما عن الخطة المرسومة للبحث فهي كالتالي:

**أولا:** الفصل التمهيدي وهو أرضية ندخل منها للموضوع وذلك بإعطائه الحيز الجغرافي من موقع ومساحةوظروف مناخية ونباتية حيوانية والنشاط البشري، عن منطقة الصحراء "الجنوب الشرقي الجزائري"

**ثانيا:** الفصل الأول: هو اهتمام فرنسا بالصحراء بعد ما كشف الانجليز والألمان من إرسال البعثات الاستكشافيةإلى الصحراء خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر فاهتمت فرنسا في البداية بما كتبه الرحالون العرب المسلمون عن الصحراء كابن حوقل ، والإدريسي، ابن بطوطة، حسن الوزان...،وغيرهم ثم حاولت فرنسا معرفة الطرق الصحراوية

التي تخترقها من الشمال إلى الجنوب أو من الشرق إلى الغرب وأوفدت العديد من المغامرين إلى الصحراء الذين قدموا معلومات هامة ساعدت فرنسا فيما بعد على توسعها في الصحراء.وشرحنا دوافع فرنسا السياسة من إمبراطوريتهاالاستعمارية وترسيخ نفوذها واحتلالها للصحراء و بنيت الأعمال الاقتصادية التي أدت بها إلى هذه المغامرة لتستغل ما يمكن استغلاله من خيرات هذه المناطق الشاسعة.

ثالثا: الفصل الثاني: الذي يعتبر جوهر الدراسةلأنه يبين مراحل الغزو الفرنسي للجنوب الشرقي الجزائري من 1844إلى غايةثورة ورقلة 1882

رابعا:الفصل الثالث نتناول فيه اهم الثورات الشعبية التي عرفتها منطقة الجنوب الشرقي اما الخاتمةوذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها على الخصوص أن الجنوب الشرقي الجزائري منطقةإستراتيجيةفي ربط مستعمرات فرنسا ترجمة عن كونها غنية بالموارد الاقتصادية الزراعية ومنها المعدنية ثم ما نتج على هذا التوسع من حرمان وفقر وظلم للجزائريين

**الصعوبات:**

وقد اعترضننا الكثير من الصعوبات عند التصدي لهذه الدراسة منها البحث عن الوثائق والمصادر جمعها و مقارنتها و ترجمتها صياغتها.

لم نعثر خلال هذه الدراسة بحث شامل للتوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري بصفة عامة، والجنوب الشرقي خاصة وإنما وجدت بعض المذكرات الملاحظات والتسجيلات بضباط فرنسيين ومنها كتاب الجنرال "مينيه" MEYNE هدوء الصحراوي90/52 وهي ملاحظات سطحية حول بعض رواد البعثات الاستكشافية للصحراء منذ احتلال الاغواط سنة 1853 م إلىالفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى.بالإضافةإلى كتاب "اوغستان برنار" بالاشتراك مع الضابط "لاكروا" التوغل الصحراوي (1830-1906) وهو دراسة مركزة حول البعثات الاستكشافية الفرنسية للصحراء من احتلال الجزائر إلى نهاية القرن 19 والتي لم تحقق نتائجها المرجوة وكتاب "قوتيية" "غزو الصحراء" وضع فيه أهمية الصحراء الجزائرية و دورها في ربط المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا، وتتبع فيها غزو الواحات في الجنوب الجزائري... وعليه يدخل هذا الموضوع ضمن تصور شامل للاحتلال الفرنسي للجزائر وتوسعه في الجنوب الشرقي، وما قام به من تقتيل وحرق وتدمير ليكرس وجوده في مضارب البلاد البعيدة عن بلاده، نرى أن الاحتلال الفرنسي هو تساؤل كل جزائري حول كيفية تمكن هؤلاء الغزاة من السيطرة على البلاد والعباد تولي أمور السكان بكل حيف وظلم.

# الفصل التمهيدي

# الخصائص الطبيعية والبشرية

# للصحراء الجزائرية

منذ وصول فرنسا الى الجزائر عملت على بسط نفوذها على كامل شمال افريقيا ولن يتسنى لها ذالك الا باحتلال الصحراء الجزائرية.

السؤال الذي يطرح نفسه: ماهي الأسباب التي جعلت فرنسا تتمسك بهذه الأرض القاحلة؟ فيمكن إرجاع هذه الأسبابإلى ما يلي:

1. استغلال الصحراء بالكيفية المعروفة،أي استعمارها اقتصاديا وذلك بفتح الأبوابأمام الشركات الأجنبية
2. ترى فرنسا في احتلال الصحراء بالقوة أمرا استراتيجيا ضروريا وذلك ليحولوا دون وصول الأسلحةإلى الشمال الإفريقي عن طريق الحدود الليبية المغربية.

إن موضوع الصحراء الجزائرية وما تشمل عليه من كنوز أصبحت الشغل الشاغل لكل الباحثين لأنها تعتبر منبع خير مبعث ثروة وأمل المستقبل لهذا يجب علينا أننلقي نظرة على هذا الجزء من ترابنا الوطني.

وفي هذه الدراسةسنقدم صورة شاملة عن صحرائنا سواء من حيث طبيعتها أو ثرواتها أومن حيث موقعها الاستراتيجي أو من حيث عمقها التاريخي...

## 1. الموقع الجغرافي للصحراء الجزائرية:

### ✓ حدود إقليم الصحراء:

يعد الجنوب الجزائري جزءا من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا،إلى البحر الأحمر شرقا، ومن الجبال الأطلسي شمالا، إلى بلدان الساحل جنوبا. وتعطي الصحراء الكبرى مساحه ثمانية ملايين كلم$^2$.يشترك فيها كل من جنوب المغرب وتونسوالجزائر وليبيا وشمال مصر وغرب موريتانيا، ومالي والنيجر والتشاد وجنوب السودان[1]

أما مساحة الصحراء الجزائريةفتبلغ1987600 كلم$^2$، وبذلك تحتل مساحة واسعة تجاوزت نسبتها 90 % من مساحة القطر الجزائري .والصحراءفي تركيبها الجغرافي ابسط من المنطقة التلية[2]أن لا نجد بها جبال متقطعة ولا المرتفعات المعقدة ولا السهول الضيقة المحصورة،ولكن نجد السهول التحياتية الواسعة،والأحواض المغلقة، والجبال شديدة الانحدار، والعروق الرملية المتنقلة. [3]

[1]- عميراوي أحميدة ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916 ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2009 ، ص 10

[2]- انظر الملحق رقم 01 ص

[3]- عبد القادر حليمي ، جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، دمشق ، 1968 ، ص 56

## 2. التضاريس:

يتميز السطح الصحراء ببنية تضاريسية بسيطة ومتنوعة في أشكالها المورفولوجية والتي تبرز الوحدات الأربعة الأساسية الآتية:

تتمركز الصحراء المنخفضة في الجزء الشمالي الشرقي وتتميز بمنخفض بـ 31متر عن مستوى سطح البحر بينما الأراضي المجاورة لايزيد سطحها على ارتفاع 41متر مائي ولهذه الأراضي أهمية اقتصادية تتمثل في انتشار الواحات واحات الزيبان شمالا وواحات واد سوف ووادي ريغ جنوبا كما أنها تزخر بكميات معتبرة من المياه الوفية و البترول [1]

- **السهول الرملية :**

تحتل مساحات واسعة من الصحراء وتتمثل في العرق الشرقي الكبير و العرق الغربي الكبير إلى جانب عروق أخرى ثانوية كعرق الشاش ...الخ كذلك تتمثل في تضاريس الرق وهي صحراء حصوية تكاد تكون خالية من مظاهر الحياة

- **الهضاب الصحراوية :**

هي في معظمها ذات تكوينات صخرية ومنها هضبة الحمادة التي تمتد في الجزء الشمالي من الصحراء إلى جنوب السلسلة الأطلسية ، هضبة "تادمايت" الكريتاسية الفسيحة و الممتدة في وسط الصحراء بين دائرتي العرض 27°و30° شمالا ، وترتفع إلى علوينا هزة 600متر وقد غطتها على إمتداد مئات الكيلومترات من الشمال إلى الجنوبطبقة من اللون الأحمر القديم ويعلوها غطاء صحراوي حديث أثرت فيه إلى كبير الرياح وإن كانت تدفقات السيول قد شاركت في تكوينه.

- **المرتفعات القديمة :**

تتمركز في الوسط بالجنوب الشرقي وتمثلها منطقة التاسيلي ، ومنطقة الهقار ، فالأولى عبارة عن صخور من صلصال الرمال شاهقة ومرتفعة ، أصبحت تعد من أهم سجلات التراث الإنساني في العالم بعد العثور بها على أقدم الرسومات المعبرة عن حياة ومناخ المنطقة في القدم ...

أما الثانية فهي مرتفعات واسعة المساحة حوالي 5000 كلم$^2$ معظمها من الصخور القديمة البركانية التي تعرضت إلى النحت ، ورغم ذلك لاتزال بها قمم عالية .تقارب 3000 متر كقمة تاهات التي تبلغ 2918متر وهي أعلى قيمة جبلية في الجزائر .[2]

[1]- عميراوي أحميدة ، المرجع السابق ، ص 10 -11 .

[2]- عميراوي أحميدة ، المرجع السابق ، ص11- 12 .

### 3. الأمطار :

حددت الصحراء في الجزائر وفقا لخط تساوي الأمطار Isolijeté 100ملم وفي الجنوب 150 ملم وفي الصحراء الشمالية سجل 140 ملم في بسكرة و 43ملم في ورقة وفي المشال الغربي في الصحراء 67 ملم في بشار 15ملم في أدارا وفي الصحراء الوسطى سجل 44 ملم في تمنغاستو 20ملم في جانت و 17ملم في عين صالح وبصفة عامة تعد التساقطات جد ضعيفة في هذه المنطقة كما أنها غير مستقرة وغير معتدلة ... [1]

### 4. المناخ الصحراوي :

✓ **الإقليم الجنوب الشرقي :**

يتميز مناخ الإقليم الجنوب الشرقي بالتطرف، فهو مناخ قاري جاف ذو مدى حراري كبير فصليا وكمثال على ذلك غرداية التي تزيد درجة الحرارة بها صيفا 35 درجة مئوية في الوقت التي تصل في فصل الشتاء 10 درجة مئوية ويتعرض الإقليم إلى هبوب رياح جافة ، وأحيانا تثور العواصف الرملية العاتية التي تعرقل جميع النشاطات أما الأمطار فهي في أحسن الحالات لا تتجاوز 5ملم سنويا وتتميز بعدم الانتظام مع بعض الفروقات في الهوامش الشمالية و الجنوبية .

وقد أحدثت هذه المميزات المناخيةتأثيرات في المظهر الهيدوغرافي إذا نجد الشبكة المائية قليلة إذ لا تجري غلا في وقتتهاطل الأمطار و نظر إلى ارتفاع درجة الحرارة ونفاذية السطح فإن المياه تتسرب عبر الرمال حتى أطلقت على هذه الأودية تسمية الأودية الكاذبة ومن أهمها:

- الأودية التي تصب في منخفض الشمالي الشرقي مثل وادي ريغ و الأبيض و الميزاب متليلي .
- الأودية التي تنحدر من كتلة الهقار مثل وادي أغرغاروتمنغستتافاساست.

- **مميزات المناخ الصحاري** : يتميز المناخ الصحراوي بالخصائص التالية :

- 1/ الارتفاع الشديد في درجة الحرارة صيفا مع انخفاضملحوظ شتاءا لأن مدى الحرارة مابين النهار و الليل كبير سواء صيفا أو شتاءا ، وهذه التطرف في المناخ تمثله مدينة عين صالح ، الواقعة في قلب هذا النطاق الصحراوي.

2/ شبه جاف ينحدر معه تساقط الأمطار إلى درجة لا يتجاوز فيها بعض سنتمترات وفي غير انتظام ، فقد يحدث أن يسقط المطر فجأة دون أن يدون طويلا .

[1]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية ، دار القصبة للنشر 2009 ، ص 26-ص 27 -ص28

3/ الرطوبة النسبية من الماء في شكل غاز وهي نافعة للنباتات وهناك غابات تعيش على الرطوبة النسبية في عين صالح وكذلك في تمنغاست ولذلك لجأ إليهما السكان... [1]

## 4/ الأودية و الموارد المائية :

شبكة الأودية :تنبع الأودية الصحراوية من الأطلس الصحراوي وتصب أحيانا في الشطوط وأحيانا تختفي في وسط الرمال ، ليس لها جوانب مضبوطة ولاحدود معينة فهي عديمة الانتظام وفجائية الفيضان .

وتنقسم الأودية الصحراوية حسب مناطق منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي وأودية الهقار ، فأما الأولى فتسير على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي وتغوص مياهها في الرمال لتظهر مرة أخرى في شكل عيون فيضية وآبار "آرتوازية" قامت عليها واحات النخيل في إقليم مزاب في الهوامش الشمالية .

من أهم هذه الأودية : وادي جدي ، وادي الطويل ، وادي العرب ووادي الأبيض وكلهم يصبو فقي منخفض ملغيغ وهو شط الأرجاء تحيط به الكثبان الرملية وتظهر على حوافه النباتات الصحراوية المتنوعة وتغمره المياه في فصل الشتاء ، أما الأودية المنحدرة من الهقار فتظهر في شكل شبكة منحدرة في عدة اتجاهات أهمها واد تفاساست الذي يربط الهقار بدولة النيجر ... [2]

تتوفر الصحراء على موارد مائية معتبرة لاسيما في الجزء الأكبر من باطنها الأكثر أهمية هي الاحتياطات المائية الكامنة في الأحواض الثنائية و الثلاثية الشاسعة و الممتدة بين الكتل الجبلية ... [3]ومن بينها الخوص الترسي للصحراء المنخفضة في الركن الشمالي الشرقي الذي يختزن كميات هائلة من المياه قدرت بحوالي 6000 مليار متر مكعب ، ويتألف من سمطين مركبين ، الأول إرتوازي سطحي متجدد يعرف بالقاري النهائي contintol terminal . و المتركز في وادي ريغ وتغذى من السيول الصحراوية الممتدة على طول الحواف الصخرية المحيطية بالعرق الشرقي .

أما الثاني ك فهو القاري المتداخل "continental intercalaire" و المتواجد في أعماق صحيقة تتراوح مابين 800-1500 متر ويتزود من السيول الحاصلة على الأطلس الصحراوي و الهضاب العليا .. [4]

وقد وظف الاستعمار وسيلة الماء في كسب صفوف جزائرية ، من ذلك ما حدث حيث أقدمت السلطة الفرنسية على حفر الآبار في أقل ماي 1856 بأمر من علي بن فرحات قائد "تقرت "وبمساعدة الجنرال "ديفو" وتحت إدارة

---

[2]- عميراوياحميدة,المرجع السابق,ص12

[3]- نفسه ، ص14,ص16.

المهندس (jus) وتم استخراج الماء من عمق 60متر الأمر الذي ولد فرحة عمت سكان وقيل شعر بهذه المناسبة ترجمه فيرو إلى اللغة الفرنسية بهذه الصيغة :

Je vous annonce des chosemerveilleuses

L'eau a jailli du sein des sables

Dieu biné l'eau du Sahara

Par l'intairmidaire de celuiqui gouverne actuellemen وقال الفرنسيون إنه باكتشاف الماء تكون البداية قوية لإقامة إدارة فرنسية بالصحراء بدايتها ورقلة ذات الصلة ببسكرة وستكون ورقلة سوقا تجارية هامة للأوربيين و العرب و الميزابين و السود و اليهود،وكان عدد النخيل بالصحراء من بسكرة إلى ورقلة الذيوكان سعر الكلغ بـ 0.35 فرنك وكان محصول الحبوب من شعير وقمح 14820كلغ وكان عدد المنازل من بسكرة إلى ورقلة في السبعينيات 15090منزل وعدد الآبار 5262بئر وكان بتقرت ووادي ريغ 7828منزلا.

بالإضافة إلى ذلك تأتي المياه السطحية بفضل مجاري المياه المنحدرة من الأطلس الصحراوي و النظام النهري لكل من الأودية الآتية ، وادي ريغ ، وادي الساورة ، وادي الأبيض بنواحي بسكرة ، ووادي مزي بناحية الأغواط[1]

## 5. الغطاء النباتي :

لقد كان لظروف المناخ في الصحراء انعكاس مباشر على الحياة النباتية التي تتميز بالضآلة وتحملها للجفاف و الحرارة المرتفعة و البرودة الشديدة في الوقت نفسه بوجود في الصحراء الجزائرية حوالي 500نوع من النباتات التي هي على العموم قصيرة وسميكة . من أهمها على الإطلاق شجرة النخيل المنتجةالمنتجة للتمور التي تعتبر غذاء أساسي للسكان بالإضافة إلى العديد من أنواع الخضر و الفواكه المبكرة كالطماطم و العنب و الرمان كما تستمر المنطقة بإنتاج أنواع خاصة من النباتات كالحنة و التبغ [2].

ورغم المواد النباتية الضئيلة المبعثرة و المتباعدة فإنها سمحت لنمو أنواع عديدة من الحيوانات ، كالغزلان التي تعيش في العروق مع ذئاب الرمال ومجموعة كبيرة من الجرذان و الأفاعي و الزواحف المتنوعة و الطيور[3]

[1]- المركز الوطني للدراسات ، المرجع السابق ، ص 26- 27 -28

[2]- ابراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 21- 22 .

[3]- عميراوي أحميدة ، المرجع السابق ، ص 17

واشتهر الصحراء بأهم حيوان أل وهو الجمل (الملقب بسفينة الصحراء) الذي يستطيع تحمل عناء العطش و الجوع لمدة طويلة وبذلك فهو يتمكن من قطع مسافات طويلة ، ولوكان ذلك في فصل الصيف . كما أن الجمل يستعمل في شتى الأغراض منها النقل ، الموصلات ، وما إلا ذلك ، يعطي الحليب و اللحم و الجلود و الوبر بالملابس و الخيام ، ولذلك يعد الجمل بحق أهم حيوان يربى في الصحراء.

ويقوم بعض الرعاة في السهوب وهوامش الصحراء بتربية الأغنام و الماعز التي تعتمد على الموارد النباتية التي ترعرت بفضل الأمطار الخريفية و الشتوية ، لكنها سريعة الزوال مما يضطر الرعاة غلى التنقل و الترحال .

كما يوجد الواحات أين تتوفر المياه و الحياة النباتية أين يعيش الإنسان في استقرار ، جميع أنواع الحيوانات الأليفة الممكن تربيتها مثل القطط و الكلاب و الدواجن [1]

**إستراتيجية توغل الاستعمار في الصحراء الجزائرية:**

## 1- منافذ التوغل والسيطرة:

في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون جادين في التوسع إلى الجنوب الجزائري والصحراء ،كان اهتمامهم كبير بموضوع المواصلات وطرق القوافل القديمة باعتبارهما العنصر الأساس والفعال وذلك بهدف:

- تسهيل عمليات نقل قوائمهم العسكرية، توفير ظروف الاستقرار في المراكز العسكرية التي انشأوها.
- ربط مستعمراتهم المختلفة يبعضها البعض في الشمال و الغرب و الوسط.
- خدمة التجارة الفرنسية وفتح الأبواب السبل لها في كل أسواق إفريقيا... [2]

وعلى ضوء ما تعرفوا عليه من طرق القوافل الصحراوية القديمة وما توصلت إليه البعثات الاستكشافية التي كانوا يرسلونها إلى الجنوب... [3]توغلواإلى الصحراء الجزائرية عبر منافذ طرق رئيسية[4]لإحكام السيطرة عليها وتشكيل شبكةإستراتيجية من المراكز العسكريةواهم هذه المنافذ ما يلي:

- طريق أغاديرداكارعربي كل من تندوف ،فورقيروFortGairaudاكجوجت ليتوجه نحو نواكشوط ليصلإلى سان لويس بالسنغال على مسافة طولها3000كلم.

---

[1]- ابراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 22 .

[2]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط1 ، دار البعث ، قسنطينة ، 1980 ، ص 270

[3]- عميراوي أحميدة ، المرجع السابق ، ص 17.

- طريق وهران النيجر الذي يخترق في مساره البالغ أكثر من 2800 كلم نحو الجنوب الجزائري كل من بشار ،العبادلة،اجلي،بن عباس، أدرار، رقان وبيدوغالينتهي في دولة النيجر .وقد كان هذا التوغل سببا في انجاز مشاريع اقتصادية هامة منها منطقة صناعيةبكولومب.وخط مزدوج للسكة الحديدية طوله 100كلم يربط بين العبادلة وكولمب بشار.

- طريق مدينة الجزائرتمبكتو الذي يتجاوز طولها 35000 كلم ويمر على البليدةبوغار،الاغواط غرداية،القليعة، وعين صالح ليصل إلى تمنراست ثم آقار لينتهي زندار التي تقع بين دولة النيجر ودولة التشاد.

- طريقة بونمورزوقبليبيا و الذي يعبر قسنطينة بالهضاب العليا ثم قطع الواحات الصحراوية،تقرت،الوادي ،ورقلة،وجانت ليتحول إلى خزان بليبيا.

بعد اكتشاف البترول في آدجلي وحاسي مسعود قدم هذا الطريق خدمات كبيره للتوغل و التوسع الاستعماري في الصحراء واحتلالهلأهم المناطق الإستراتيجية،لأن هذا الطريق يقطع من الشرق إلى الغرب و من الهقارإلىالأطلسي من جانت إلى تندوف عبر ورقلة القليعةتيميمون ادرار[1]

## 2. مشاريع خطوط السكك الحديدية:

لقد كان خلاصة الدراسات و الاقتراحات لمشاريع عديدة أن تم مد السكة الحديدية نحو الصحراء خلال النصف الأول من القرن العشرين ووضع نواة لثلاثة خطوط حديدية، وقد كان وراء هذه المشاريع من مواصلات حديدية فكانت الخطوط كالآتي:

- الخط الأول يمدد من مدينة قسنطينةإلى ورقلة عبر بسكرة وتقرت
- الخط الثاني يمدد من مدينة البليدةإلى الجلفةعبر المدية
- الخط الثالث يمدد من المحمديةإلى بني عباس عبر سعيدةوبشار

وقد كان من المفروض أن تمتد هذه الخطوط الثلاثةإلى باقي بلدان الصحراء الأخرى، في غرب إفريقياووسطها لتصل شبكة النيجر عبرتمبكتو وشبكة السنغال و موريتانيا. ولكن ارتفاع التكاليف الماليةووعرةالطبيعة الصحراويةوقسوتها ومناخها واتساع المقاومةالجزائريةوتطور حركة الطيران الفرنسيين يتراجعون عنها[2]

[1]- عميراوي أحميدة ، المرجع السابق ، ص 18.

[2]- عميراوي أحميدة ، **من تاريخ الجزائر الحديث** ، مطبوعات جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، ص 19 .

## 3. شبكة المدن والواحات الصحراوية:

رغم اتساع وعزلة الصحراء الجزائريةإلاأن بها شبكة معتبرة من المدن والمراكز والواحات ذات الأهميةالإستراتيجية القصوى بالنسبة للاستعمار الفرنسي وتوغله.وإحكام السيطرة عليه.

وتتركب هذه الشبكة من مدن وواحات تعتبر عواصم الأقاليم طبيعيةكالزيبان وبني ميزاب ووادي سوفوالساورةوالهقار،وهي مدن آهلة بالسكان تتفاوت ما بين 15000-40000 نسمة واهم المدن:

- مدينه بسكرة بوابة الجنوب القسطنطيني نحو الصحراء المنخفضة عاصمةالزيبان تعد من أهم المدن الصحراوية المكتظة بالسكان وهي مدينه النخيل والجمال السحري و البديع مركز من أهممراكز النهضةومحور تجارة التمور ومحط رحال السياح....

- مدينه الواد:أهموأشهر مدن وادي سوف وهي تبعد فقط بـ 100كلم عن الحدود الجزائرية التونسية و تشتهر بمدينةالألف قبة Lavilleauscmile couples يقدر عدد سكانها في حدود20000 نسمة.

- مدن الجلفةالاغواط،وهي عبارة عن أبوابأساسية للجزائر نحو الصحراء ومراكز استعمارية صحراوية هامة في التوغل نحو الجنوب الجزائري ويقدر عدد سكانها ما بين 17000-25000نسمة

* مدينة غرداية: عاصمة المزاب تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي600كلم وهي حاضرة هامة آهلة بالسكان بلغ عدد سكانها حوالي 15000-20000 نسمة طبيعية لمنطقة وادي قير وهي الأكثر سكانا في الصحراء 40000 نسمة[1]

## 4. اكبر الواحات الصحراوية:

بالإضافةإلى المدن الصحراوية نجد مجموعة هامة من الواحات اقل سكاناوأهمية من الناحيةالاستراتيجيه من أهمها:

- ✓ واحة ورقلة:واحة الصحراء المنخفضة الممتدة بين العرق الشرقي الكبير وشط ملغيغوهي الأخر واحات الجزائر الجنوبية قبل الهقار و سكانها حوالي 7000نسمة.
- ✓ واحةالزيبان: الغنيةأمثالها سيدي عقبه وطولقة وأولاد جلال .
- ✓ واحة عين بلاد الشبكة:ومن أهمها غرداية و بني يزقنوالقرارةوبريان ومتليلي وهي تتميز بكثرة العمران وقلة المياه.

[1]- عميراوي أحميدة ، المرجع السابق ،ص 20.

بالاضافة إلى واحة حاسي مسعود ورقان .... وغيرها .[1]

## 4. الإمكاناتالاقتصادية للصحراء:

للصحراء جغرافية شاسعةوفسيحةومناخ قاسي وعزلة محكمةإلاأنها تزخر بإمكانات وقدرات طبيعية واقتصادية هائلة ومتنوعة منها المعادن والبترول والغاز الطبيعي والفلاحة

## 5. الفلاحة الصحراوية:

تزخر الصحراء الجزائرية بمحيطات زراعية هامة تشتهر في واحات النخيل كواحد الزاب الشرقي ووادي سوف كما هو الحال في طولقة ،بالإضافةإلى بعض السهول الخصبة ذات الزراعات المتنوعة [2]

2. **الجانب البشري :**أمابالنسبة للجانب البشري فان الصحراء الجزائرية التميز بها السكان رغم المساحةالشاسعة وبذلك فهم ينتظمون داخل بيئة اجتماعيه ذات طابع يدوي نظرا للظروف الطبيعيةالمتحكمة في حياتهم وأخذت منها ندره المياه لأنه وجود المياه في كميات كافيه يسمح بممارسه الزراعة في الاستقرار و عكس ذلك يعني الشتات والترحال ذالك يصنف السكان إلى سن فإنهما الحضر والبدو

**سكان البدو الرحل:**يقومون بعمليه العشابة وهي الانتقال في بداية الفصل إلى الشمال نحو الهضاب المرتفعة ثم العودةإلى الصحراء في أواخر فصل الخريف وهي هجره موسميه يقوم بها جميع القبائل البدويه حيث يجمعون بين الاستقرار الضرفي والتنقل بين الشمال والجنوب بحث عن الكلأ لمواشيهم وهم في حلم وارتحال كما تستمر عمليه الترحيل داخل الصحراء طيلةالسنة من طرف قبائل الشعانبة والطوارق وسكان ضواحي الواحات

**سكان الحضر:**فهم يعيشون داخل القصور حيث يمثل القصر الخليةالأساسية للتنظيم الاجتماعي وحتى السياسي في بعض الأحيان وهي مركز التجاري أو زراعي أوهام معا وهم الذين يسكنون المدن الرئيسية المسيلة بوسعاده الجلفة الاغواط غردايه تمنراست جانت ورقلة وادسوف بسكره وادي ريغ وتقرت وجامعه و مغير متليلي عين صالح المنيعه

**سكان القرى:**التي لم ترق بعد إلى مدن الكبرى وهي كثيرةومتنافرةومتباعدة في المسافات[3].

أما عن شكل سكان الصحراء فهم متشابهين مع بقيه سكان القطر الجزائري حيث يرجعون إلىأصولمختلفة من امازيغ وبربر عرب بالاضافة إلى الزنوج إلاأن هذه العناصر قد امتزجت مع بعضها البعض نتيجةتسكانها لمده طويلة ولاعتناقها الدين الإسلامي وهذا ما أصعب عمليه التمييز بين هذه العناصر ولكنها شكلت بذلك مجتمعا متجانسا عادات وتقاليد متشابهة إلى حد كبير وعلى الرغم من هذا فانه بإمكاننا التمييز بين عناصر سكان الصحراء

---

[1] -عميراوي أحميدة ، المرجع السابق ، ص 23.

[2] عميراوي أحميدة ، **من تاريخ الجزائر الحديث** ، المرجع السابق ،ص24.

[3] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934 ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص 16.

# الفصل الأول :

# التنافس الاستعماري الاوربي

# على الصحراء الجزائرية

## I- البعثات الاستكشافية للصحراء الجزائرية

## 2- اسباب اهتمام الاوربي للصحراء الجزائرية

## 3- الرحلات رحلة دوماس رحلة فلاترز

**بداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية**

لقد كان الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية مركزيا و سابقا عن الاحتلال الفرنسي الجزائر العاصمة عام 1830، إذا أن الرحالة الأوروبيون دونوا معلومات قيمة عن جنوب الجزائري ، كما أهتم الانجليز بالصحراء فأسسوا الجمعية الإفريقية عام 1788، بعد أن جمعوا المعلومات عن الصحراء من خلال ما كتبوه اليونان و الرومان و العرب ، لم تأتى سنة 1835 حيث تمكنت أوروبا من التعرف على المنطقة المستمدة من الجزائر العاصمة إلى الاغواط إلى الآوراس[1].كما استفاد الضباط الفرنسيون مما تركه هؤلاء الرحالة في معرفة أحوال الصحراء ، كما ساعدتهم في توجيه حملاتهم التوسعي بهذه المنطقة من ذلك نذكر الضباطLAPIRINEالذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية و كانت هذه الخريطة أحسن أداة وظفها الفرنسيون فيما بعد في التوسع العسكري و المدني و التحكم الإداري و الاجتماعي في الصحراء.[2]

إضافة إلى هذا فإنه سبق لقادة الاحتلال أن استخبروا علماء كانوا يعرفون الصحراء جيدا مثلما حدث مع العلامة لموريتاني أحمد المصطفى ولد طوير الجنة[3]الذي مر من الجزائر عام 1832أثناء عودته من مناسك الحج قاصدا بلده و من جهة أخرى فقد وظف الأوربيون الجانب العلمي في دراسة الصحراء أفازاك AVEZAC بدراسة المنطقة و أنجز عام 1836 م دراسة جغرافية عن الصحراء ، ضمنها خريطة هامة وضح عليها المعالم الأساسية و منها طرق المواصلات القديمة ، مع تقديم تصور كيفية استغلالها من طرف فرنسا

و في سنة 1837 أسست لجنة علمية فرنسية حرصت على دراسة إمكانات الجزائر و كيفية استثمارها و تشكلت هذه اللجنة من عسكريين و مدنيين و منهم كاريطCARRETTE الذي قدم مؤلفا هاما بعنوان :

RECHERCHE SUR LA GEOGRAPHé et le commerce de lafrique .méridional

كما ألف الضابط دوماس DAUMASتشجيع من الماريشال بيجو سنة 1845 كتابا تحت عنوان الصحراء الجزائرية sahraAlgerians[4]فهو دراسة إحصائية و جغرافية و تاريخية عن جنوب القسنطيين

فمن العناصر الفرنسية التي كان لها سبق في التوسع بالصحراء و بوسائل متعددة الجنرال esveauDديفوالذي ابهر السكان بما أقالهم من مشاريع و من بينها حفر الآبار و شق الطرقات و فرض الأمن و كان ديفو على قناعة كبيرة

---

[1]-عميراوي أحميدة، السياسة في الصحراء الجزائر ، المرجع السابق ،ص30

[2]- وصل هذا الأخير إلى غمداس عام 1860 تحت رعاية نابليون الثالث و قدرك كتابا قيما بعنوان : LES TOURG du nourd : انظر عميراوي حميدة ، المرجع السابق ،ص 31

[3] - توفي هذا العالم سنة 1849 و ترك أثارا قيمة أهمها رحله المنى و المنة وهو مخطوط بالمعهد لموريتاني للبحث العلمي ، انظر عميراوي حميدة ، المرجع السابق ، ص188

[4]- دوماس ، الصحراء الجزائرية ، تر قندورزعباد فوزية ، غرناطة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،د س ن ،ص29

بضرورة احتلال الصحراء بهدف حماية الوجود الفرنسي في قسنطينة و الحصول على الموارد من الصحراء التي كانت مصدر ثراء.

كما ترجمت السلطة الفرنسية اهتماماتها عملية حيث سمحت لقافلتين تجاريتينفرنسيتين بالانطلاق من بسكرة إلى جنوبها يوم 13 جويلية عام 1844 أي بعد احتلال هذه المدينة في مارس 1844، انطلقت القافلتان لهدف معرفة أسواق المدن الداخلية اتجهت واحدة إلى تقرت و الأخرى إلى عين صالح ، تعرفت على تمبكتو الذي كان أهم مركز تجاري بالصحراء و فتحنا الباب لقوافل أخرى ...

قد وظفت السلطة الفرنسية هذه المعلومات أثناء توسعاتها بالصحراء مثلا في عين ماضي 22/05/1844 و الاغواط يوم 1844/05/25 و في حملاتها العسكرية إلى مناطق كثيرة مثل تقرت –واد سوف ....الخ[1].

لقد وجدت فرنسا مساعدات من بعض الشيءأثناء توسعها مثلما وجدته في بوعزيز بن قانة ، الذي عينته فرنسا شيخ العرب على الزيبانإبتداءا من جانفي 1830كما تمكن الفرنسيون بفصل مساعدة سي حمزة من التوسع بالصحراء و الدخول إلى ورقلة بصفة قوية عام 1853 م ففاز سي حمزة بثقة الفرنسيين كما عين خليفة على مناطق واسعة من الصحراء التي امتدت من البيض إلى ورقلة [2]

و قد كان "لديفو" دورا كبيرا في هذا التوسع خاصة حين اتصل بشيوخ لمنطقة ، إذا أنه بعث برسائل إلى شيوخ لهم مكانة علمية و اجتماعية منهم محمد السعيد بن علي بن شريف الذي مدح قادة الفرنسيين ، كما أستغل ديفو هذه الفرصة استغلالا إعلاميا ، طلب منه أن ينظم أشعارا يمدح فيها شخصيات فرنسية و جزائرية قصد التغني بها في الصحراء [3]. و بهذه السياسة تمكنت السلطة الفرنسية من التوسع في معظم أنحاء الصحراء الجزائرية

**-المبحث الاول :البعثاتالأوروبية للصحراء الإفريقية في القرن 19:**

فقد بدء اهتمامهم بالقارة الإفريقية و الصحراءعند ماشرعوافي الكشوف الجغرافية البحرية الاستعمارية خلال القرن الخامس عشر ، فقد قام المغامر الجنوبي برحلة إلى حوض النيجر عبر توات عام 1447، كما قام البرتغاليون بالدوران حول القارة للوصول إلى بلاد الهندبحثا عن البهارات و غيرها من سلع الشرق الأقصى و في أواخر القرن 18 و مطلع القرن 19 و اشتد التنافس الاستعماري بين الفرنسيين و الانجليز و الألمان حول القارة الإفريقية فكان من أسباب هذا التنافسمايلي :

أولا : إيجاد مجالات الصناعة ، و التجارة الاوربتين فيما يخص الأسواق و المواد الخام .

ثانيا : لإيجاد مجال لإسكان فائض السكان على الأمد البعيد .

ثالثا : القيام بدراسات علمية متنوعة ، طبيعة ، بشرية و اقتصادية .[4]

---

[1] اسماعيل العربي ، المرجع سابق ، ص40.

[2] يحي بوعزيز ، وثيقتان جديدتان عن الكفاح الشريف محمد بن عبد الله ، الثقافة ع33، وزارة الإعلام و الثقافة الجزائر 1976، ص ص11-28.

[3] أحميدة عميراوي ، المرجع السابق، ص33

[4] يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر.. ، المرجع السابق 316-317

كان الانجليز أول من أبدى اهتمام بإفريقيا ، بعد أن تقلص نفوذهم من أمريكا الشمالية و فقد مستعمراتهم هناك ، فقد أسسوا الجمعية الإفريقيةthe African associationالتي تأسست عام 1788 و قامت في البداية بإرسال ثلاثة من الرحالين هم "هورن مان" الألماني و لوكاس و ليد بارد في رحلات متابعتحت رعايتهم : و لكتهم ماتوا جميعا أما بسب المرض أو قتلوا فاتجهوا بعد ذلك إلى نهر غمبيا للشروع في إرسال البعثات من هذه الناحية لان البريطانيين قد أسسوا بعض لمراكز التجارية منذ عام 1730 حيث أقيمت لهم سلطة بريطانية متماثلة في حكم بريطاني[1].

كذلك أرسل المجيد هيوثون الذيكان قنصلا في مراكش فبدأ رحلته سنة 1790م من مصب نهر غامبيا [2] حيث توغل نحو الداخل فكان يبعث بعض الرسائل من حين إلى أخر إلى تاجر بريطاني يقيم على الساحل يدعى "ليدلي" حيث تلقى منه هذا التاجر أكثر من خطاب و فجأة انقطعت أخبار المجيد هيوتون و لم يعد يسمع عنه شيئا لذلك و قع اختيار الجمعية على الرحالة استكتلاندي و هو مونغو باك MONGO PARKالذي كان يشتغل طبيبا و كانت المهمة المكلف بها في هاته الرحلة هي التعريف بمجرى النيجر وتتبعه إلى مصبه[3].

و صل بارك إلى ساحل غامبيا في جوان 1795 م حيث مكث خمسة أشهر في بيزانيا مع "ليدلي" الذي كانت له صلات حسنة مع بعض تجار الداخل و خاصة تجار الرقيق اللذين لهم معرفة بالمسالك الصحراوية ، حيث تعلم بارك خلال هذه المدة لغة المانغيغ و هي إحدى القبائل القوية التي تعيش في الداخل و تدين بالدين الإسلامي الحنيف.

و في شهر ديسمبر بدأ بارك رحلته و كان يرافقه دليل و خادم و كان يمتطي حصانا ، بينما كان تابعاه يمتطيان حمارين كما حملت أمتعتهم على ثلاث أحمرة ، و سلكت هذه الفرقة طريق يوندرا ، التي هي سلطنة كاسوا ووصلوا في بداية سنة 1796 إلى دينا ، حيث تعرض "بارك " مع مرا فقيه إلى هجوم قطاع الطرق اللذين سلبوهم به جميع أمتعته ، مما ثبط من عزيمة تابعيه حيث قرارا أن لا يذهبا معه إلى أبعد من ذلك .

في مارس 1796 عزم بارك على الوصول إلى نهر النيجر مع خادمه لكنه وقع أسيدا من طرق تجار الرقيق فحجزوه مدة تقارب أربعة أشهر استطاع بعدها أن يسرق حصانا و يهرب ، وصل بارك في جوان 1796 إلى مدينة سيغر .

و لم تنل هذه المشاكل و الصعوبات من عزيمة بارك فقد واصل رحلته إلى أن وصل في جويلة إلى نهر النيجر ثم وصل إلى المدينة تسيلا ، ثم اتجه من الجنوب نحو باماكو ، ففي 30جويلية 1795 ، عاد بارك إلى باماكو التي لم يتوقف فيها بل واصل طريقه إلى مدينة كامليا التي استقر فيها حتى أفريل 1797.[4]

و خلال حروب نابليون الأولبأوروبا اهتم الأوروبيون أكثر باكتشاف إفريقيا و غزوها ، فعاد "بارك" مرة أخرى إلى النيجر عام 1805 م ، و هلك هو و رفيقه و في العام الموالي قرب " جوروم" سبب مقاومة السكان اوليمندلهما ، و قام الألماني رونتجن RONTENTGH برحلة من المغرب الأقصى إلى الصحراء و قتل هو الأخر في بلاد

---

[1]- ابراهيم مياسي ،التوسع الاستعمار الفرنسي ، المرجع السابق، ص 41

[2] - رياض زاهر ، المرجع السابق ، ص122

[3] - ابراهيم مياسي ، توسع الاستعمار الفرنسي ....، المرجع السابق ،ص 41

[4]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر .... ، المرجع السابق، ص317

حاجة خلال جويلية 1809[1].و بعد عام 1815 جهزت بريطانيا عدة رحلات أخرى لاستكشاف الصحراء و مجرى نهر النيجر فانطلقت البعثات من حزب إفريقيا و شمالها و شرقها [2] منها رحلة الدكتور أودنى و معه الملازم كلايرتون و النقيب ديكسوندينهامفبدؤا رحلتهم من طرابلس عام 1822م ، عبر الصحراء إلى الجنوب و قصدوا نهر النيجر فوصلوا إلى واحة بيلما في بداية سنة 1832اين استراحوا و استرجعوا قوتهم .

و في عام 1825 كلفت الحكومة البريطانية الماجور اكساندرقوردنلاين بالقيام برحلة لإفريقيا ، فعاد طرابلس في ماي 1825 م و زار غدامس [3].و قاد عثمان بن الحاج بكري بن الحاج الفقيه إلى عين صالح ، و ازواد ثم تومبكتو إلى ان اعترضنه المشاكل و الصعوبات من طرف سكان برييش فعزم على التوجه إلى اروان بصحبته احمد عبده ولد الرحال و في الطريق قتله مرافقه ولد الرحال لأسباب اختلف المؤخرين في شرحها .[4]

أما الفرنسيين فقد بدوا مغامرتهم في الصحراء الإفريقية منذ رحلة روني كايRENE CAILLEفي أعوام 1814-1825 و اشتد حماسهم بعد احتلالهم لمدينة الجزائر عام 1830 و لكن المقاومة البطولية الصامدة التي واجهوها من طرف الشعب الجزائري في الشمال و عاتتهم عن ذلك قرابة أربعين عاما و تمحورت اهتماماتهم في ثلاثة محاور أساسية بارزة هي :

**المحور الأول** : وهو الهدف الأساسي لهم و يتمثل في الغزو و التوسع الاستعماري الذي اعتاد وانعتنه (بالاستكشاف) و تعرف هذا المحيط الواسع من الرمال الصفراء بواحاته الخضراء المتناثرة هناك .

و اقترن هذا الغزو و التوسع الاستعماري بمحاولة تعرف إمكانيات الصحراء الاقتصادية و البشرية [5].

**المحور الثاني** : برز نتيجة الاهتمام الأول و لخدمته و تدعيمه و ستمثل في محاولة وضع الشبكة من طرق المواصلات الحديدة و البرية و أسلاك الهاتف لتسهيل سبيل التنقل في ظروف آمنة ، للقوات العسكرية و المغامرين بين مختلفالمناطق الصحراوية فاخذوا يدرسون المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية والمناخية لتحديد المناطق التي تصلح لمد هذه الخطوط الحديدية وشق الطرق البرية وتحديد اتجاهاتها بالإضافة إلى إبراز المحاسن والصعوبات وتقديم الحلول والاقتراحات .

فتعددت رحلات المستكشفين وتعددت وجهات نظرهم فحاولوا أن يستغلوا طرق القوافل التجارية الصحراوية حتى يستفيدوا منها في مشاريعهم الاستعمارية ويفتحوا باب التجارة الفرنسية للتغلغل إلى قلب القارة [6].

---

[1] - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر .... ، المرجع السابق ، ص 317

[2] - زاهر رياض ، المصدر السابق ص 112

[3] - غدامس: منطقة غدامس إحدى الواحات الصحراوية المتواجدة على الحدود الجزائرية الليبية لعبت دور هاما في المجال الثقافي و التجاري في خلال العصر الإسلامي و العصر الحديث.

[4] - يحي بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر..... ، المرجع السابق ص76، 77

[5] - يحي بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ص 77

[6] - نفسه ،ص 319.

**المحور الثالث :** برز كنتيجة للاهتمامين السابقين ، الأول والثاني ولخدمتهما وتدعيمهما ويتمثل في محاولة خلق بحر داخلي صحراوي من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء فاتجهت أنظارهم إلى أحواض الجريد التونسي وأحواض بسكرة وواد سوف في الطرف الشمالي لحوض إيغرغرلاتخاذها نواة لهذا البحر الداخلي الصحراوي الذي سيربط بالبحر المتوسط عن طريق شط فجاج إلى خليج قابس ، وقاموا بدراسات للمنطقة من جميع النواحي .[1]

## 2. المبحث الثاني : أسباب الاهتمام الأوربي للصحراء الجزائرية

- **الأسباب السياسية و العسكرية:**

إن السبب الرئيسي للتقدم الفرنسي في الصحراء إنما يرجع إلى تعزيز الوجود الاستعماري بالمنطقة وكذلك لأبعاد خطر المنافسة البريطانية[2] التي كانت تسعى للتوغل داخل الصحراء بهدف تكوين إمبراطورية فرنسية

- كما أدركت فرنسا أن احتلالها للجنوب يضمن لها احتلال كامل البلاد ، و كذلك لان الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الجزائر من فترة لأخرى أصبحت تجد في الجنوب وواحاته معقلا يفر إليه المجاهدين و ليتزود بالمؤونة و السلاح و يتلقوا المساعدات من البلدان المجاورة خاصة المغرب الأقصى و تونس و ليبيا
- لقد لاحظ ذلك الرحالة الألماني " جيرهاردرولف " ما مدى المشاركة و الدعم لأهل الجنوب للشمال عندما زار إقليم توات[3] 1864م حيث قال بهذا الخصوص : ((قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة))[4] فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصاعب وكل الفوضى ما دام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية . ولن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران[5]
- ومن بين الدوافع التي جعلت فرنسا تسيطر على الصحراء هي إخمادها للثورات الشعبية ، التي أخذت في المقاومة السياسية التوسعية الفرنسية و التي كان أولادها ثورة الزعاطشة 1849م . وعلى الرغم من تمكن الاستعمار من القضاء على المقاومة ، إلا أن الثورات استمرت و ظهرت في العديد من مناطق الصحراء ومنها انتفاضة محمد عبد الله الشريف في روقلة 1851م ، و مقاومة سكان الاغواط التي تزعمها ابن ناصر بن شهرة و قد طال عمر هذه المقاومة أربعة و عشرون سنة (1851-1875 ) و اتسعت رقعتها و توحدت مع ثورة محمد عبد الله

---

[1] - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر .... ، المرجع السابق ، ص 78 .

[2] نفسه ،ص 62 – 63 .

[3] اقليم توات : يحيط بهذا الإقليم العرق الغربي الكبير من جهة الشمال وجزء من الشمال الشرقي وهضبة تادميت من الشرق والجنوب ومن الغرب يحده الحوض الشرقي لوادي الساورة ، أنظر إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 – 1934 ، الجزائر دار هومة 2012 .

[4] وادي الساورة هو مجرى مائي بإقليم بشار .

[5] إبراهيم مياسي ، التوسع الفرنسي ، مرجع سابق ، ص 476 – 477 .

الشريف حتى بلغت الجنوب الغربي لتونس ، كما دعم بن شهرة كل من ثورة أولاد سيدي الشيخ 1869م وثورة المقراني 1871م و هكذا اتسعت المقاومة الشعبية في الصحراء إلا أن الإدارة الاستعمارية استطاعت تطويقها و القضاء عليها في جميع أقاليم الصحراء إضافة إلى استمالة بعض الجزائريين الذين تواطؤوا معها في القضاء على المقاومة[1] .

- و تمهيدا للبرنامج التوسعي الاستعماري و لتعزيزه من خلال محاصرة محاولة حصار تونس عسكريا و اقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي ، و ذلك بقطع التبادلات التجارية بين منطقتي الجريد التونسي[2] و وادي سوف لهدف التمهيد لفرض الحماية على تونس ، ومن جهة ثانية حصارها للمغرب الأقصى من ناحية الجنوب الغربي الجزائري في الوقت الذي سيطرت فيه فرنسا على موريتانيا 1909 م لتشرع بعدها في تحقيق الحلم الذي طالما راودها و هو السيطرة التامة على شمال إفريقيا[3]
- و من الدوافع الفرنسية الأخرى لاحتلال الصحراء سعيها لتفكيك المجتمع الجزائري و تقسيمه عن طريق فصل الصحراء عن الشمال وتكوين دولة مستقلة ، تضم كل سكان الصحراء ليتم بعد ذلك تفريغ الصحراء من سكانها و ذلك بتجميعهم من ناحية معينة حتى تسهل عملية السيطرة عليهم
- لقد لخصت بعثة فلاموند المرسلة إلى تيدثيلت سنة 1899 م . في تقريرها الخاص مجمل الدوافع التي جعلت فرنسا تسعى للسيطرة على الصحراء الجزائرية و في هذا قال فلاموند " من المهم و من دون تأخير ربط واحة عين صالح بالجزائر العاصمة إما عن طريق عين الصفراء أو عن طريق ورقلة و بعدها إتمام الطريق الصحراوي و صولا إلى تنبكتو[4] . وهي الوسيلة العملية الوحيدة للاستعمار و أيضا لكي لا تكون هذه المنطقة ملجأ دائم لإثارة القلاقل[5].

- **أسباب اهتمام الفرنسيين بالجنوب الجزائري :**

---

[1] أحمد مريوش ، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل السكان الهقار ، 1916 م ، مجلة المصارع 11 ، الجزائر 2005 ، ص 114 – 115 .

[2] الجريد التونسي : هو أحد أقاليم تونس يوجد في شكل سهل متسلسل وهو عبارة عن مجموعة من الواحات الجميلة كانت تسمى قديما بلد قطلبيملة ، الإباضة بالجريد في العصر الإسلامي الأول ، ط1 ، تونس دار سلامة 1976 .

[3] التواتيبوملة ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934) ط1 الجزائر ، دار المعرفة 2012 ، ص 76 .

[4] تنبكتو : تأسست هذه المدينة على يد الطوارق من قبيلة مقشرن ، للمزيد راجع كتاب مبارك بن الصافي جعفري ، العلاقات الثقافية بين قوات السودان الغربي .

[5] التواتي بو ملة ، المرجع السابق ، ص 23 – 22 .

- **الجانب الاستراتيجي** : لقد احتدم الصراع بين القوى العظمى لوضع خطط مستقبلها ومن بين الإطراف الفاعلة نجد بريطانيا و فرنسا ، هذه الأخيرة التي ظلت المنافس العنيد لنشاط الانجليز و توسعه الاستعماري خارج أوروبا ، و البحث عن المجال الحيوي لها و بالخصوص في قارتي إفريقيا و آسيا .وقد تجسد ذلك بالخصوص بعد إنجاح عملية احتلال الجزائر . وصدور المرسوم الملكي 1834 م الذي جعل الجزائر قطعة فرنسية[1] و بعد مجيء اللجنة الإفريقية إلى الجزائر، وقناعة البرلمان الفرنسي بسياسة التوسع والاستيطان.

إذا كان الاستعمار الفرنسي قد اهتم بإقليم الشمال وسط نفوذه على المناطق الساحلية و توسع بناحية المناطق التلية ، برغم المقاومة الشعبية في منطقة الوسط . وبلاد القبائل بزعامة لالا فاطمة نسومر و الغرب بزعامة الأمير عبد القادر و الشرق بزعامة الحاج احمد باي[2] .

إلا أن الصحراء خلال العهود الأولى من القرن التاسع عشر ظلت صعبة المنال بالنسبة للفرنسيين ، و لكنها من اهتماماتهم ، وتجلى ذلك في سياسة و اهتمام نابليون الثالث إمبراطور فرنسا [3]

و كانت الإدارة الفرنسية تسعى دوماثورات،راكز تواجدها في شمال إفريقيا بباقي مستعمراتها في إفريقيا جنوب الصحراء ، وأصبحت تبحث عن مناطق نفوذ في الأقاليم المتاخمة للحدود الجزائرية و بالخصوص بعد احتلالها المناطق في غرب إفريقيا و حتى تؤمن لنفسها في مناطق الأراضي الجزائرية أبرمت معاهدة مع بريطانيا في 15 أوت 1890م تضمن أن تكون أراضي الجنوب مناطق نفوذ فرنسية [4]

و قد كشف عن ذلك فيما بعد الجنرال ديغول في مذكراته<<... ثم تولينا بعد ذلك القضاء على عدة ثورات ، و لذلك فقد غمرنا الفرح لأننا أصبحنا سادة ارض كلفتنا تضحيات كثيرة و مع ذلك تعزز موقعنا في إفريقيا و البحر المتوسط بفضل الجزائر ، أقمنا فيها نقطة انطلاق لتسللنا إلى تونس و المغرب و الصحراء [5]...>>

وقد أشار في زيارته عامين.1958/2 لموقع الصحراء كنقطة إستراتبقوله:وله : <<أن الصحرالاستيطاني.مستقبل و شريط بين عالمين.عالم البحر المتوسط و عالم إفريقيا و بين عالم المحيط الأطلسي و عالم النيل و البحر الأحمر[6]>>

- الجانب العلمي الاستكشافي و الاقتصادي : يخطئ الكثير حينما يظن أن الظاهرة الاستعمارية هي احتلال عسكري صرف ، بل هو عبارة عن مشروع متعدد الجوانب و مختلف الوسائل و محدد الأهداف . ومن ثم تعد مراحل الغزو و التوسع و الاستيطان بمثابة مراحل متأخرة من تطبيق المشروع الاستيطاني.لأن عملية التجسس و الكشوف و الاستطلاع و الدراسة كلها مراحل هامة في مجرى إنجاح عملية الاحتلال[7].

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982 ، ص 35 .

[2] إسماعيل العربي ، تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 311 .

[3] سعد الله والحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1900 ، ج ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي 1992 . ص 138 .

[4] إبراهيم مياسي ، توسع الاستعمار الفرنسي ، مرجع سابق ، ص 77 .

[5] الجنرال ديغول ، مذكرات الأمل 1958 – 1962 ، ج4 ، تر ، سموحي ، ط1 ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق 1984 ، ص 56 .

[6] ديغول ، نفس المرجع السابق ، ص 49 .

[7] أحمد مريوتس ، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916 ، مجلة المصادر ، ع 11 ، السداسي الأول 2005 ، ص 111.

- وإذا كانت فرنسا قد رصدت كل هذه الاهتمامات لمنطقة الشمال ، وهي القريبة جغرافيا منها و المعروفة تاريخيا لديها . فما بالك بمنطقة الجنوب البعيدة عنها في جوانبها المختلفة ، ولذلك فقد انصب انشغالها بالصحراء أكثر من اهتمامها بالشمال .
- و هناك العديد من العوامل الاقتصادية التي حثت فرنسا على الاستحواذ على الصحراء الجزائرية ومن بين هذه الدوافع نذكر :
- استغلال فرنسا للطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيرات إفريقيا من جهة و استغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات أوروبا من جهة أخرى فباحتلال الجنوب الجزائري ستتمكن السلطات الفرنسية من فتح مجالات واسعة و إيجاد طرق جديدة للتجارة و هذا ما ورد في قول المارشال SOULT وزير الحربية : << ... إن الصحراء في هذه الفترة يمكن اعتبارها أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء و الشمال الإفريقي من جهة و الصحراء و الجزائرية و إفريقيا السوداء من جهة أخرى[1] ...>>.

وقد ساهمت البعثات الاستكشافية في عملية الكشف عن الثروات المعدنية الضخمة التي تزخر بها الصحراء خاصة و أن هذه الكميات الهائلة من المعادن المتنوعة تحتاجها فرنسا لخدمة اقتصادها و ازدهاره [2].

و لتحقيق هذه الأهداف عملت فرنسا على انجاز شبكة للمواصلات من أبرزها السكك الحديدية و البريد و أسلاك الهاتف ، وذلك بمد سكك جديدة تربط بين الجزائر العاصمة و المدن الصحراوية مرورا بورقلة و عين صالح و غيرها ثم الانتقال إلى انجاز طرق جديدة أخرى تكون عابرة للصحراء لربط المستعمرات ببعضها البعض[3]

ومن الأسباب الأخرى التي دفعت بفرنسا لاحتلال الصحراء للاستحواذ على الثروات الطبيعية ة المعدنية و الطاقوية . ولتحقيق استثمار صناعي إلى ابعد الحدود بها خاصة مع إدراك فرنسا أنها متخلفة صناعيا بالمقارنة مع منافسها بريطانيا في تلك الفترة ولكي تستطيع فرنسا استغلال هذه الثروات قامت بتأسيس الكثير من الجمعيات و الشركات الاحتكارية ، و البنوك التجارية و منها جمعية التجارة لإفريقيا الغربية ، البنك التجاري الإفريقي ، و أنشأت أيضا بعض الشركات كالشركة الصناعية التجارية لإفريقيا ....الخ وذلك ليتسنى لها فتح آفاق مستقبلية واسعة تساهم في بناء تجارتها و ازدهارها و ربطها بإفريقيا الداخلية[4] .

- فالعوامل الاقتصادية التي حثت فرنسا على احتلال الجنوب الجزائري فهي كثيرة ومتنوعة أيضا مما جعل الجزائر مستعمرة تنقل إليها الأموال وتنقل منها المنتجات التي لا يمكن أن تنتج في الوطن الأم وكذا جلب المعادن

---

[1] التواتيبومهلة ، مرجع سابق ، ص 12 .

[2] إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص 82 – 83 .

[3] التواتي بو مهلة ، مرجع سابق ، ص 24 .

[4] نفسه ، ص 23 .

الضرورية لدوران عجلات الصناعة بفرنسا ، كذلك جعلها مستوطنة لأعداد كبيرة من الفرنسيين[1] خاصة والأوروبيين عامة اللذين سوف يستولون على أجود الأراضي ، لاستغلال ما فوقها وما تحتها من كنوز وخيرات وثروات طائلة بالإضافة إلى إطفاء ظمأ البرجوازية الفرنسية التي وصلت إلى السلطة مع قيام الثورة الفرنسية سنة 1789 م بعد أن حطمت دولة الإقطاع .

- ذلك أن خلال الحروب النابولية ازدهرت الصناعة الفرنسية كما تكدست منتوجاتها وفاضت على حاجة البلاد ولم تجد السوق الواسع لامتصاصها بينما نمت البرجوازية الإنجليزية في هاته الفترة على حساب فرنسا التي ضيعت بعض مستعمراتها بعد سقوط نابليون ، فغزتها البرجوازية الإنجليزية ، بينما الإنتاج الاقتصادي للبرجوازية الفرنسية قد ازدهرت كثيرا مما جعل هذه الطبقة تندفع في سياسة استعمارية تنشطه وتدخل حلبة التنافس والتصارع من أجل توسيع دائرة النفوذ وبناء المستعمرات[2] .

## 1. المبحث الثالث : الرحلات : رحلة دوماس ورحلة فلاترز .

- **رحلة دوماس:**

قدم الرحالة "دوماسن" إلى الحاكم المثير "بيجو" دراسة شاملة للجنوب الجزائري المتمثلة في الجانب الجغرافي والبشري والطبيعي وكذلك الطبوغرافية كما شملت رحلته أهم المسالك والطرق لتوغل الفرنسيين في الصحراء الجزائرية وخاصة الجنوب الشرقي .

يقدم لنا "دوماس" في كتابه "الصحراء الجزائرية" طريقة بداية للجزائر العاصمة لمدة 15 عشر يوما ، انطلاقا من البليدة ثم المدية ثم البرواقية إلى بوغار ليصل في اليوم التاسع لسهل طاقين ثم يواصل مسيرته حتى ليصل سيدي بوزيد القرية الصغيرة الموجودة بجبل العمور ليصل في اليوم الرابع عير إلى تاجموت ليصل في اليوم الخامس عشر عبر واد ميزاب إلى الأغواط .

حيث تكلم دوماس عن المدن والقرى والقبائل الموجود فيها مثل الحويطة ، تاجموت ، العسافية ، عين ماضي وقصر الحيران ، أما بالنسبة للقبائل فقد تطرقت إلى القبيلة الكبرى قبيلة الأرباع وقبيلة أولاد سيدي الشيخ ، وأولاد سيدي عطا الله ، الحرازلية .

ويتكلم عن الخلاف الذي دار بين الأمير عبد القادر وأحمد بن سالم وتعيين خليفة[3] عن الأغواط ويتكلم عن الكراهية بينه وبين أحمد بن سالم الذي وجد الدعم في عين ماضي مع التيجانيين وطرد خليفة الأمير والذي خلعه ووضع

---

[1] ابراهيم مياسي ، التوسع ، مرجع سابق ، ص 78 .

[2] - ابراهيم مياسي ، التوسع ، مرجع سابق ، ص 78 .

[3] Domas . OP Cit ; P 44

سيدي قدور بن عبد الباقي من قبيلة ولاد خليف الذي نزل بتاجموت ويواصل ويتكلم عن بإسهاب عن التوتر الموجود بين قادة الأغواط وحلفاء الأمير عبد القادر حيث أن بن سالم في أفريل 1844 أرسل طلبا إلى الحاكم العام لترشيحه للقب خليفة الأغواط ويقدم لنا دراسة وصفية عن المنطقة من حيث طابعها الزراعي وعمرانها مثل قوله قصر الحيران : قصر مكون من 120 منزلا ، به ساحات ومطامر وهو محاط بحزام من الأسوار الهشة ولكنها مرتفعة[1] ، سكان قصر الحيران يسمون الرحمان ويتكلم أيضا عن قبيلة الأرباع وقبيلة الحرازلية وقبيلة أولاد سيدي عطا الله[2] ، بعد هذه النبذة عن الأغواط يواصل المستر دو كدي دوماس رحلته في اليوم السادس عشر متجها من الأغواط إلى ورقلة ليصل في اليه العشرين إلى غرداية وبعد وصوله يتكلم أو يعرف هذه المقاطعة يعني ميزاب الذي يقول عنهم : أنهم أمة لوحدهم[3] وسط سكان الصحراء تختلف بعاداتها المتشددة ولهجتها الخاصة احتمالها الذي يضرب به المثل وبعض الاختلاف في تطبيق العبادات رغم أن سنها الإسلام .

ويقول عنهم أيضا أنهم محمديين لكنهم من الخوارج لذلك توجد بينهم وبين العرب كراهية لا تظهر نتيجة العلاقات والمصالح التي تجمع بينهم .

ويواصل وصفه لأصل التسمية التي تنسب ربما إلى الواد المسمى ميزاب ويتكلم عن المدن الأساسية لبنبكيزاب وهي : غرداية ، مليكة ، بونورة ، بني يزغن ، العطف ، بريان ، القرارة ليصف كل مدينة لأبوابها وأسوارها ومنازلها ومساجدها وأشجارها وجبالها وشوارعها وزراعتها ونشاط نسائها .

ليواصل ويتكلم عن علاقة الأمير عبد القادر ورفض بني ميزاب لسيطرته[4] .

يواصل رحلته في اليوم الواحد والعشرين من بني يزغن ليصل في اليوم الرابع والعشرون بعد قطع مسافة 44 كلم ليصل إلى سفح الجبال التي تغطي ورقلة وعلى بعد 52 كلم نصل إلى ورقلة.

يصف ورقلة بوقلة : (( من القمة الجافة و المتجردة لشعبة المحل تحيط بالمسافر[5] غابة من النخيل مدرجة على المنحدر الجنوبي و التي تصل إلى السهل تمتد على مسافة قدها 4 كلم )) يصف حدائقها و أبوابها و أحيائها و مساجدها[6] .

ثم تكلم عن ماضيها بزعمها أنها أقدم مدينة بالصحراء و حكايتهم مع سلطان المغرب التي تتمثل ببعث خليفة شريف على المنطقة من سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم و يعطوه مقابل وزنه ذهبا ص 103 .لقي هذا السلطان مكانة هامة هو و أبنائه و كانوا أحسن الأمراء لكن بعد ذلك ظهرت المنافسات و تغيرت الأحوال فيما بعد.

---

[1] Ibid ; P 55

[2] Domas . OP Cit ; P 72

[3] Ibid ; P 74

[4] Ibid ; P 96

[5] Domas ; OP . Cit ; P 99

[6] Ibid ; P 100

بعد التكلم عن حكم ورقلة يتكلم عن سكان ورقلة و لون بشرتهم و العلاقة الموجودة بين البشرة البيضاء و البشرة السوداء وعن أخلاق سكانها م عن عاداتهم في الأعياد ثم يبدأ في التكلم عن كل مدينة على حدى . مثل الرويسات ، الحجاجة ، وعين عامر و سيدي خويلد و عن قبائلها : المخادمة ، شميت ، بوروبة ، سعيد[1] .

هذا بالنسبة للطريق الأول من الجزائر العاصمة إلى ورقلة مدة أربعة و عشرون يوما قطع فيها مسافة 199 كلم قدم فيها دراسة تحليلية و صفية طبيعية و بشرية و نبذة تاريخية لأهم هذه المحطات .

ثم تكلم عن رحلته في طريق ثاني من الجزائر إلى تقرت ليصل إلى بوسعادة مدة ثمانية أيام . اليوم الأول بعين خضرة ليصل في اليوم الثامن إلى بوسعادة مرورا بأودية مثل واد خميس و سور الغزلان و زاوية سيدي عيسى . ثم يواصل في اليوم التاسع من بوسعادة إلى المسيلة مثلما فعل سابقا .

في اليوم العاشر يواصل رحلته نحو الشرق و اليوم الحادي عشر يصل إلى مدوكال و يواصل سيره نحو الجنوب الشرقيليصل في اليوم الثالث عشر إلى الوطاية ثم بسكرة ليتكلم عن بسكرة فيقول عنها : "بسكرة ليست مدينة بأتم معنى الكلمة فهي جمع لسبع قرى .....بمحاصيل النخيل التي تغطي تقريبا 20000 هكتار ... هذه المدينة هي العاصمة السياسية للزيبان" و يعرف لنا الزيبان وخصائصها و قبائلها ، وأن معنى كلمة الزيبان هي جمع لكلمة "زاب " أي أنها تتكون من زاب ظهراوي شمالي و زاب قبلي من الجنوب و زاب شرقي من الشرق ، ويتكلم عن قرى كل زاب على حدى ، ثم يتكلم عن إنتاجهم الزراعي و مؤنهم و تجارتهم و علاقتهم بالقوافل و الأسواق ، ثم يتكلم عن قبائلها مثل قبيلة أهل بني علي ، و قبيلة الشرفة ، و قبيلة القراميرا و قبيلة الدرايد ، ثم ينهي دراسته بالشكر لمن ساعده ، ليرى أن وصوله إلى بسكرة و بعد احتلالها سهل لهم الوصول إلى تقرت ليتكلم عنها و يقول : << ... تقرت هذه السلسلة من 35 قرية على خطين من النخيل التي يسميها العرب " نهر رواغة " نسبة إلى سكانها ولاد غير . فهي عبارة عن واد خصبة التربة وسط الرمال بها مياه كثيرة تتوسطها حدائق ، الخمسة و الثلاثون قرية يكونون دولة صغيرة عاصمتها تقرت وهي : مغير ، سيدي خليل ، دنوفة ، بارد .....التماسين >> ثم يتكلم عن مورد الماء الذي يستخرج من الآبار وكيفية ذلك ثم يواصل تحدثه عن ما قاله ليون الإفريقي كما يسميه عن سكان تقرت فقال : ((سكان تقرتمختلطوا النسب يتزاوجون مع العبيد )) و .....أن سكان تقرت سود البشرة و أن بيض البشرة هم بربر من الشمال طردوا نحو الجنوب بسبب الغارات الرومانية و الوندالية . ووجود 60 عائلة ذات بشرة بيضاء ، وأن العائلة الحاكمة ذات بشرة بيضاء و لا يتزاوجون الا فيما بينهم ، وحاكمها يلقب بالشيخ ، و حكمه وراثي من عائلة بني جلاب ، ثم يتحدث عن الحرب التي حدثت بين الصالح باي و سكان تقرت منذ أربعين عاما ، ثم يتكلم عن المداخيل[2] . و التقاء القبائل الأربعة و الأربعين بتقرت و يتكلم عن تجارتهم و أنواعها .

[1] Ibid ; P 117

[2] Domas ; OP ; Cit ; P 172

- و يعود بنا الكاتب المستر دو كدي دوماس في كتابه ليوضح لنا الطريق من بسكرة إلى الاغواط عن طريق وادي حدي و يفصل فيه و يوضح مسالكه ليرى أن الطريق من بسكرة إلى الاغواط من الشرق إلى الجنوب الغربي ليصل في اليوم الثالث إلى الآثار الرومانية حسب قوله مثل : ذراع الرمل . قصر الحيران .

ثم يتكلم عن ولاد جلال و سيدي خالد ثم إلى دمد في اليوم الثامن إلى مسعد على بعد 8 كلم و في اليوم العاشر يصل إلى قصر الحيران و يقطع بذلك مسافة 79 كلم .

ثم يعود ويتكلم عن الطريق من سوف إلى غدامس و هو طريق من الشمال إلى الجنوب الشرقي وسط الرمال على مسافة 138 كلم لمدة 19 يوما . ليصل من سوف إلى برادمس و مثلما تكلم عن بسكرة و الاغواط و تقرت يتكلم عنها و عن ماضيها و سكانها و قبائلها <<سوف – أولاد عبد الكامل –أوغاما>> وعن تجارتهم لمسحوق الذهب .

- و في مضمون ذلك يتكلم و يصف الطريق من تقرت إلى غرداية و الاتجاه من الشرق نحو الغرب في خمسة أيام تبدأ من كغزات و في اليوم الخامس بغرداية على مسافة 62 كلم

يواصل دوماس التكلم عن الطرقات .ليتكلم عن الطريق بين تقرت[1] و الاغواط و الاتجاه يكون من الجنوب إلى الشمال الغربي لمدة عشرة أيام و يقطع مسافة 77 كلم .

ثم يتكلم عن الطريق من تقرت إلى دمد و الاتجاه من الجنوب إلى الشمال الغربي و من تقرت إلى سيدي خالد إلى غرداية و الاتجاه من الشمال إلى الجنوب الغربي . وكذا الطريق من سيدي خالد إلى غرداية و الاتجاه من الشمال إلى الجنوب و كذا الطريق من دمد إلى غرداية من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي ، ويختم الطرق إلى غرداية لينتقل إلى الطريق من تقرت إلى ورقلة جنوب غرب و من تقرت إلى قفصة مرورا بتندوف[2] .

- **رحلة فلاترز :**

قام فلاترز برحلتين الأولى من ورقلة إلى الاغواط ، تضم هذه الرحلة عشرة أعضاء هم فلاترز عقيد المشاة و القائد الأعلى الأسبق للاغواط موسون "" ، نقيب أركان الحرب برانجير "" مهندس الجسور و الطرقات وروش "" مهندس المناجم ، و برنار "" النقيب في سلاح المدفعية غيارد "" الطبيب ، ة لوشاتوليه "" ، و بروسلار "" ملازمي المشاة كابايو "" و رابودرن "" مسيري الجسور و الطرقات وتم تعيين هؤلاء الأعضاء شهر ديسمبر1879 م[3] .

[1]Domas . OP Cit ; P 234

[2]Domas ; OP ; Cit ; P 276

[3]Flatters , Les deux missions du colonel Flatters an Afrique , Paris 1884 , P 01 .

- انطلق البعثة من ورقلة يوم 21 ماي 1880 م . بحوالي مائة بعير متوجه نحو منطقة الزاب ، سالكة دروبا جديدة عندهم لهذا قدم فلاترس معلومات وافية حول المناطق التي اجتازها من وصف الكثبان الرملية و الصخور والاودية و الاشجار و الغزلان و الحدائق بوادي ميزاب و غيرها .
- و في 26 ماي ، غادرت البعثة العاطف واتخذت مجرى وادي ميزاب خط سيرها إلى أن وصلت مدينة بني يزقن بغرداية التي قدمت لهم الضيافة عن طريق رئيس جماعة الحاج يوسف[1] .
- وبعد تجول البعثة في أحياء مدينة غرداية ، غادرتها يوم 28/ ماي متوجهة إلى بلدة بريان التي قضت بها يومي 29 و 30 ثم واصلت طريقها إلى أن دخلت مدينة الاغواط يوم 23 جوان على الساعة العاشرة صباحا و كان في استقبالها القائد الأعلى بولا "" الذي استضافهم عنده[2] وبعد هذه الرحلة ذهب فلاترز إلى باريس حيث استقبل من طرف مصلحة الطريق الصحراوي "" والتي سلمت له الأموال اللازمة من اجل إعادة الكشوفات في الشتاء المقبل .
- و هكذا رجع فلاترس إلى ورقلة ، حيث نظم رحلته الثانية إلى أقصى الجنوب الجزائري . واكتشاف بلاد التوارق و دراسة مشروع خط حديدي عبر هذه الغيافي و ظهرت هذه البعثة بمظهر الاستكشاف العلمي و السلمي . كما تضم احد عشر فرنسيا و سبعة و أربعين جنديا من الأهالي و 32 سائق بعير و 8 رجال الشعانبة للاستدلال عن المسالك ، و أربعة من التوارق[3] . و مجموعة من الجمال تحمل أمتعتهم .
- انطلقت البعثة من ورقلة في ديسمبر1880 م متوجهة نحو السودان و بعد أيام استقرت البعثة بإيزامن ثم غادرتها يوم 30 جانفي 1881 م[4] . للبحث و التعرف على سبخت أمارقورالتي تعد مدخلا للسودان .
- وبعد الاستقرار في واد تاجيرت انطلقت البعثة في أول فيفري للبحث عن هذهالسخة ، وانحدرت مع واد تاجيرت نحو الجنوب داخل خندق جبلي إلى أن وصلت إلى سهل منبسط و مغطى بالحجارة السوداء في مختلف الأحجام حيث لا اثر للنباتات و الحيوان لذلك نبه الدليل رئيس العقيد "فلاترز " بأنه لا يعرف هذه الأرض و انه لا يتذكر طريق السبخة و يجب أن يرجع إلى المسالك المعروفة حتى لا تتيه البعثة .
- واصلت البعثة رحلتها في ظروف صعبة نفذ لها الم. مما أدى إلى عطش بعض إفرادها و ظهر عليهم الإرهاق و تفكك صفوفها و تباعدت المسافات بين إفرادها و كان العقيد " فلاترز "يشجعهم و يتقدمهم حتى عثروا على

[1]Ibid ; P 168 – 173 .
[2]Ibid ; P 181 – 182 .
[3]Grammont , le colonel Falatters , in ReueAfricaine , N 026 , 1882 , P 78 .
[4]Bernard , Deuxième Misionplatters , historique rapportavec document , Algérie, 1882 , P 69 .

غدير به قليل من الماء وجدوا بجانبه بئرا نصبو مخيمهم حوله و مكثوا يومين هناك 7 و8 فيفري[1] . تم تابعت القافلة مسيرتها يوم 09 فيفري 1881 م . عبر الهضاب و التلال . حيث بدأت تتصل بسكان المنطقة و تلتقي من حين لآخر بالتوارق الذين بدأويتحوشون بالبعثة حتى وصلت إلى تماسنيت و استقرت بها يومي 12 و 13 فيفري و تقابل فلاترز في هذه الرحلة مع العديد من التوارق . و الذين توعدوه لأنه لم يظهر لهم الاحترام و التقدير ، كما استانفت البعثة مسيرتها يوم 14 فيفري عبر الجروف و الأودية ، إلى أن خرجت من التضاريس الوعرة ، ودخلت يوم 16 فيفري سهلا شاسعا مليا و حوالي الساعة العاشرة صباحا ، توقفت البعثة و أعطى فلاترز الأمر بتنصيب المخيم ، ريثما مع مساعديه و الدليل بالبحث على بئر الغرامة .ولكن التوارق نصبوا له كمينا بجانب هذا البئر ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين قتل على إثرها فلاترز و بعض أعوانه[2] .فتفرقت بعد ذلك البعثة و لاحقهم التوارق فقتل البعض منهم و فر بعضهم الآخر ، ومات اغلبهم في الطريق عطشا م لم ينج منهم إلا القليل من الأهالي الذين رجعوا سالمين من ورقلة [3].

وهكذا كانت إحداث هذه البعثة بمثابة صدمة عنيفة للعمليات الاستكشافية في الصحراء و أصبحت تعد من الوسائل المحفوفة بالمخاطر، لذلك تعطلت الاستكشافات و لمدة قصيرة ما لبثت أن انطلقت من جديد و بكل قوة رغم مخاطرها

[1]Flatters , les deux mission PP 232 – 237 .

[2]Flatters , OP , Cit , P 238 – 245 .

[3]Flatters , OP , Cit , P 250.

# الفصل الثاني :

# مراحل التوسع العسكري الفرنسي

# في الصحراء (1844-1882)

## 1- احتلال بوابة الصحراء بسكرة 1844 والأغواط 1852

## 2- احتلال منطقة تقرت وورقلة 1853

## 3- احتلال اقليم وادي سوف 1854

## 1. المبحث الأول : احتلال بوابة الصحراء بسكرة 1844م والاغواط 1852.

### ✓ أولا : الاحتلال الفرنسي لبوابة بسكرة

كانت بسكرة إحدى القرى البربرية القديمة ،كانت تسمى فسيكرة في عهد البرابرة وتدعى أيضا ملكة الجنوب وقد تمركزت بها الديانة المسيحية إبتداءا من العهد الروماني فانتشرت في مناطقها الدور و الكنائس إلى أن فتحها العرب بقيادة بن نافع الذي قتل بإحدى ضواحيها المسماة الآن باسمه أي بلدة سيدي عقبة ... [1] .

### ➢ أوضاع منطقة الزيبان قبيل الاحتلال :

تتميز منطقة بسكرة بموقعها الجغرافي الهام الذي يعد حلقة وصل مابين الجنوب الشرقي الصحراوي و الشمال الشرقي التلي للقطر الجزائري وتمتد بمحاذات الحدود الجزائرية التونسية وجبلا الأوراس في الشمال التي تعتبر كحاجز طبيعي يفصلها عن التل ، أما القسم الجنوبي فتغطيه الكثبان الرملية المتقطعة بشط ملغيغ وواحات وادي سوف ووادي ريغ .

وقد حددت الظروف البيئية مواقع الإقامة و الإستقرار بحيث أدت إلى يتميز المجتمع بتوزيع جغرافي يتلائم مع توزيع الأراضي الغنية بالمياه الجوفية ، والتي تقوم عليها واحات النخيل التي تعتبر المصدر الأساسي لرزق معظم السكان .

وهكذا يتجمع السكان في الشمال عبر واحات بسكرة و الطاية والقنطرة و بالغرب في واحات سيدي عقبة ومشونش وزيبة الوادي وخنقة سيدي ناجي ، أما في الجنوب فيستقر بعض السكان على إمتدادات واحات السوافة و الرواغة. [2]

وقد تعاقبت على هذه المناطق أمم عديدة منذ العصور الحجرية إلى الفتح الإسلامي وعرفت ، أحداثا تاريخية كبرى إلى أن استولى عليها الأتراك العثمانيون في نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي وحكموها بواسطة بوعكاز في الشمال وأسرة بني جلاب في الجنوب ، ويعد الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر في صيف 1830 ، إنتشرت قوات الإحتلال في البلاد للسيطرة و التوسع حتى دخلت مدينة قسنطينة إثر الحملة الثانية ، يومي 13و14 أكتوبر 1837 [3] .

بعد المقاومة العنيفة من طرف السكان بقيادة الحاج أحمد باي ، غير أنهم لم ينقروا وأجبره أحمد باي على القرار مع بعض أقربائه وجزء من جيشه إلتجأ إلى الجنوب لجلي الأنصار من بسكرة و الصحراء عن طريق اصلاره من عائلة إبن قانة المشهورة و التي كان لها الأثر الكبير في تجنيد القبائل الصحراوية لاسترجاع مدينة قسنطينة لذلك تشكل أحمد باي زمالته بجميع الذين خرجوا معه من قسنطينة ، واقترح عليهم التوجه إلى الجنوب للإرتكاز به ثم الإنطلاق لمحاضرة قسنطينة و التمركز على طريق عنابة لقطع المدد و الإتصالات عن العدو بذلك يحقق النصر ، غير أن خاله ، بوعزيز

---

[1] - ابراهيم محمد الساسي عوامر ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ،ط2 ، ثالة ، الابيار ، الجزائر ،، ص 31

[2] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للجزائر ، المرجع السابق ، ص 27

[3] - mémoire du maréchale de Mac-Mahon , duc de magenta souvenir d' publies le compte G4y demi rible , pari plomb , 1932 p 39

بن قانة عارض هذا المشروع و أشار عليهم بالتوجه إلى الصحراء أولا لمحاربة خصمهم العنيد فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز وتشيخ العرب في الوييان وطرده منها ثم التوجه بعد ذلك بقوات كبيرة وموحدة لمواجهة الفرنسيين بقسنطينة ، لم يستحسن الباي أحمد هذه النصيحة ، إلا أنه أرغم على ذلك لكونه لم يشك لحظة واحدة في إخلاص بوعزيز له .

وبعد يومين من ضياع قسنطينة وحينما كان أحمد باي يستعد للإنسحاب نحو الصحراء وفق خطة خاله ، إتصل به مبعوث من قبل قائد القوات الفرنسية في مسعكره بـ "أم الأضاب" قدم له رسالة قصيره تتضمن مايلي :

"تعالوا أطلبوا الأمان و إستسلو سريا سنبعثكم إلى فرنسا" فأجابه بالرفض لكن سرعان ما جاء شخصان آخران بعد ذلك بثلاث أيام وهما إبن العطار من قسنطينة و الحاج باي من عنابة موفدين من قبل نفس القائد وعرض عليه نفس الإقتراح السابق فأجابهم بالإيجاب وفضل التوجه إلى بلد إسلامي و إلى بيت الله ولما سمعه إبن قانة إعترض عليه لأن الباي يريد أن ينكث العهد الذي ضرب على نفسه بمواصلة النضال [1]

ولهذا ارضخ الباي برغبة خاله ورفض العرض الفرنسي واخذ طريقة إلى لبسكرة وقد أرسل أمتنته إلى بلدة القنطرة ومنها إلى الأوراس بقرية منعة. وعند وصوله إلى بلدة الوطاية علم أن فرحات بن سعيد يلاحقه وقد دعم صفوفه بأولاد عبد النور و البلزمة و الحضنة ، ثم قام بهجوم كاسح على مدينة بسكرة كأول مواجهة بين الأشقاء و الذي إستمر طويلا كصراع دموي بين الأخوة الأعداء لينهك قوتهم التي يجب أو توجه إلى العدو الحقيقي وهو الإحتلال الفرنسي ، إنتصر فرحات بن سعيد على قوات أحمد باي واحترز منهم بعض الرهائن كدليل على إنتصاره و أقسم أنه لن يراسل إلا "المارشال""فالي" (vallee) حاتم قسنطينة ليخبره رسميا بالنصر الذي أحرزه على عدوه هو بهذا الإجراء يريد أن يتقرب من السلطة الفرنسية ، كما أبلغ أيضا قائد قسنطينة "حمودة ولد الشيخ ، ، بأنه سيرسل إليه الرهائن المحتجزين عنده من بسكرة وحسب تقرير المارشال"فالي" الذي رفعه إلى وزيره من الجزائر بتاريخ 04 جانفي 1838 فإن الأمير عبد القادر يبحث عن توسيع نفوذه عبر قبائل مقاطعة قسنطينة وهو على إتصال بفرحات بن سعيد الذي إستولى على بسكرة وأبعد منها أحمد باي ، لذلك يقترح المارشال على الوزير تعيين فرحات بن سعيد كقائد على قسنطينة مكان سي محمد (حمود بن شيخ الفقون) المسلم و ضعيف الشخصية [2] بينما فرحات رجل قوي ورجل حرب قادر على تعويض أحمد باي ويمكن أيضا جعل مدينة بسكرة عاصمة لـ "باليك" جيدي وتنصيب فرحات بن سعيد على رأس إدارته وبذلك نضمن ربطه نهائيا بقضية فرنسا وطبعا كان الرد من باريس بالموافقة يوم 17 جانفي 1838. [3]

---

[1] - مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، تر محمد العربي الزبيري ، ط2 ، الجزائر ،1981 ، ص 76-77.

[2] - محمد صالح العنتري ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة أو استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ، مراجعة وتقديم يحي بو عزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ،ص 114

[3] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 29

وفي 02 فيفري 1938م ذكر المارشال أيضا في تقريره إلى باريس أنه راسل فرحات بن سعيد واتفق معه حول حدود الإقليم الذي أصبح تحت إدارته وسلم له قفطان الشرف ثم تنصيبه قائدا على إقليم الصحراء ولذلك أرغم المارشال أن سيادة فرنسا على جنوب مقاطعة قسنطينة المتاخم للصحراء قد تم تنفيذه.

ويظهر أن المارشال قد جانب الصواب في هذا التقرير حول سيادة فرنسا على الصحراء ، لأن خضوع الجنوب و الصحراء للإحتلال الفرنسي مازال لم يتم بعد ، و إنما الذي حصل هو عبارة عن مناورات ومناوشات بين أعداء الأمس و التنافسين بل المتصارعين على المناصي و الوصول إلى السلطة كما أن هذه التدابير التي إتخذتها الحكومة الفرنسية تجاه فرحات بن سعيدة لم تفلح بفعل الأحداث و الوقائع الدموية التي تمت بينه وبين خصومه من أنصار أحمد باي وبوعزيز بن فانة ذلك أن أحمد باي قد اتجه من الوطاية إلى طولقة أين نصب معسكره بالقرب من زواية سيدي رحال بين فوغالة و العامري من اجل التصدي لقوات فرحات وقطع المدد عنه ، حيث اعترض البرازيد لحوالي خمس مائة جندي مشاة من أولاد نايل كانوا في طريقهم لنجدة ودعم قوات فرحات بن سيعد التي تعسكر بواحة ليشانة و اشتبكوا معهم لنصرة الباي وقتل الكثير منهم .[1] لهذا عزم أحمد با على مهاجمة خصمه فرحات قبل يتقوى ساعده في كل من "الليشانة و الزعاطشة " ووقعت معركة ضارية بموقعة "صحيرة" وهي من أخطر المعارك الدموية بين الطرفين بالزيبان . حيث قتل من قوات فرحات بن سعيد أكثر من ست مائة رجل وقتل لأولاد بن قانة أكثر من مائة جندي أيضا [2] .

إلتجأ فرحات بعد ذلك إلى أولاد نايل ، أما الباي و إبن قانة فقد عملا وفق مخطط وضع من اجل سحق كل واحات الزاب القبلي و الزاب الظهراوي إنتقاما منهم لمؤازرتهم لفرحات ، وبعد هذه المعركة طلب فرحات المساعدات من الفرنسين ولم يطلب سوى كتيبتين أو ثلاث فقط. لكنهم ما طلوه ولم يلبو له مطالبه وبقي ينتظر دون جدوى كما علم أيضا بخبر تعيين إبن عيسى خليفة الباي سابقا كقائد وخليفة لهم على المنطقة الساحلية للشمال القسنطيني فساورته الشكوك في موقفهم نحوه ، لهذا غير وجهته نحو الأمير عبد القادر الذي كان يسعى إستقطاب قادة مقاطعة قسنطينة فراسل إبن يلس و إبن عبد السلام المقراني و أحمد الشريف و إبن قندوز و الشيخ بن عكاز هذا الأخير الذي قد رسالة إلى القائد"نقريبه" ليكشف عن فحواها إلى السلطات الفرنسية لأنها تحثهم على الجهاد و الإلتفاف حول الأمير لمقاومة المحتل فإستقل فرحات هذه الظروف و أخذ يتقرب من الأمير علة يستفيد ويظفر بمنصب إداري أوسياسي في دولة الجزائر الفتية تحت قيادة الأمير عبد القادر خاصة حينما شعر أن فرنسا قد تخلت عنه واتفاقهم خطر عدوه أحمد باي ، كما أراد يؤكد للأمير أنه قادر على طرد الأعداد من الصحراء لأنه معروف وملقب م طرف الجميع وخاصة المقربين منه ثعلب الصحراء[3] وفي هذه الأثناء بعث الحسن بن عزوز، الكاتب الخاص لفرحات بن

---

[1] - ابراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ، المرجع السابق ، ص 30 .

[2] - bouaziz ben gana, le chiek el arab , étude historia su la Bamille Ben gana , Alger , Bastid Jordan 1930 , p 56- 57 .

[3] -ابراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ، المرجع السابق ، ص 31 .

سعيد ، برسول سريا إلى الأمير وهو سي السنوسي ليقابله ويطالب منه أن يعين الحسن بن عزوز بن خليفة على الزيبان لأن أحمد باي و أنصاره يعيثون في الأرض فسادا من قتل وسلب ونهب وظلم في الجنوب الجزائري ، وأن سي الحسن عزوز شخصية مرموقة له أنصار كثيرون في الزاب يمكنونه من القضاء على أحمد باي فضلا عن قدراته في جميع الثروات ومنها الضرائب [1] .

وبعد مدة إتجه إبن عزوز بنفسه إلى الأمير عبد القادر صحبة الحاج الباي (شقيق فرحات) رسولين من طرف فرحات بن سعيد لنفس الغرض . لكن الأمير عبد القادر رشح الحسن بن عزوز عينه خليفة على بسكرة و الزيبان ، وكلف نائبه في بوسعادة القائد البركاني بأن ينصبه في وظيفته الجديد ، فأخذ معه قوة هائلة تتكون من ألف ومائتي فارس وسع مائة جندي مشاة وكمية من الأسلحة و الذخيرة وتوجهوا جميعا إلى بسكرة التي فر منها أحمد باي و أنصاره إلى الشمال نحو بلدة القنطرة أين جمعوا أمتعتهم وحملوها على الجمال وصعوبها إلى جبال الأوراس . [2]

طلب البركاني من فرحات بن سعيد أن يرافقهم إلى بسكرة فقبل ذلك على مضمن وقال للحسن بن عزوز "هكذا ذهبت رسولا وعدت خليفة". لكنه وعده بالتأييد و المساعدة في مهامه الجديدة شريطة أن يعمل من أجل القضاء على أحمد باي من بسكرة أواخر عام 1838م لكن فرحات بن سعيد لم يقتنع بهذا الوضع ، فعاود الإتصال سريا مع الضباط الفرنسيين ليجدد العلاقة معهم ، فراسل الماريشال "فالي" الحاكم الجزائر العام في ذلك الوقت ، كذلك الجنرال "نقريبه" قائد قسنطينة ولكن رسوله إلى الجزائر قتل ووقعت رسالته في أيدي الحسن بن عزوز الذي حولها في الحين إلى الأمير عبد القادر بينما رسوله الآخر تمكن من الوصول إلى قسنطينة ولكن رسالته لم لم تسلم للمسؤولين الفرنسيين لأنها وقعت في أيدي أعدائه فأخفوها ثم ارسلوها إلى خصمه "إبن قانة بالصحراء الذي حولها بدوره إلى قريبه إبن احمد بلحاج سيدي عقبة[3] فنقلها هو أيضا إلى الحسن بن عزوز، لهذا إنكشف أمر فرحات بعد أن تعاون عليه الرجلان ، ليعاقبه الأمير حيث أصبحت هذه القضية مضرب الأمثال بالمنطقة وهو :"منبع مدية القارة معه ثعلب الغيران ، تعامزو على سيد الغابة".

أعطى الامير عبد القادر أوامر بإعتقاله فإستدرجه البركاني باللطف و اللين على مدينة المدية و هناك إعتقله ثم إقتاده إلى العاصمة الأمير تقدمت أين سلمه للأمير فوضعه في السجن.

أما أحمد باي فقد أرسل الياي العالي من أجل إرسال النجدة المتمثلة في القوات العسكرية و الأسلحة المختلفة ، وكذلك طلب من باي تونس المساعدة للخروج من المحنة التي يتخبط فيها ، غير أن لدولة الحسينة كانت مضايقة من طرف الهيمنة الفرنسية المترصبة بكل الحركات لذلك لم تتمكن من تقديم المساعدة الضرورة . [4]

---

[1] - ابراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ، المرجع السابق ، ص 31

[2] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسية للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 32

[3] - ابراهيم مياسي ، قبسات ..... ، المرجع السابق ، ص 56.

[4] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص32 .

## 2- دور إبن قانة في تدعيم الاحتلال الفرنسي في الزيبان :

لم يتمكن باي قسنطينة الحاج احمد رباي من تحقيق مسعاه و استرداد حكمه رغم مقاومته المستميتة لذلك تيقن ابن قانة[1] من ان أحمد باي قد خسر كل شيء في الجزائر وما عليه إلا الانفصال عنه و الاستسلام إلى السلطات الفرنسية ، وكان الفرنسيون يخططون من أجل كسب العائلات الجزائرية الكبرى إلى صفهم ليحكوا بواسطتها الشعب الجزائري فأسندوا إلى بعض أفرادها الوظائف و المناصب و القيادات ، و أغدقت عليهم المال و الجاه ، وعلقت لهم الأوسمة و برزت في الشرق الجزائري عائلات متنافسة على السلطة كعائلة بوعكاز، إبن عاشور ، إبن قانة ، إبن زكري ...وغيرها [2].

وفي هذا الصدد نكشف بعض الوثائق التاريخية عن من آلة إليه بعض الشخصيات الجزائرية في هذه الظروف حيث بعث الجنرال"قالبوا"" GABOIS"حاكم قسنطينة ببرقية إلى الماريشال حاكم عام الجزائر بتاريخ 15 ديسمبر 1938 سرد فيها حالة "فرحات بن سعيد" وتعاونه في البداية مع فرنسا لكنه خضع الأمير عبد القادر وبعد ذلك ثم محاولته لاتصال بالفرنسيين مرة أخرى فتفطن الأمير لمكائده فألحق القبض عليه وسجنه أما بوعزيز بن قانة فهو آخر قائد بقي في الصحراء تحت سلطة احمد باي حيث لحق بثورة سيده وصهره وحينما لاح احمد باي قد ابعد من تفكيره كل إمكانية للسلم غادره وسارع إلى مكاتبة الحاكم الفرنسي للحصول على الأمان والنمام إلى الصف الفرنسي وقد اعتبر هذا الحدث انتصار ثمينا للاستعمال الفرنسي يمكنهم من تهدئة الوضع السيطرة عليه ذلك أن بوعزيز بن قانة رجل سياسي اعتاد على خدمة الدولة كما انه ثري ويمتلك العديد من الممتلكات بمدينة قسنطينة وضواحيها بذلك كان الجنرال قالبوا يفضله على خصمه فرحات ليشغل منصب شيخ العرب بالزيبان

مما لا شك فيه أن فرنسا كانت آنذاك في أمس الحاجة إلى عائلة عربية تعتمد عليها في ترسيخ نفوذها ومحاربة أعدائها خاصة قوات الأمير عبد القادر التي أحكمت قبضتها على كامل الجنوب فبمجرد خضوع ابن قانة للسلطة الفرنسية حيث ابرق الجنرال قابلوا مرة أخرى إلى الجنرال ماريشال ليخبره بالحدث المهم عن طريق برقية ابن قانة بنفسه إلى قسنطينة بتاريخ 29 ديسمبر 1838 تطرق فيها إلى كيفية مثول ابن قانة بنفسه إلى قسنطينة ومعه حوالي ثلاثين شخصية من أعيان الصحراء و الجريد[3] لم يعرف معظمهم مدينة قسنطينة وأكدوا خضوعهم وإخلاصهم لفرنسا لهذا يجب إرسال التعيين الرسمي لابن قانة في اقرب وقت ممكن .

---

[1] - ابن قانة ينتمي إلى قرية دحاس قرب مدينة المدية ومارس حرفة الحدادة ولقد شاع نفوذ هذه العائلة أيام احمد باي ثم في عهد الاحتلال الفرنسي ويشمل نفوذهم تقريبا كامل الصحراء حيث أصبح خادما مطيعا للحاكم العام : انظر موسوعة أعلام الجزائر ، المرجع السابق ، ص 91 -92

[2] - ابراهيم مياسي ، قبسات من تاريخ الجزائر .... ، المرجع السابق ، ص57 .

[3] - الجريد : هي لوحات رائعة في الجنوب الغربي التونسي ويظهر أن السلطات الفرنسية لا تفرق الأقاليم ا وان هناك تمويه من طرف بوعزيز ابن قانة ليقنع الحكام الفرنسيين أنها تابعة لشيخ العرب في الجنوب الشرقي الجزائري ، انظر : ابراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر ..... ، المرجع السابق ، ص 72 .

وهكذا استسلم ابن قانة ووضع نفسه ومن معه في خدمة الاحتلال الفرنسي فاغتبط الفرنسيون بهذا الخبر وخيل لهم أن احتلال جنوب الصحراء قد تم لهم وتراسل الضباط والولاة فيما بينهم يهنأ بعضهم بعضا وسرعان ما جاء الرد من الحاكم العام بتاريخ 14 جانفي 1839 أيد فيه المريشال فالي اقتراحات قالبوا[1] ووقع قرار تعين بأمر من ملك فرنسا وفيمايلي نص القرار :

- المادة الأولى : يعين للإجابة على سيد بوعزيز بن قانة شيخا للعرب تعويضا لفرحات سعيد
- المادة الثانية : يتولى السيد بن قانة وفقا لترتيبات هذا القرار وإدارة المدن والقبائل التالية :

بسكرة المدينة وضواحيها ، فلياش ، شتمة ، سيدي عقبة ، اوماكش ، بوشقرون ليشانة و الزعاطشة و فرفار و الصحيرة و المخادمة و أولاد مليلي القنطرة وقبائل أخرى تابعة لقيادة الزيبان وفي نفس القرار عين سي محمد بوعزيز بولخراس بن قانة قائدا على أولاد عبد النور خلفا لابن زكري الموقوف من صاحبه فرحات بن السعيد من اجل أن يطمئن الحاكم العام من إخلاص شيخ العرب أرسل له هذا الأخير رسالة بتاريخ 27 جانفي 1939 يعبر له فيها عن ولائه وإخلاصه لفرنسا وقد أجابه المارشال برسالة شكره فيها على استعداده لخدمة السلطة الفرنسية وقد كلف الجنرال قالبو بأن يقوم بتسليم القفطان واوسمه وظيفة شيخ العرب لابن قانة كما انه اعلم سكان بلاد الجريد و الزيبان ووادي ريغ بأن إدارتهم قد وضعت بين أيدي شيخ العرب الجديد وفي الأخير المارشال حرصه على تقديم المساعدات في أي وقت وصدرت هذه الرسالة عن قصر الحكومة بالجزائر مؤرخة آخر يوم من ذي القعدة 1254 هـ الموافق لـ 14 فيفري 1839[2] .

سرعان ما اتخذ بوعزيز بن قانة إجراءات عديدة لتنظيم وترتيب حكمه في الجنوب فبادر بإعلام آهل الزيبان عن تعينه خليفة الجنوب وهو في الحقيقة منصب أسمى من وظيفة شيخ العرب وأرسل مبعوثين يحملان اعتماده إلى كل قرية ولكنها وقعا في قبضة بن عزوز الذي أعدمهما لذلك عزم بن قانة على مواجهة عدوه وخصمه العنيد في الجنوب فطلب المساعدة والمدد من الفرنسيين والمتمثلة في كتيبة فرنسية ولكنهم ماطلوه وطلبوا منه الانتظار مثلما مع فرحات سابق لهذا أجمد شيخ العرب نشاطه تقريبا حتى ربيع 1840[3] حيث أرسل سي لحمد بلحاج بن قانة إلى الغرابة ليجمع شملهم ويستعجل رحيلهم فجمعهم جنوب جلال ثم تحرك بهم لكنهم حينما وصلوا نواحي كينزات لاحظوا بأن مصدر محاصر وهو واقع تحت الحراسة الكاملة لقوات ابن عزوز والتي دعمها بـ800 فراس وأرسلها له احمد بن عمر خليفة الأمير عبد القادر ومنطقة الحضنة [4]

لذلك اغتنم هذه الفرصة واعترض طريقهم من اجل أن يحقق نصرا ساحقا يدعم به مكانته في الإقليم لأنها بدأت تهتز عند بعض الناس وفي 24 مارس 1840 وقعت معركة ضارية بين قوات الأمير عبدا لقادر تحت

---

[1] - ابراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر ..... ، المرجع السابق ،ص 58

[2] - bouaziz ben gana, le chiek el arab , opcit, p 64 .

[3] - ibid , p 76

[4] - ابراهيم مياسي ، قبسات من تاريخ الجزائر ..... المرجع السابق ، 59.

قيادة الحسن بن عزوز والقوات المعادية له من قبيلة الغرابة المدعمة بقوات بن قانة الموالين للفرنسيين ورغم المقاومة الباسلة البطولية التي أظهرتها قوات الأمير عبد القادر مع قائدها الحسن بن عزوز إلا أن الخصم كان عنيدا وقويا واستطاع أن ينزل بهم هزيمة نكراء تكبدوا على إثرها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وتشتت شملهم مما جعل قائدهم الحسن بن عزوز يفر من ميدان المعركة وساحة الوغى على متن حصانه وتذكر التقارير العسكرية الفرنسية أن هذا النصر حقق مكاسب هامة جدا لفرنسا في الصحراء حيث كتب المارشال فالي إلى وزر الحرب يعلمه بهذا الفوز العظيم ومما ذكره : (( إن هذا النصر له أهمية كبرى ولأول مرة منذ عشر سنوات خلت قائد حديث التعين من طرفنا يسير وحده لمواجهة فرق الأمير عبد القادر ويحرز عليها نصرا باهرا ))[1].

غير أن بعض المصادر التاريخية تبين أن القتال في هذه المعركة كان قد وقع ما بين القوات الحسن بن عزوز وقوات قبيلة الغرابة التي رفضت الامتثال لأوامره وكانت تمتلك إمكانيات وقوة معتبرة مكنتها من أن تهزم جيوش الأمير النظامية ويذكر الضابط المترجم شارل فيروا في دراسته بن جلاب : إن بن قانة لما علم بهذا الانتصار سارع إلى ميدان القتال واحتجز مدفعين ورايات وقطع 9000 أذن من أذان القتلى وملأ بها القفاف وبعث بها إلى الحاكم الفرنسي بقسنطينة ناسبا هذا الانتصار لنفسه [2].

واشتهرت هذه القضية في الأمثال الشعبية بالمثل التالي : (( اللحم إذا يرخص يأكله أي مسكين )) وقد أطلق هذا المثل سي احمد بن القاضي قائد مدينة باتنة والذي كان قريبا من الأحداث وتتبع القضية واطلع على كل خفاياها .

ثم قدم تقرير مفضلا حول هذه المسألة للضابط "شارل فيرو" ، لكن بوعزيز بن قانة تعجب من هذه الرواية وكذلك كذب كل تلك الأخبار في كتابه شيخ العرب ، ويؤكد هذا الطرح التقرير الذي "كتبه قالبوا" من قسنطينة يوم 30 مارس 1840 يطالب فيه من السلطات العليا الفرنسية تدعيم بن قانة الذي تغلب على قوات الأمير عبد القادر بقيادة بن عزوز، لهذا يجب مكافأة شيخ العرب بالمال و الأسلحة و الحلي و البرانس حتى يبقى مع أنصاره على ولائهم الخالص لفررنسا . وقد إتخذ المارشال إجراءات سريعة من أجل مساعدة شيخ العرب بمبلغ يقدر بعشرين ألف فرنك ، وبعد هزيمة سلسوا إلتحق الحسن بن عزوز بسرعة بقوات الحاج المصطفى – أخ الأمير – الذي كان يخيم بناحية المسيلة وكانت هزيمة سببا في ضياع هيبته لدى قبائل الجنوب ، مما أرغم الأمير عبد القادر على عزله وتعويضه "بفرحات بن سعيد" الذي أطلق سراحه وكلفه بالإلتحاق بمنطقة "الزيبان" و أنعم بإبالة "بسكرة" وما إليها. [3]

على شرط أن يلاحق أولاد بن قانة مع ترك أفراد عائلته عند الأمير عبد القادر كرهائن حتى يضمن عدم خداعه و استسلامه للفرنسيين مرة أخرى وفعلا أخلص فرحات بن سعيد هذه المرة وأبلى البلاء الحسن و استطاع أن يضايق

---

[1] - ابراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 36 .

[2] - نفسه ، ص 37 .

[3] - محمد عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و مآثر الأمير عبد القادر ، ط2 ، شرح وتعليق حقي ممدوح ، دار اليقضة ،بيروت ، 1964 ،ص 300

القبائل الموالية لأولاد بن قانة خلال سنتي 1840-1841 وسيمنعهم من الارتياد و الانتجاع بمواشيهم للبحث عن الماء و الكلأ كما أنه قام بجولة في الزيبان ، صحبة الحاج المصطفى خلال صيف 1840. مكنتهما من جمع الضرائب . غير أن بعض البوازيد قد عذروا به وقتلوه بأولاد جلال في سبتمبر 1841 حين ذهب إليهم فيمجرد نزوله عن جواده حتى التفوا حوله وطعنوه جميعا طعنة واحد بسيوفهم ،-لأنه حسب ظنهم أن الرصاص لا يخترق جسمه [1] ثم انتزعت منه وثائق وأرسلت إل الحاكم الفرنسي بقسنطينة .

دفن فرحات بن سعيد بعد هذه الحادثة الأليمة ، من قبل أنصاره في ضريح "النبي خالد" بمسجد بلدة سيدي خالد وقد آثار موته موجة من الحزن و الأسى في ربوع الجزائر ، لأن رحيله بعد خسارة كبيرة للمقاومة الجزائرية ، فلقد أصبح اسمه رمز الكفاح و الشجاعة وقد اثر هذا الحدث في نفوس الشعراء فأنجبت قرائحهم العديد من القصائد ضمن الشعر الملحون والشعبي أنذكر منهم القطعة التالية :

يافارس و علاه جيت تسير رد الجواب عني عاود الأخبار

عرق الجواد غطي الدير رد الجواب عني غراعي الصبار

كيفا مات حرمة أصل بن علي فرحات الداوي حرمة من جار

رغم القضاء على فرحات عباس بن سعيد و إقصاء عائلة بوعكاز ، فإن المقاومة الوطنية بقيت ملتهبة ، ولم تعرف منطقة الزيبان لحظة واحدة من الهدوء و السكينة و الملاحظة البارزة في هذا المجال هي أن الخلافات القديمة بين العشائر و القبائل قد لعبت دورا هاما في عدم توحيد المقاومات وجمع الإمكانيات ورص الصفوف ولم الشمل لدحض الخيل المحتل ، وقد استفاد الاحتلال الفرنسي من هذه الوضعية ولو بطريقة غير مباشر، وعمل على بث بذور الشقاق وجذور النزاع ضمن سياسة فرق تسد و أستطاع أن يستدرج بعض العناصر و الشخصيات الوطنية وقبائلهم إلى صفوفه لضرب قبائل أخرى جزائرية .

وفي تقرير العقيد "مارانقوا MAREMGO" إلى الوزارة الحربية في شهر نوفمبر 1839 بين فيه خطة الاستعمار العسكري في الجزائر خلال التسع سنوات الماضية حيث أن تقييم الإمكانيات التي سخرت من أجل استعمار الجزائر تعد قليلة جدا وغير كافية ويجب تدعيمها ، كما يجب أيضا التركيز على معرفة طبائع عرب الجزائر لاستغلالها في احتلال الجزائر و استغلالها أيضا في النشاط الإقتصادي و في الأخير إقترح عدة إجراءات للقضاء على مقاومة العرب و ترسيخ الاحتلال هذا التقرير وقعه الضابط مارنقو في الجزائر يوم 11 جويلية 1840 [2] .

و كالعادة انتقل بن قانة في موسم الهجرة إلى الشمال في ربيع 1842م مع أنصاره الرحل و البدو غلى المناطق الرعي الخصبة في التل ، لترعى مواشيهم الكثيرة وخلال هذه الفترة وقع اتصال مابين قائد بلدة سيدي عقبة "محمد الصغير" بن احمد بن الحاج و الأمير عبد القادر لدراسة الوضع في المنطقة بعد الجريمة و المكيدة التي ذهب ضحيتها فرحات

[1] - ابراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ، المرجع السابق ، ص 37 .

[2] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 39 -40.

بن سعيد بإيعاز من شيخ العرب بن قانة ، وبذلك بقي منصب خليفة الأمير في الصحراء شاغرا ، ولما عرض محمد الصغير بن احمد بن الحاج ولاءه وأبدى استعداده لخدمة دولة الأمير عينة الأمير عبد القادر خليفة له على (مزيبان، ودعمه بكتبه من الجند لمجابهة الأعداد و قوات إبن قانة على الإقليم) . [1]

ولما رجع إبن قانة من السل خرج لاستقباله العديد من الوفود في قرية الوطاية لكن محمد الصغير لم يكن من بين الوفود فغضب شيخ العرب وأرسل له بواخراص بن قانة....ليؤنب خاله. وينصحه بالتوبة إذا كان يريد الاحتفاظ بمنصبه غير أن محمد الصغير لم يكن يكترث بنصائح ابن قانة و أخبر ابن أخته أن الأمير سيرسل له جيوشا غفيرة لمحاربة العدو الحقيقي وهو الاحتلال الفرنسي ، لذلك فزع ابن قانة لهذا الخبر وعمل على مقاومة محمد الصغير ، فأخبر القبائل بعزل قائد سيدي عقبة ثم طالب المدد من السلطات الفرنسية و أوفد بسرعة مساعدة المعتاد سي خالد إلى قسنطينة . لعله يأتيه بالفرق العسكرية الفرنسية مع تنظيماتها الحديثة وأزيائها الجديدة، لكنه لم يرجع غلا برسائل توصية موجهة إلى قادة القبائل من طرف حاكم قسنطينة يحثهم فيها على طاعة شيخ العرب إبن قانة ومساعديه [2]

وفي ماي 1843 حداد الجنرال "باراغاي ديلييه" ، من جديد المقاطعة التي يتحكم فيها إبن قانة وحذف منها إقليم الجريد ، بإعتباره المنطقة النائية ولا يمكن بسط نفوذه عليه . ولكن غاب عنهم أن الجرير مقاطعة تونسية وليس لها علاقة بالزاب ، وهكذا جمع إبن قانة قواته المدعمة من القبائل .

فضلا عن الكتائب الفرنسية المدججة بالأسلحة الحديثة الفتاكة وتوجه الجميع لمحاصرة محمد الصغير داخل بلدة سيدي عقبة، حتى يرغم على الاستسلام لكنه صمد وقاوم مقاومة شديدة حتى أنصاره حيث بدأت المعركة حامية الوطيس بين الطرفين واستمر القتال بينهما عدة أيام وحينما فشل بن قانة على إحراز النصر لجأ إلى وسائل أخرى لتشديد الخناق على محمد الصغير وسكان سيدي عقبة وذلك بحرمانهم من العنصر الأساسي للحياة إلا وهو الماء، وهذا بتحويل مجرى الساقية التي تزود القرية بالمياه واعتقادا منه أن هذه الخطة ستجعل سكان سيدي عقبة يطالبون الأمان والاستسلام للحفاظ على أرواحهم وأرزاقهم من نخيل وبساتين .

وفي هذه الظروف الصعبة حدث أمر مفاجئ غير مجرى الأحداث وهو تخلي احمد باي بن شنوف احد قواد الزاب الشرقي عند مؤازرة بن قانة وانفصال عنه ولجأ إلى جبل "احمد خدو" وبدأ يحرض السكان هذه هي الجبال على الثورة.

حاول خليفة الأمير فك الحصار لكنه لم يفلح وأرغم على الرجوع إلى سيدي عقبة تاركا وراءه على الميدان ثلاثين شهيدا، لهذا أسرع شيخ العرب بجمع قواته قبل تحالف بن شنوف مع محمد الصغير، حتى يقوم بالهجوم كاسح على سيدي عقبة ولكن عاصفة هو جاء أفسدت خطته وأرغمته على فك الحصار و الرجوع إلى بسكرة منهك القوى. [3]

علم محمد الصغير عن طريق أنصاره ببسكرة أن وضعية ابن قانة مهلهلة و مفككة، فلم يترك الفرصة تضيع وقصد فورا

---

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 42

[2] - يعتبر محمد بن الصغير احمد بن الحاج صهرا لشيخ العرب بن قانة انظر: . ch feraud, op.cit. , p 465

[3] -ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 43

مدية بسكرة فأحتل القصبة، بينما كان ابن قانة يقوم بالهجوم على بسكرة من الغرب ولكن خليفة الأمير محمد الصغير في الأخير من أن يهزم أعدائه الذين لم يجدوا غير الفرار سبيلا للنجاة بأرواحهم. [1]

وهكذا رجعت بسكرة من جديد إلى سلطة الأمير عبد القادر وحينما سقطت في أيدي قوته أعاد تنظيم إدارتها بينما حاول بن قانة جمع شمل شتاته بإرضاء القبائل التي حاربت معه وبذلك يدفع لهم أموال طائلة بمثابة "دية" عن قتلاهم

- **سقوط بسكرة في أيدي الفرنسيين :**

لم تستمر سلطة الأمير طويلا في بسكرة ، فسرعان ما انحصرت قواته عن المنطقة بعد الحملة الفرنسية القوية التي اكتسحت الصحراء.

فحسب التقرير الذي رفعه غبن قانة إلى السلطات الفرنسية بقسنطينة ، أنه اضطر إلى الانسحاب مع أنصاره إلى التل ، بعد أن قتل له 20 رجل و 20 حصانا وجرح 45 وقد دفع الدية لأهل كل قتيل كما دفع ثمن كل حصان قتل إلى صاحبه من ماله الخاص .

أما حالة الأمن فقد تدهورت بشكل كبير حيث عمت الفوضى كل مكان في مناطق الزيبان فكثر السطو و الاعتداء وقطع النخيل وغير من ذلك من الأعمال المريعة و الفضيعة وهكذا عمل ابن قانة على تضخيم الأحداث من أجل الحصول على المساعدات الوفيرة من فرنسا و أرسل وبخصوص ذلك وفدا بقيادة مبعوثه المعتاد سي خالد إلى السلطات الفرنسية بقسنطينة لطلب النجدة لإنقاذ الموقف وقد حضي هذا الطلب بالقبو من طرف الدوق دومال[2] الابن الرابع لملك فرنسا – لويس فليب – الذي عيين حاكما على مقاطعة قسطنطينة "وهو في مقتبل العمر لا يتجاوز سنه 22 سنة ويخوض غمار الحرب في الصحراء" وذلك في ربيع 1844م . ورأى أن يغتنم هذه الفرصة ويقوم بحملة كبيرة على الصحراء يحطم فيها قوات محمد الصغير بن أحمد الحاج خليفة الأمير عبد القادر ويطرد القوات المتمركزة في بسكرة و التي تقدر بحوالي 4 مائة جندي بقيادة احمد بن عمر أحمد الضباط الممتازين عند الأمير في الحضنة وبذلك يفتك عروس الزيبان و يرجعها من جديد للاحتلال الفرنسي كما كان ينوي أيضا تصفية الحسابات القديمة مع الحاج أحمد باي الذي ما زال يهتم بجبال أولاد سلطان [3] .

ولذلك وجدت القوات الفرنسية خالية من كل مظاهر الحياة ، وحاولت ملاحقة السكان عبر الجبال ولكن بدون جدوى ، وفي نفس الوقت قام الدوق مونتونسبه "أخ قائد الحملة ط بالتعرف على السبل المؤدية إلى بلدة القنطرة كما أخضع العقيد مكماهون قبيلة بني معراف التي تقطن بالسفوح الجبلية في قرى جميلة بأشجارها وزرعها الكثيفة .

واستمرت القافلة في سيرها إلى أن دخلت يوم 29 فيفري1844 بلدة القنطرة وهي من القرى الأولى من إقليم الزيبان وبعدها دخل الدوق دومال على رأس جيجه الجرار مدينة بسكرة في يوم 04 مارس 1844 ليحتلها بسهولة

---

[1] -ابراهيم مياسي ، قبسات من تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 64

[2] - هو الابن الرابع لملك فرنسا لويس فيليب الذي عين حاكما على مقاطعة قسنطينة في حين لا يتجاوز سنه 22 سنة خاض غمار الحرب في الصحراء في 1844 انظر : تلمساني بن يوسف ن التوغل في منطقتي الاوراس والزيبان ، مرجع سابق ، ع 22/ 2010 ، ص 47 .

[3] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص43

تامة وبدون مقاومة تذكر ذلك خليفة الأمير محمد الصغير قد غادر المدينة بسرعة حينما عمل بقدوم الحملة إلى بسكرة ، هذا قبل وصولها بخمسة أيام واعتصم بجبال الأوراس . [1]

لذلك ارتبط القائد بهذا النصر الذي حققه وأكد في تقريره أن سكان الزيبان وقبائلها قد خضعوا له وتقدموا له من أجل تقديم طلب العفو عن أخطائهم ، كما طلبوا أيضا الحماية و الصداقة من فرنسا . وقد أبدى الدوق دومال إعجابه بالصحراء باعتبارها سطح رملي شاسع يرتفع قليلا عن سطح البحر ويحتوي على ثروات طبيعية كثيرة تفيد الاقتصاد الفرنسي أما عناصر السكان فيشكلون من صنفين هما :

**سكان الزيبان (الحضر) :** وهم الصناعيين و المسالمين الذين يهتمون أيضا بالتجارة و الفلاحة لهذا يحتاجون غلى النظام و الأمن .

**القبائل البدوية :** وهم عرب أقحاح لكنهم من العناصر المشاغبة و المعروفة بالنهب و السلب لكن اضطرارهم بشراء الحبوب في الصيف من التل يحتم عليهم الطاعة و الامتثال [2]

ويذكر القائد الأعلى لمقاطعة قسنطينة الدوق الدومال في تقريره الذي رفعه الماريشال "بوجو" الحاكم العام للجزائر بتاريخ 22 مارس 1844 أنه منذ 08 فيفري بنات القوات الفرنسية تتحرك وتتمركز بمدينة باتنة حيث أقيم هناك مركز عسكري للتموين و الإمداد . [3]

تجمع بباتنة يوم 23 فيفري "فيلق فوي" يشتمل على جنود المشاة و الفرسان و مدفعية تقدر بأكثر من ثلاثة آلاف مقاتل ، وبقيت تنتظر قدوم حوالي ألف لعبير من الصحراء و التي وعد بها شيخ لعرب ""إبن القانة " بإرسالها لتحصل متاع وأثقال الجيش الفرنسي المتوجه لاحتلال بسكرة وقد حاول أولاد السلطان و الأخضر ، الحلفاوزية اعتراض سبيلهم وقطع الطريق عنهم في بلدة القنطرة غير أن العقيد "بوتافاكو" علم بتحركاتهم فأرسل لهم أربعة أسراب من النخبة ومائتي فارس تحت قيادة الرائد قوبار بارو طوال الليل حتى اصطدموا في الصباح مع المجاهدين واشتبكوا معهم في معركة ضارية ترك على إثرها أولاد سلطان خمسة عشر شهيدا مما اضطرهم بعد ذلك غلى الفرار وفتح الطريق للفرنسيين .

كما قام إتباع أحمد باي بمهاجمة خطوط الحراسة الأمامية للقوات الفرنسية ليلة 19-20 من شهر فيفري ، لكن بدون جدوى وفي نفس الوقت خرج طابور ان من ماشتي مهري تحت قيادة الجنرال سيلاغ من سطيف يوم 18 فيفري لملاحقة أحمد باي المعتصم بجبال أولاد السلطان الواقعة غرب باتنة . [4]

---

[1] - نفسه ، ص 47 .

[2] - هذا التقسيم للسكان يوحي بالنظرة الاستعمارية العنصرية من اجل تفتيت وحدة الصف ليسهل عليه بسط النفوذ ثم يقوم باحتلامهم لذلك فان معم المعلومات الواردة في التقرير خاطئة تخدم الاحتلال ، انظر : ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص78.

[3] - rapporte du 22 mars 1844 , du duc D'au malin., revenue africe , n28 ,1884 , p 467

[4] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص45

وبعد مناوشات عديدة استطاعت القوات الفرنسية إخضاع بلدة "نقاوس" باعتباره نقطة هامة تتحكم في المسالك الصحراوية ، كما أن هذه الحملة تهدف إلى حماية ظهر القافلة الفرنسية . وهكذا بعد كل الاستعدادات أخذت القافلة طريقها إلى بسكرة تحت قيادة الدوق دومال يوم 25 فيفري مع كل معداتها ومؤونة شهر كامل ، ومن الغد وصل الطابور الأساسي إلى قرية نازا المسعى الأوراسية و التي غادرها أهلها خوفا من الغزاة و اعتصموا بالجبال المجاورة[1] .

لذلك أرسل الدوق دومال بعض الضباط الذين يحسنون اللغة العربية إلى القرى المجاورة كعيون له بها يتحسسون الأوضاع السياسية و الاجتماعية للسكان من هؤلاء الضباط الرائد تماس ، و النقيب دونوفو و النقيب ديفو و النقيب فور مينيه ولما إستتب الأمر "للدوق دومال" وتعرف على أوضاع البلاد شرع في اتخاذ الإجراءات الصارمة كحزم أملاك المجاهدين الفارين والذين رفضوا تسليم أنفسهم قبل 25 مارس ، ومعاقبة المقاومين المحجوزين وإلقاء القبض على المشوشين حسب رأيهم اقتادوهم غلى سجون قسنطينة [2]

كما جند قائد الحملة حوالي 300 رجل من الأهالي لاحتلال قصبة بسكرة ووضعها تحت قيادة ضابط فرنسي حتى يتمكن من تدعيم سلطة شيخ العرب ، ممثل فرنسا في هذه المقاطعة البعدية و المحفوفة بالمخاطر .

وبعد هذه الترتيبات الجديدة اتجهت القوات الفرنسية لملاحقة المجاهدين من أنصار خليفة الأمير عبد القادر المرابطين بالجبال حيث يتلقون المزيد من دعم وتأييد من طرف قبائل بني احمد في قرية مشوش المتاحة لجبل الأحمر خدو و الواقعة على ضفة الواد الأبيض ، لذلك حرصت من قبل القوات الفرنسية وجرب بها معارك طاحنة اشتبكت القوات فيما بينها أبدى المجاهدون بطولة وشجاعة نادرتين اعترف بهما العدو في تقريره [3] .

ولما شعر محمد الصغير بن أحمد بن الحاج باشتداد الحصار عليه عامر قوته بالانسحاب و التشتت و التوزع عبر الجبال و الغابات على أن يكون اللقاء و الاجتماع في قمة شليلة بالأوراس ، هذا بعدما تهدأ المعركة وتنطفأ شعلتها وقد فقدت القوات الفرنسية في هذه المعركة ستة رجال منهم الضابط بورو و ستة عشر جريحا منهم خمسة ضباط بينما فقد بنو أحمد من سكان نشونش أربع عشر شهيدا[4] وعندما اقتحم الفرنسيون الحصون ووجدوها خالية من أهلها ، ففرحوا بانتصارهم ودفنوا موتاهم ثم رجعوا إلى بسكرة معتقدين أن قوات الأمير عبد القادر قد قضي عليهم نهائيا وأن جذوة المقاومة المتوهجة بالمنطقة قد انطفأت و أن الصحراء أصبحت تابعة لهم لا ينازعهم فيها أحد ن خاصة وأن الأمير كان منشغلا كان بقضايات الحدود الجزائرية –المغربية- و إعادة تنظيم المقاومة [5]

---

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 46 .

[2] -ch feraud, op.cit. , p470

[3] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص48

[4] - نفسه ، ص 49 .

[5] - مذكرات الأمير عبد القادر ،تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون ، ط3 ، دار الأمة ، الجزائر ، 1998 ، ص 174

تلقى الدوق دومال بمجرد رجوعه غلى بسكرة ، أخبارا مفادها أن أولاد سلطان قد هاجموا المركز العسكري بباتنة وعليه بملاحقتهم ومعاقبتهم ، ولهذا لابد من مغادرة بسكرة فورا ن وبالفعل تم ذلك بعد أن مكث بها عشرة أيام ، حاول فيها ترسيخ الاحتلال الفرنسي بها ومترك مهمة إتمام التنظيم و التثبيت للرائد توماس .

وبعد أن تصدى الدوق دومال لأولاد سلطان رفع إلى الوالي العام تقريرا حول هذه الأحداث أرسله بباتنة بتاريخ 02 جوان 1844، ومما جاء فيه ....أن أهم النتائج المتحصل عليها هذه السنة في مقاطعة قسنطينة هي تسوية الطريق القديم بالقنطرة بتسهيل ربط التل بالصحراء ، وذلك تحت إشراف النقيب الخاص بالأشغال ريفو .

.... وكذلك احتلال بسكرة وتنصيب قوة عسكرية بقبضتها تحت قيادة الملازم بيتيقرون تتكون من مائتين وخمسة وخمسين جنديا منهم 49 من قدماء عسكر قسنطينة فضلو البقاء في بسكرة ن أما الباقي فقد جندوا حديثا من أهالي المنطقة ويوجد من بينهم من خدم في جيش خليفة الأمير عبد القادر [1]

كما تركت معهم بعض المؤن الأسلحة و الذخيرة مع العلم أن العقيد لابروتون يقوم بمراقبة الطريق المدد بين بسكرة قسنطينة من مركز انطلاقه عند باتنة كما كان يراقب أيضا أولاد سلطان المحرضين من طرف الحاج أحمد باي المعتصم بجبالهم الحصينة و المنيعة وهم مازالوا يحملون لواء الجهاد المقدس . [2]

وفي 25 أفريل 1844 تجمعت قوة سكرية هائلة تمركزت بنقاوس على سفوح جبال أولاد سلطان من أجل القضاء على مقاومة أحمد باي، لم يبقى الرائد تماس إلا عشرين يوما دعية بعدها إلى مدينة باينة حيث تتمركز القوات الفرنسية استعدادا للهجوم على سكان مناطق الأوراس وقمع مقاومة أحمد باي ومما يلاحظ في هذا القبيل أن العدو الواحد وهو الاحتلال الفرنسي بينما المقاومة الجزائرية متفككة وغير منسجمة ، ففي الزيبان يرفع لواء المقاومة خلفاء الأمير عبد القادر ، بينما في جبال الأوراس فهي تحت قيادة أحمد باي وهذا ما جعل القوات الفرنسية تتوجه بكل وقتها وإمكانيتها لجهة واحدة للقضاء عليهم ثم الالتفاف إلى الجهة الأخرى [3] .

ومما لاشك فيه أن روح الجهاد مازالت متحججة في نفوس المجاهدين المرابطين بالأوراس وخاصة عند الخليفة محمد الصغير بن احمد بن الحاج الذي بدأ يجمع أنصاره ويعقد معهم الجلسات لتدارس الأوضاع الراهنة قصد الوصل غلى السبل الكفيلة بإخراج البلاد من محنتها وتخليصها من الخاصب المحتل و أخيرا انتهى إلى تشكيل لجان من أجل نشر فكرة المقاومة في الأوساط الشعبية وفتح باب التطوع لمن يريد الجهاد في سبيل الله و الوطن وكانت هذه اللجان تطوف بالقرى و المداشر وكانت تحظى باستقبالات حارة ورائعة وبالتأييد التام وكان الشباب ينخرط في صفوف المجاهدين ورؤساء القبائل يحددون ولائهم للخليفة ويخضعون بين يديه ما يمتلكون من إمكانيات وهكذا بعد أيام رجعة اللجنة مضفرة ومعها ما يزيد عن خمس مائة فارس لهذا صمم محمد الصغير على استرجاع مدينة بسكرة عن طريق خطة عسكرية تقتضي استعمال حيلة محكمة التدبير ، فأعطى الأمر إلى مئة وخمسين مقاتل من بين الرجال

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص49

[2] - rapporte du 02 juin 1844 , du duc D'au malin.in, revenue africe , n29 ,1885 , p 13- 27

[3] -ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 50.

الأشداء و المخلصين و الذين لهم قدرات قتالية فائقة يستلمون وحدات وجماعات غلى السلطات الفرنسية و يطالبون في الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي الذي يقوم بحماية بسكرة و الزيبان وبذلك يكون القائد محمد الصغير قد أنشا الطابور الخامس داخل الأعداء ن يستعمله عندما يحين الوقت الملائم للهجوم على بسكرة ، وفعلا تم تنفيذ الأمر بكل حيطة وحذر وشرع كل منظم من المجاهدين في بدء مهمته حتى ، تمت كل الترتيبات داخل قصبة بسكرة في كنف السرية وكتمان التام .

ففي يوم 09 ماي 1844 أمر الدوق دومال شيخ العرب بن قانة بأن يجمع قواته وأن ينظم بهم القوات الفرنسية بمحاربة أولاد السلطان وأولاد بوعون ، ولما سمع الخليفة محمد الصغير بهذا النبأ رأى أن الوقت قد حان للاستيلاء على بسكرة فجند ما بقي له من فرسان وهاجم بهم القوات الفرنسية المرابطة ببسكرة على الساعة الثانية بعد منتصف الليل وذلك من يوم 12 ماي و أحرز انتصارات باهرة احتل بها المدينة [1] .

وقد أورد الرائد توماس وقائد هذا الهجوم في تقرير مفصل أرسله غلى القيادة العليا أوضح فيه أنه صبيحة يوم 12 ماي على الساعة الثانية صباحا دخل حوالي مائة وخمسين مقاتلا من جنود الخليفة غلى حي القصبة مستعملين الثغفرة الموجودة بجدار إسطبل البقر ولما تنبأ لهم فرسان العرب الذين يكونون زمالة قائد بسكرة أطلقوا عليهم النار غير أن أنصار الخليفة المندسين في صفوف القوات الفرنسية سرعان ما أخمدوا صوتهم قتلوهم عن آخره .

لهذا تسرب جيش الخليفة إلى جميع الثكنات داخل وخارج القصبة ، ولم يضيع دقيقة واحدة فاتجهت أغلبية الجنود إلى مكان الضباط الفرنسيين وكان أول من واجههم هو الضابط كروثار عندما أصدر أوامر إلى الحارس الذي يرابط أمام بابه بإطلاق النار على المهاجمين ، وكان هذا الحارس من أنصار الخليفة محمد الصغير فصوب بندقيته إلى الضابط الفرنسي فقتله في الحين .

أسرع الضابط "بتي قران" إلى حيث الضجيج خارج منزله فقتله حارسه بطلقة نارية ثم طعنه بعدة طعنات بالسيف ، فجاءه الدكتور أرسليف مسرعا لإسعافه فطلب من حارسه أن يناوله البندقية فسلمها له فارغة لذلك اهتم بتعميرها وفجأة أصيب برصاصة قاتلة من طرف جنود الخليفة ومن جهة أخرى استطاع العريف الأول بيليس أن يقر من نافذة بيئة ليلتحق بمركز البوليس الكائن بباب أومال وهناك ألقي عليه القبض ، وبدأ الجنود يتشاورون حول كيفية قتله و أخيرا إكتض أحدهم بأن يوجه له على جيشه بمؤخرة بندقية ضربة فأغمي عليه وبعد حين إستقيظ و أسرع إلى بيت القائد بيق قران فوجده مقتولا أمام الباب عندئذ تيقين أن المدينة قد سقطت في أيدي قوات خليفة الأمير عبد القادر ، فلاذ بالفرار تحت وابل من الرصاص وفي خارج المدينة التقى صدفة بأحد "القومية" المجندين عند فرنسا فعرض عليه أن يتبعه إلى بلدة طولقة ليحتمي بشيخها سي محمد الميؤل.

[1] - محمد العربي الزبيري ، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 ، ص 37 .

أنا الرائد "رين" فقد خالف طرح الرواية الرسمية لهذه القضية [1] وأورد في المجلة الإفريقية تعقبا عن مقال زميلة شارل فيرو حول معركة بسكرة وأدعى أن بيليس قد قضى ليلته عند فتاة من أولاد نائل كانت على علم بالعملية فحمته وسلمته إلى المرابط سي علي بن عامر في طولقة لكن هذه الرواية ضعيفة السند وهي افتراء على هذه البنت المجهولة .

وهكذا استطاعت قوات الأمير استرجاع مدينة بكسرة ، و الجديد بالذكر هنا أن الخليفة محمد الصغير قد وجد بين الغنائم المتحصل عليها في بسكرة ، إمرة فرنسية في مستقبل العمر على ماري موراتي تقوم بوظيفته طباخة للجيش [2] .

انتشرت أخبرا سحق الحامية الفرنسية ببسكرة بسرعة في كل مكان وعلم "الدوق دومال" بتفاصيل الواقعة عن طريق العريف الأول "بيليس يوم14ماي" فرجع من باتنة مسرعا آخذا طريقة إلى بسكرة مع قواته ودخلها للمرة الثانية يوم 18 ماي 1844 بدون مقاومة أيضا لأن محمد الصغير بن أحمد بن الحاج ، سارع بجمع المتاع و الأسلحة و الغنائم المكتسبة ، حينما جاءته أخبار تحرك القوات الفرنسية ، وأمر جنوده بالانسحاب نحو جبال الأوراس للمرابطة هناك وطالب منهم عدم المواجهة أو الصمود و التصدي للقوات الفرنسية حتى لا تتمكن من الانتقام .

وعندما وصلت القوات الفرنسية إلى بسكرة لاحظ الدوق الدومال أن المدينة خالية من كل أثر للقوات العربية المجاهدة لهذا اتخذ إجراءات صارمة وتدابير حازمة لمعاقبة الحيز السكاني على تأييدهم للمجاهدين تتمثل في النهب و هتك للحرمات و الأعراض مع القتل و العجز لبعض أملاك المجاهدين وغير ذلك .

وفي 23 ماي 1844 أصدر (الدوق دومال) أمرا عاما اعتبره تنظيما للجنوب عين بمقتضاه الرائد توماس قائدا أعلى لدائرة بسكرة وتحت إدارة هذا لضابط أربعة مسؤولين من الأهالي يعملون في نطاق محددة :

أ- **قيادة شيخ العرب** (يوعزيز بن قانة) الذي منح منصب الخليفة الصحراء وتمتد سلطة على :

1- **واحة بسكرة** : توضح واحة بسكرة بما فيها المدينة (القضية) تحت سلطة القائد محمد الصغير بن علي بن بلقدوم بن قانة وقسمت الواحة إلى ستة أحياء هي : باب القبة ، رأس الكريان باب العزب ، باب الغلة ، قدشة ، المسيد ، يدير ولكل حي كبيرة جماعة .

2- **الزاب الضهراوي** : ويشتمل على الواحات التالية : بوشقرون ، فرفار . البرج ليشانة . الزعاطشة ، طولقة ، كل هذه القرى تخضع لكبراء الجماعة ماعدا طولقة التي لها شيخ .

---

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص50-52 .

[2] - عرض عليها الاسلام ثم الزواج وتم له ذلك فعاشت معززة مكرمة وأنجبت له طفلين ومكثت الى جانب زوجها الى ان توفي بمدينة توزر فالجنوب التونسي سنة 1856 ثم انتقلت بعد ذلك 18600 مع والديها الى مدينة القيروان وتقول بعض المصادر الفرنسية انها انتقلت الى فرنسا ثم ارتدت للمسيحية بينما الواقع هو غيرذلك حيث انا هجرتها الى القيروان له دلالة واحة هي انها لا تستطيع العودة الى قرية سيدي عقبة المحتلة فاحتارت القيروان لما له صلة بموطن زوجها وابنيها مجاورة اشرف مسجد بالمغرب العربي الذي شيده الصاحبي الجليل عقبة بن نافع انظر : Ben gana ; op.cit. ,p .102

3- **الزاب القبلي** : ويشتمل على الواحات التالية ك اولال ، ليوا، مخادمة ، ابن طيوس ، متليلي ، الزاوية، المنصلة ، بيقو ، أوماش ، الصحيرة ولكل من أورلال ومليلي شيخ ، أما الواحات الأخرى فتخضع لنظام الجماعة .

4- **البدو و الآخرون** : يوضعون مباشرة تحت سلطة شيخ العرب وهم البدو رحل الجنوب ، عرب الشراقة ، عرب العزابة ، وأولاد سيدي صالح .

ب- **قيادة سيدي مقران** : هذا القائد الأهلي المنحدر من أسرة مرابطة من أولاد سيدي محمد بلحاج ، تلقى قيادة الحضنة و أولاد زيان وبني سويق وبني فراح وأولاد سحنون ، القنطرة ، البرانس ، السحاري .

ج- **قيادة الزاب الشرقي**: قسم مابين الفرعين المتناحرين من أولاد حولة وهما بو عبد الله وابن شنوف ، ويحتفظ شيخ العرب بتأثيره الواضح على السكان . وبهذه الإجراءات و الترتيبات الإدارية الجديدة اعتقدت السلطات الفرنسية أنها قضت بصفة نهائية على المقاومة ورسخت أقدامها على بوابة الصحراء لتدلج بعد ذلك إلى الصحراء نفسها وتتربع عليه . ورغم ذلك فقد كانت الثورة لا تزال قائمة في النفوس ن حيث تمكن الأمير عبد القادر من تجنيد قبائل (ذواوة) الأوراس وهاجم في 8 جويلة 1844م واحة الدروع الكائنة شمال شرقي سيدي عقبة فأباد الحامية الفرنسية القائمة هناك ثم انتقل بعد ذلك إلى خنقة سيدي ناجي لتخليصها من الاحتلال . [1]

وخلال سنة 1845 م حاول سكان "أحمد خدو" أن يخدعوا الرائد (سان جرمان) [2] قائد المكتب العربي ببسكرة من مهامه أنهم سيخضعون له وفي بداية 1846 م أشيع في الأوساط الشعبية أن الأمير عبد القادر سيقوم بزيارة إلى التسوق الجزائري ن لهذا بدأ أنصار الخليفة محمد الصغير يتحركون ويستعدون للمقاومة وقد أثرت هذه التحركات مخاوف الملازم (ليبار) قائد دائرة بسكرة ،كما امتازت هذه السنة بمقاومة جبال شرشال و استرجاعهم من العدو واحة خنقة سيدي ناجي ، وقد واجههم الرائد سان جرمان بمدافعه وأسلحته الفتاكة وتمكن من القضاء على ثورة النمماشة الباسلة وعاقب الثوار بالمنطقة .

وفي عام 1847م جاء الثائر القديم بومعزة إلى ناحتي "سيدي خالد "، أولاد جلال ، بعد أن لاحقه طابور المدية وقد اثار قدومه غلى الناحية روح المقاومة و الثورة في المنطقة وعانى الجنرال الشهير هيربيون الكثير من الشدائد و المصاعب لإخمادها .

وتميزت 1848م بسقوط الملكية الفرنسية وقيام الجمهورية الثانية و انجر عن ذلك أحداث و اضطرابات عديدة منها اغتنام الثائر علي باي – ابن الخليفة الراحل فرحات بن سعيد – فأشعل ثورة عارمة زعزعت الاحتلال الفرنسي

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص55-56.

[2] - قائد المكتب العربي ببسكرة وتمكن من القضاء على ثورة النمامشة 1846 حيث واجه الثوار بالمدفعية وأسلحتهم الفتاكة انظر : ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص54.

في المنطقة في المنطقة كما تميزت هذه السنة أيضا باستسلام المجاهد المستميت – أحمد باي – بعد أن تفرق أنصاره و أنهكه التعب و المرض تقدم رسالة إلى قائد دائرة بسكرة "سان جرمان" بتاريخ 02 جوان 1848م يطلب فيها "الأمان" فوافقت السلطات الفرنسية على ذلك ، فأخذته إلى مدينة باتنة ومنها إلى قسنطينة التي دخلها ذليلا كبيرا ثم بقي بالجزائر العاصمة تحت المراقبة الشديد حتى سنة 1851م وبعد وفاته دفن بمسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالقصبة . [1]

وأخيرا توجت هذه الأحداث بمقاومة شديدة وبطولية خلدت اسمها في سجل التاريخ.

### ✓ ثانيا : الاحتلال الفرنسي لمدينة الاغواط 1852 .

#### ➢ نشأة الأغواط وتأسيسها:

لقد اختلفت الروايات والمصادر التاريخية حول أصل كلمة الأغواط فنجد ابن خلدون في كتابة العبر[2]" فيذكر أن ( لقواط ) سمي بإسم سكانها ويبقى رأيه قابلا للمناقشة فنجده قد كتبها في البداية " الأغواط " وعندها يتحدث عنها يقول :" وأما لقواط وهم فخذ مغراوة أيضا فهم في نواحي الصحراء مابين الزاب وجبل الراشد ،ولهم هنالك قصور مشهورون به كما جاء ذكر منطقة الأغواط على لسان عدة رحالة منهم الرحالة أحمد أبوالعباس القاسي بقوله : " الأغواط بلدة طيبة وعليها أجنة ونخيل ولها أبراج وسور دائر بها " كما نجد العياشي الذي مر بمدينة الأغواط يوم 4 أفريل عام 1662م " حيث وصف المدينة من الخارج وتكلم عن أسوارها في قوله "...نزلنا الأغواط قبل الظهر.... ووجدنا الغلاء الفاحش، غير أن السكان لم يتركوا الركب يدخل بعد أن علموا أو الوباء منتشر بين أفراده ،ولكنهم مع ذلك أمدوهم بالزرع من خلف السور وغسلوا النقود التي استعملوها ثمنا للزرع خوفا من العدوى [3]. هذا بالإضافة إلى الرحالة الأجانب الذين قاموا من خلال رحلاتهم بوصف الأغواط ومن بينهم الرحالة مالتسان "Maltsin" الذي ذكرها بقوله :....رأينا الأغواط فوق التلين الأوليين وعلى هذا فهي مدينة التلين التي تتوج واحة بنخيلها كملكة تعتلي عرش البلدان مضطهدة ،محاطة ببساتين نخيل فكان يقع الكثير منها داخل أسوارها .... فيتصدر المرء مساحة تقدر بحوالي خمسمائة هكتار مقسمة إلى عدة أقسام كل قسم يحيط به سور يشبه سور المدينة نفسها ... وحول جذوع الرمان بحضرتها الحية وأشجار الزيتون بأوراقها الباهية الحزينة ....." [4]

- ومهما اختلفت الرويات فإن المصادر التاريخية قد أجمعت أن اسم مدينة الأغواط هو جمع لكلمة " غوط"[5] التي تعني المساكن المحيطة بالبساتين أو المكان المزروع جيدا .

---

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص57 .

[2] - عبد الرحمن بن خلدون تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر ، مجلد 07 ، القسم الاول ، دار الكتاب البناني بيروت ، 1981 ، ض 100 .

[3] - مولاي بالحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، مرجع سابق ، 107-108.

[4] - هنريتشو فون ماتسان ، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، تر ابو العبيد دودو،ج3 ، ش و ت الجزائر ، 1976 ، ص 222- 223

[5] - ودليل ذلك الغوطة بدمشق المشهورة بمياهها واشجارها حتى قارنها شاعر الثورة مفدي زكرا فالايادة بكلمته المشهورة ابا الغوطتين ... الخ انظر : مفدي زكريا ، اليذة الجزائر ، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر ص 18 ..

➢ **الموقع الجغرافي لمدينة الأغواط :**

- تقع مدينة الأغواط جنوب الجزائر العاصمة وتبعد بحوالي أربعمائة كيلو متر ،كما تنتشر عبر الضفة اليمنى لوادي مزي ، الذي يأخذه مجراه من جبال عمور غربا ويتوجه نحو الشرق ،وبعد أن يجتاز منطقة الأغواط يتحول إلى إسم أخر وهو وادي جدي الذي يعبر جزء كبير منه واحات الزيبان . ثم يصب في شط ملغيغ[1].

أما موقعها " الفلكي" فهي تقع على دائرة عرض 48 و33 شمالا وعلى خطي الطول 3 و 0 شرقا ،كما أنها ترتفع عن سطح البحر بسبعامئة وسبعة وثمانين مترا787 م[2] وبهذا تعتبر بوابة الصحراء لكونها تحتل موقعا استراتيجيا هاما ،فهي نقطة عبور للقوافل التجارية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب.

- وتشتهر الأغواط ببساتينها المنتشرة في الشمال والجنوب لأن الجبال تسقوارين تفصلها إلى مجموعتين متباينتين ، وقد شيدت منازل الأغواط من الطوب المستخرج من الطين الذي يلائم البيئة والأوضاع المناخية للمنطقة .

كما نجد أن وادي الخير المتفرع من وادي مزي الذي يقطع الأغواط حيث يعمل هذا الأخير على سقي الأجنة والبساتين فضلا على تخصيب تربتها التي تنبت فيها خيرات كثيرة من تين ورمان وعنب وعدة أنواع من الخضر والفواكه حتى سميت بمدينة البساتين .

حيث أشاد إلى مناظرها الخلابة العديد من الكتاب والرسامين أمثال :

أوجدين فرومنتان E.Fromentin، وإيتيان دينيهE.Dinet

-وتشتهر الأغواط أيضا بمجموعة من القصور أهمها:

- مدينة الأغواط ،العسافية ،قصر الحيران ، الحويطة، تاجموت ، عين ماضي ، أما أعراشها فتتمثل في قبيلة الأرباع الكبرى المؤلفة من الأجزاء الأربعة وهي : ( المعامرة ، الحجاج ، أولاد صالح ،أولاد زيد ) ونجد هذه القبيلة تنتشر بين الجلفة في الشمال وبسكرة في الشرق وغرداية في الجنوب وآفلو في الغرب ،كذلك عرش أولاد سيدي عطاء الله وقبيلة الحرازلية المشهورين بالأغواط فضلا عن قبائل أخرى وفدت إلى المنطقة عبر الحقب الزمنية كقبيلة بني هلال وأولاد زيان[3]

➢ **تأسيسها**

تعود جذور تأسيس منطقة الأغواط إلى الحقب التاريخية القديمة تبدأ مع المعطيات الأولى والضئيلة لإقليم " جيتوليا " من العهد الروماني حتى الفتح الإسلامي ،كما لم تحدد الدراسات التاريخية بالضبط عن متى تأسست مدينة

[1] - توجد عدة روافد على يمين وشمال وادي مزي اهمها وادي الرثاث وادي لمخنث وادي مسعد الخ انظر : محمود علالي ن الحركة الاصلاحية في الاغواط ، 2008 ، ص 27 .

[2]- E .M amgim ;histoire du laghautin ;R.A 1894, alger , p 10.

[3] - E .M amgim , opcit , p 372..

الأغواط حيث كانت عبارة عن ضيعة تسكنها قبائل زناتية ( مغراوة)،إلى رفقت الخضوع للسلطة الرومانية ولم تقبل إعتناق المسيحية رغم العروض العديدة بينما رحبت بالإسلام منذ الوهلة الأولى لأن هذا الدين الجديد يتلاءم مع طبيعتهم وينسجم مع مزاجهم ،فأدركوا بفطراتهم أنه شريعة الله في الأرض .

ويمكن ترجيح تأسيس الأغواط إلى السنوات الأولى من قدوم قبيلة بني هلال سنة 1045م إلى المنطقة ونزحت إليهم مجموعة من القبائل الأخرى [1]كأولاد سالم الذين هاجروا من قورارة ( الجنوب الغربي الجزائري) حيث استقروا بخيامهم على ضفاف وادي جدي حيث إلتقوا بفرع الأغواط الكسال[2] وقد جلبتهم إلى هذه المناطق وفرة المياه ووفرة الكلأ لمواشيهم .ويلاحظ أيضا أن مجموعة من القبائل قد سكنت منطقة الهضاب العليا الواقعة شرق جبال العمور والأغواط والجلفة ،ومنها أولاد سكحال وأولاد زيد الذين طردوا من الزاب بعد هجوم بني هلال عليهم ،فإستقروا مع من سبقهم وأسسوا قرية وأطلقوا عليها إسم ( إبن بوطا)،ثم لحق بهم المهاجرون آخرون منهم أولاد بوراس القادمين من الزاب فأسسوا قرية بومندالة ،أولاد زيان وحميان والغرابة شيدوا أقصر نجال وسيدي ميمون كما أسست بعض قبائل الزاب النازحين من قرية بدلا، وقصبة بن فتوح وقد يكون من خلال هذه القرى المبعثرة على امتداد ثلاثة كيلومترات إستمد إسم الأغواط .[3]

والمرجح أن التأسيس الحقيقي لمدينة الأغواط ترجحه معظم الدراسات إلى بداية القرن السابع عشر (17) أي حوالي 1700 وما سبق ذلك فماهو إلا إرهاصات للبناء والتأسيس.

ويعتبر " الحاج عيسى الشريف الأصل[4] المؤسس الحقيقي للمدينة بحيث يعود إليه الفضل في بناء السور الذي يحيط بها ، حيث شيد هذا السور [5]على أنقاض قصر ابن بوطا ،هذه الشخصية التي جاء ت سنة 1698م وشرعت في تعليم القرآن الكريم للناس ونشر الأخلاق النبيلة وتعاليم الدين الإسلامي الصحيحة .فإشترك بها سكان الاغواط واستطاعت أن تضع حدا للخصومات وجمع شمل الأهالي بالمنطقة [6].

---

[1] -Duma0us, 0opcit , p67 -68 .0

[2] - قبائل الاغواط الكسال طردت من طرف قبائل بني هلال الى ناحية البيض وهم اربعة اعراش هي اولاد 0مومن 0والرزايقة و اولاد عمران واولاد عيسى اما الكسال فهو جبل بالبيض انجذب اليه بني لغواط ، انظر محمود علالي ن المرجع السابق ، ص 30.

[3] - trumelet opcit , p 22

[4] - سيدي الحاج عيي ولد بتلمسان عام 1668 وتوفي بالاغواط عام 1737 وهو من العائلات المنحدرة من سبل النبي صلى الله عليه وسلم والده عيسى بن ابراهيم وامه السيدة محبوبة بنت سي الحاج بو حفص زعيم اولاد سيد الشخ غدر تلمسان عام 1694 ومر بمدينة وهران ثم اتجه جنوبا الى ان وصل الى قرية بن بوطا واستقر بها نهائيا انظر : محمود علالي ، المرجع السابق ، ص 31 .

[5] - المرجح ان هذا السور قد بني قبل مجيئ الحاج عيسى فقد ذكره العياشي في رحلة سنة 1662 انظر محمود علالي ، المرجع السابق .، ص 31

[6] - يعود سبب الخصومات الى الصراع بسبب مواطن الكلأ والماء وليس كما يقول الفرنسيين انها بسبب علاقات اخرى انظر ايضا محمود علالي ، المرجع السابق ص 31 .

➢ **أوضاع مدينة الاغواط قبل الاحتلال الفرنسي :**

- بعد أن إستقر السكان وتجسدت ملامح المدينة ، أصبحت هذه المنطقة ملجأ للفارين من المشاكل السياسية والدينية ودائمة التأثر بما يحدث في الشمال سواءا في المنطقة التلية أو الهضاب العليا ، فخلال سقوط الدولة الموحدية فر بعض أنصارها من قبيلة زناته وبني راشد إلى الأغواط قبل إستقرارهم نهائيا بمنطقة ميزاب وكان ذلك في حوالي 1269م كذلك إثر صدامة المدنيين مع بني عبد الواد ،أمر عبد العزيز سلطان فاس وزيره إبن غازي بمطاردة إبن حمو .سلطان تلمسان الذي هزم بعد مواقع لا سيما بالدوس وحين ملاحقته إحتمى بالأغواط في حوالي 1368م فناصره أهل المنطقة لكنه إنسحب إلى بني ميزاب حينما شعر بالخطر [1].

لم تعرف منطقة الأغواط الخضوع الإداري لأي من مروا عليها أو على حكمها فالأتراك الذين خلفوا العرب فيما بعد ، والذين عهدوا أساليب التخويف لفرض الطاعة على السكان كانت علاقاتهم بسكان المنطقة غير وطيدة ،وبقي الحكام الأتراك يتنازعون السيطرة على الأغواط مع السلطة المغربية، وبقي الحكام للأتراك يتنازعون السيطرة على الأغواط مع السلطة المغربية ، ففي عهد البايلرباي" خير الدين بربوس " التي أسسها في بداية القرن السادس عشر ميلادي(16م) فقد إمتدت سلطة الإيالة الجزائرية حتى الأغواط ضمن بايلك التيطري الذي نظمه حسن " باشا خير الدين " وعين عليه سنة 1848م رجب باي كأول باي على التيطري وعاصمتها المدية .[2]

وفي عهد يوسف باشا (1647م/ 1650م) قام السلطان المغربي مولاي محمد السيطرة على تلمسان ووجدة وصلت سيطرته حتى عين ماضي والأغواط التي لم تخضع إلا لفترة مؤقتة ،مما أدى إلى مجيء السلطان المغربي مولاي عبد الملك بنفسه سنة 1708م وإخضاع المدينة بعد قتال مرير.[3]

وبحلول ( عام 1727م) عادت الأغواط إلى سلطة العثمانين بعد تدخل جيوش باي المدية " شعبان زناغي " الذي فرض على المدينة ضريبة سنوية قدرت بسبعامئة ( 700ريال) وكان ذلك حتى سنة " 1784م " حينما قدم مصطفى باي المدية لجمع تلك الضرائب إلا أنه إنهزم تحت أسوار المدينة الأغواط ، خلفه باي وهران محمد الكبير فأجبر سنة 1785م على محاصرة المدينة التي لم تستسلم إلا بعد معارك عنيفة وطلب علماء المدينة الأمان من الباي ،شرط دفع الضريبة حرب قدرت بمائة 100عبد وثلاثمائة وخمسين 350 بعير وخمسة ألاف 5000" بوجو"وأربعة أحصنة ،بالإضافة إلى ذلك عين قائدين على المجموعتين البارزتين في الأغواط ،فنصب أحمد بن لخضر قائدا على أولاد سرغين والسائح بن زعنون قائدا على أولاد الأحلاف.

وفي سنة 1787م خلف الباي عثمان أباه محمد الكبير على وهران ،وأراد أن ينتقم لهزيمة عين ماضي فحاصر القصر وهدد السكان بقطع أرزاقهم وحتى يتفادوا المتاعب والخسائر فضل السكان عين ماضي الخضوع وامتنعوا بدفع

---

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ..... المرجع السابق ، ص 87 ..

[2] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ..... ، المرجع السابق ، ص 88 .

[3] - E .M amgim , opcit , p 24.

الضرائب بعد أن تمكن الشيخ أحمد التيجاني[1] من الفرار واللجوء إلى بوسمغون ،ثم إلى فاس بالمغرب الأقصى حيث توفي بها سنة 1815م ثم عرج الباي عثمان على الأغواط لينتقم من الذين ناصروا الشيخ أحمد التيجاني ،خاصة """"أولاد الأحلاف""""" الذين فروا من الأغواط ليؤسسوا مع أولاد رحمان " قصر الحيران " ،لكن مالبث أن حصلت بينهما خصومات عديدة وعنيفة فقد على إثرها أولاد الأحلاف زعيمهم السائح بن زعنون لم ينجب أولادا وأخوه ترك طفلين صغيرين أبكرهما أحمد بن سالم اللزي إستطاع أن يكسب ود الجميع ويحكم الأغواط بمفرده بعد أن تزوج إبنة قائد أولاد سرغين أحمد بن لخضر [2]

وبعد تولي أحمد بن سالم السلطة في الأغواط عام 1828م عرفت البلاد نوعا من الإستقرار والهدوء سمح بنمو وإزدهار الحركة التجارية المتمثلة في التبادل بين أهل الشمال المحملين بالحبوب والمواد الغذائية ،وأهل الجنوب بمنتجاتهم الزراعية خاصة التمور[3] .

- **الأغواط تحت سلطة الأمير عبد القادر .**

- لاشك أن السنوات الأولى للإحتلال الفرنسي على الجزائر سنة 1830م كانت شرا على جميع سكان الجزائر من الشمال إلى الجنوب والشرق إلى الغرب ،وبهذا دخلت الجزائر في جو من الفوضى والإضطرابات بالإضافة إلى تصفية الحسابات خاصة بعد سقوط السلطة المركزية في الجزائر .

حاول كل من الحاج " أحمد باي " و" الأمير عبد القادر" أن يفرض سلطته على المناطق التي كانت تحت نفوذه ،خاصة الأمير عبد القادر الذي حرص بعد إمضائه على معاهدة تافنة على إستتباب الأمن وإخضاع القبائل الصحراوية إلى نفوذه وإستقطابها لتدعيم أركان دولته الفنية قبل وصول الفرنسيين إليهم كما حدث في عام 1837م عدم مشاكل بالأغواط ومنها إعتراض الحاج العربي [4]حليف أولاد سرغين على أحمد بن سالم ،حول حيازة بعض الملكيات مما أدى إلى طرد الحاج العربي من الأغواط إلى زنينة[5] وكان لهذه القضية وقع لدى أهل الأغواط وصادف ذلك زيارة الأمير إلى النواحي الجنوبية لتنظيم دولته فوفدت عليه عشائرهم كما طلبوا منهم وولى عليهم السيد الحاج العربي من أولاد سيدي الحاج عيسى ،عينه الأمير خليفة له على تلك النواحي متجاهلا بذلك أحمد بن سالم ودعمه بالسلاح والذخيرة وسبعون (70جنديا) من جنود الأمير ليكونوا حراسا عليه [6].

---

[1] - السيد احمد بن محمد التجاني : مؤسس الطريقة التجانية ولد عام 1737 بعين ماضي وكان عالما زاهدا اسس طريقته الخاصة به عام 1781 واسس اول زاوية في بوسمعون وانتشرت طريقته عبر مناطق عديدة بجبال العمور وقبائل الاغواط توفي بفاس عام 1815 انظر محمود علالي ، المرجع السابق ، ص 36 .

[2] - E .M amgim , opcit , p396

[3] - استحوذ احمد بن سالم على السلطة وانفرد بها بعد ان تخلص من مستاشاريه احمد بن نوي وسعد بن ابراهيم وصهره احمد بن لخضر انظر : E .M amgim , opcit , p 46

[4] - ينحدر الحاج العربي من النسل الشريف الحاج عيسى

[5] - زنينة : هي إحدى المدن التابعة لولاية الجلفة حاليا وتعرف الان بالادريسية

[6] - محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الامير عبد القادر ، ط2 دار اليقضة العربية ، بيروت ، 1964 ، ص 291

- جمع الخليفة الجديد بقرية سيدي بوزيد[1] قوم الأحرار وأولاد خليف وأولاد شعيب ،و الآغا جلول، وآغا جبال عمور كذلك وصله ولاء سي محمد الصغير التجاني مرابط عين ماضي ،ثم تحرك بعد ذلك إلى الأغواط حيث خيم على الضفة اليمنى لوادي امزي مابين رأس العيون والبساتين وقد قدم له جمع غفير البيعة الخاصة من طرف أولاد سرغين اللزي أيدوه ،أما الأحلاف فقد رفضو الإعتراف به إلا أنهم بعد الضغط إستسلموا للأمر الواقع وبذلك أصبح موقف أحمد بن سالم حرجا وفضل الإنسحاب عند صهره أبن ناصر شهرة قائد الأرباع وحينما شعر بالخطر يداهمه ولم يطمئن على نفسه تحول إلى بني يزقن بوادي ميزاب .

وخلال سنة 1838 عزم الامير عبد القادر على تنيم دولته لمواصلة الجهاد ضد فرنسا وادرك جيدا اهمية الصحراء باعتبارها نقطة ارتكاز مقاومة فضلا عن كونها موردا هاما من الذخيرة والرجال لذلك سعى الى إدخالها تحت نفوه وعزم على جعل عين ماضي مخزنا لذخيرته وكنوزه ونقطة دفاع متأخرة لذلك وحدة انتفاضة من بعض سكان الاغواط الغرابة خاصة سي محمد الصغير التجاني [2] بمدينة عين ماضي بعد ان اعد كذلك وساندته القبائل المجاورة كما بعث له احمد بن سالم إمدادات عسكرية تضمنت 100 فارس على رأسها أخوه يحي بن معمر علم الأمير عبد الأقدر بالأمر وحزن على ذلك وعزم على استئصال هذا العصيان لقمع المتمردين والتنكيل بهم ليكنوا عبرة لغيرهم [3]

تركت قوات الأمير عبد القادر المكان في (12جوان1838م) متوجهة نحو عين ماضي وكان قوامها 6000 من الخيالة و3000 من المشاة ،وبعد عشرة أيام من السير الشاق في الفيافي والرمال وصل جيش الأمير إلى حصن عين ماضي وكان وصوله مفاجأة كبرى للتيجاني الذي لم يكن معه سوى مئة وستة وستون 166 رجلا من الأحلاف تحت قيادة يحي بن معمر و170 من أولاد صالح (الأرباع) و17 من سكان قرية الغيشة و 20 من تاجموت و22 من الحويطة و15 آخرين من الأجانب من مختلف الأصول كاليهود والزنوج وقد قدرت قواته بحوالي 710 مقاتل.[4]

وتذكر المصادر التاريخية أن الحصار على عين ماضي ،دام حوالي ثمانية أشهر والتزم الأمير بهذا الحصار لأنه أدرك أهمية المسألة وعواقبها ونتيجة لرفع الحصار فإن جميع المناطق الصحراوية سوف تفلت من قبضته وتتمرد عن سلطته لتقع فريسة للتوسع الاستعماري . وفي هذه الأوقات استغلت السلطات الفرنسية لكي تلين من موقف الأمير تجاه معاهدة تافنة ،فأهداه الحاكم الجديد الجنرال فالي ثلاث مدافع حصار ذخيرتها ليقص على حصون خصومه وعلى إمكانية الشعب من المقاومة وبهذا ضرب الإحتلال الفرنسي في الجزائر عصفورين بحجر واحد وهما :عزل الأمير عن بعض بنود معاهدة تافنة والضاء على مرابط لكي لا يكون لهم عددا في المستقبل .

---

[1] - سيدي بوزيد اسم قرية تقع ما بين زنينة وآفلوا على منحدر جبال العمور انظر E .M amgim , opcit , p112

[2] - ولد الكبير في 1796 وقتل في حربه ضد معسكر اما الصغير ولد في 1801 تولى شؤون الزاوية التجانية في عين ماضي ، انظر : liou rinn , opcit , p 225.

[3] -شارل هنري تشرشل ، حياة الامير عبد القادر ، تر سعد الله ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ،تونس ، 1974 ، ص 129 .

[4] - ابو القاسم سعد الله الحركة الوطنية ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 219.

إستسلم الشيخ التجاني في 5 رمضان 1254هـ الموافق لـ22 نوفمبر 1838م[1] ووقعت معاهدة تافنة بين الطرفين ،بعد توسط السعيد بن محي الدين الأخ الأكبر للأمير عبد القادر وتعهد فيها التيجاني بالجلاء عن عين ماضي حسب الشروط التالية :

- أن يدفع التيجاني مصاريف الحصار
- أن يكون مجبورا على إخلاء المدينة في برهة أربعين يوما
- أن يكون له الحق في أخذ جميع أمواله المنقولة بلاإستثناء
- يحق لأهل المدينة بمرافقة التيجاني بأسلحتهم
- يرفع الأمير الحصار عن عين ماضي ويرجع ثمانية أميال عن المدينة حتى تخلى عن أهلها
- يبقى إبن التيجاني عند الأمير كرهينة حتى إتمام نصوص المعاهدة [2]

قبل التيجاني هذه الشروط المذكورة وأمضى عليها وأرسل إبنه معها فأمنه الأمير وعندما إنتهت المدة المحددة خرج الشيخ محمد الصغير التيجاني بجنوده وحشوده ولم يتخلف في الحصن إلا المستضعفون فأمر الأمير بعد ذلك بتدمير المدينة وتسوية حصنها وأبراجها ودورها بالأرض [3].

لحق التيجاني بالأغواط وتحالف مع أحمد بن سالم وبدأ في تحطيم نفوذ الحاج العربي الذي لم يصمد أما الدسائس والمكائد ،مما أرغمه على مغادرة الأغواط والإنعزال إلى العسافية ،فلما علم الأمير بذلك عزله وعوضه بشخصية هامة من نواحي تاقدمت وهو السيد قدور بن عبد الباقي البصري ،هذا الخليفة الجديد تقدم نحو الأغواط بقوة تقدر 7000 رجل معززين بقطعة مدفعية واستطاع أن يدخل المدينة ويحتل أحد أبوابها ، وبعد أن بسط نفوذه على المنطقة جاءته أوامر الأمير بأن يجمع جميع أعيان وشخصيات الأغواط ويعدمهم،أو على الأقل يبعث بهم إلى عاصمة الأمير تاقدمت ليقتص منهم ،ثم يحطم المدينة وأجنتها ويستقر بتاجموت [4] رغم نصائح مساعد به الآغا الجديد من أولاد شعيب والخروبي من أولاد خليف على عدم تنفيذ الأوامر الخطيرة ،فإن الخليفة عبد الباقي عزم على تنفيذها فإستدعى أحمد بن سالم ،ويحي بن معمر وعشرات الشخصيات الأخرى من أعيان الأغواط تحت حجج مختلفة ،حتى لا يشعروا بما كان يضمره لهم وكان يكبلهم بالحديد الواحد تلو الآخر ولما علم سكان الأغواط بالأمر إشتد عنيفهم وإنفجرت مظاهرات عارمة تحطم كل من يعترضها ،فلم يستطع جنود عبد الباقي توفيق المتظاهرين الذين تمكنوا من أسر وقتل العديد من الجنود فعندما رأى عبد الباقي هول السكان أسرع إلى إطلاق سراح مساجينه عله يخفف من غضب

[1] - شارل هنري تشرشل ، المصدر السابق ، ص 130

[2] - نفسه ، ص 131

[3] - محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص 305.-

[4] - محمد بن عبد القادر ، المصدر السابق ، 305 .

الجماهير ،لولا براعة الآغا الجديد من أولاد شعيب والآغا خروبي من أولاد خليف اللذين إستطاعا إنقاذه من الهلاك أيضا[1]

-غنم سكان الأغواط المدفع وبقية الأسلحة التي تركتها قوات الأمير عبد القادر ورائها وذلك في سنة 1835م ونظرا لأن الأمير كان منشغلا بالحرب ضد الفرنسيين لم يتمكن من نصرة الخليفة عبد الباقي بل نجده قد أسند الخلافة مرة أخرى إلى الحاج العربي الذي واصل صراعه مع خصومه خاصة أحمد بن سالم الذي إستطاع في الأخير أن يحرز النصر النهائي على الحاج العربي ويقبض عليه في قصر الحيران ثم قام بإعدامه سنة 1842م وذلك تم القضاء على نفوذ الأمير نهائيا في المنطقة [2]

➢ **تجدد الصراع بين الأمير والتجاني :**

- ما إن إنشغل الأمير عبد القادر بإستئناف المقاومة ضد الفرنسيين في نوفمبر 1839م ،حتى تكتل أحمد بن سالم مع التجاني من أجل محاربة خليفة الأمير في منطقة الأغواط[3] .مما جعل الخليفة الحاج العربي يضطر إلى مغادرة الأغواط على رأس 200 من رجاله وإتخذ قصر العسافية مركزا له ومن هناك أخبر الأمير وطالب النجدة ،إلا أن الأمير أقاله وعين مكانه خليفة جديد قدور بن عبد الباقي وهو من نواحي تاقدمت ،لربما إختاره الأمير من خارج المنطقة ليكون أكثر حيادا مما يؤهله لإيجاد نوع من الوفاق بين الأطراف التقليدية المتصارعة بعد أن أدرك الأمير الزعامات المحلية كانت سببا في ماوقع بالمنطقة[4] .

ولما حل الخليفة الجديد على رأس( 700 فارس ) مزودا بمدفعية ، لم يحظ بالإستقبال رغم ذلك وتمكن من الإستقرار في الأغواط ،وإستحكم قبضته عليها مؤقتا وأطلع الأمير عن الوضع هناك فأمره هذا الأخير بإلقاء القبض على أحمد بن سالم وأعيان الأغواط وإرسالهم مكبلين إلى تاقدمت كما أشار عليه بتغيير مركز الخلافة إلى تاجموت [5] ربما خوفا من رد الفعل وعلى الرغم من هذا التحفظ الذي أبداه كل من جديد بن يوسف آغا أولاد السعيد والحروبي الآغا أولاد الخليف وتحذيرهما له مغبة الإقدام على هذا الأمر ،أصر الخليفة على تنفيذه دون أن يحسب عواقبه فلجأ إلى خدعة الإلقاء القبض عليهم حيث إستدعائهم بحجة الإستشارة والنظر في شؤون السكان وتحديد الضريبة ولما حضروا بين يديه ألقوا القبض عليهم بعد أن إتهمهم بالعمل على تحريض السكان ضد الأمير وإقرار إرسالهم مقيدين إلى تاقدمت[6] .

---

[1] - نفسه ، ص 305.

[2] - ابراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999، ص121

[3] - E .M amgim ;histoire du laghautin ;R.A 1894, alger , p 82

[4] - IBIDE ,82

[5] - ibide ,p 82

[6] -armaiud ,seige d' un ain madi el haje , (A E K) ben Malidin in revue africe ,t 7/8 n 47 -48 mars, 1864 , p450.

وما إن شاع خبرهم بين السكان حتى خرجوا ساخطين على الخليفة وجنده ،وهاجموه من كل جهة إلى أن أجبروه على إطلاق سراح المعتقلين ،بل لم ينجو الخليفة من نفسه ،إلا بتدخل من الآغا الخروبي ،حيث مكنه من الرحيل رفقة بعض جنده تاركا وراءه أسلحته وإستقر في " سيدي بوزيد " بجبل لعمور ومن هناك طلب المدد من الأمير عبد القادر قصد إسترجاع مدينة الأغواط إلا أن مسعاه فشل . ونظرا لإنشغال الأمير لم يجد بدا من تجديد الثقة في الخليفة السابق الحاج العربي الخصم التقليدي لأحمد بن سالم ومحمد الصغير التجاني[1].

جمع الخليفة أصاره وبقايا جيش الخليفة السابق بإضافة إلى 300 فارس دعمه بهم الأمير حيث إتخذ قصر تاجموت مركزا لهم لا سيما أن هذا القصر محصن بالأسوار ،إنطلاقا من هذا القصر قرر شن حملات على خصومه[2] وفي إطار مقاومة نفوذ الأمير عبد القادر ،بايع شيوخ الأغواط الغرابة ومحمد الصغير التجاني أميرا عليهم ، وحرضوا القبائل الموالية لمجابهة الخليفة الحاج العربي [3].

ولقد وجه محمد الصغير التجاني في هذه الظروف فرصة لإسترجاع نفوذه الضائع حيث خاض عدة معارك ضد خليفة الأمير ،لاسيما لما حاول هذا الأخير الإستيلاء على عين ماضي نكاية في صاحبها[4].

- **النزاع الداخلي في الاغواط قبل الإحتلال الفرنسي .**
  - **معركة عين ماضي :**

رأى الحاج العربي أن السبب الرئيسي لهذا التمرد هو محمد الصغير التجاني فعزم على الإنتقام منه والإستيلاء على قصر عين ماضي المهدم الأسوار بعد أن أدرك صعوبة إسترجاع مدينة الأغواط وإفتكاكها من بين يدي أحمد بن سالم ،فهاجم عين ماضي التي تبعد عن قصر تاجموت بحوالي 25 كلم إلا أن محمد الصغير وأحمد بن سالم تصديا له ،حيث دارت معركة داية حامية الوطيس دامت يومين كاملين مكنت محمد الصغير من إسترجاع

قصر عين ماضي بعد أن خسر 22 رجلا وعددا من الجرحى في حين فقد الحاج العربي 16 قتيلا وعددا هاما من الجرحى[5] في أواخر سنة 1839م وعلى إثر هذه الهزيمة 'نسحب الخليفة إلى قصر تاجموت حيث بقي متحصنا إلى أن أن تجدد القتال في مطلع 1840م.

  - **معركة تاجموت :**

بعد أن تأكد التجاني وأحمد بن سالم من أن الأمير لاقبلة له بالأغواط بعد إستئنافه الجهاد ضد فرنسا ،قامت بمهاجمة خليفة الحاج العربي بقصر تاجموت ،وكادا يفشلان لولا تواطؤ أتباع التيجاني من داخل القصر حيث إستطاعوا كسب

---

[1] - armaiud , opcit , p 450

[2] -. trumlet , opcit ,p 68

[3] - Emangin opcit , p 83.

[4] - trumlet , opcit ,p 68

[5] - armaiud , op.cit. , p 450

عدد كبير ونسقوا الجهود مع زعيمهم الروحي فبدأت المعركة من داخل القصر مما مكن التيجاني وقواته من إقتحام القصر والنيل من جند " العربي" الذي لاذ بالفرار رفقة بعض جنده مخلفا ورائه 50 قتيلا وعدد من الأسرى والجرحى.[1]

- **معركة قصر العسافية:**

بعد هذه الهزيمة التي تلقاها الخليفة الحاج العربي في قصر تاجموت فر إلى عدد من جنده إلى العسافية ،حيث أعاد تنظيم صفوف جيشه وحتى لا يقع له تواطئ من الداخل إنتقم مسبقا من أتباع التيجاني و وأحمد بن سالم المقيمين بالقصر حيث خرب دورهم وشردهم.[2]

وفي الوقت الذي كان الحاج العربي ينتظر فيه بعض الإمدادات من الأمير عبد القادر نجد هذا الأخير وبحكم إشتداد المقاومة وتراجعه في عدة مناطق كالمدية ومعسكر وسعيدة ،إضطر إلى سحب ما تبقى من جنده النظاميين الموجودين لدى خليفة الحاج العربي من ماصعب موقف هذا الأخير [3]في حين إغتنم الفرصة خصمه وأحمد بن سالم وشن هجوما خاطفا على قصر العسافية ،إستطاع بسهولة تفريق أنصار الخليفة بعد أن ألحق بهم الهزيمة[4] وإن كان هذا لم يظفر بالخليفة الذي فر إلى قصر الحيران المحصن هو الأخر بأسوار وهناك جمع أتباعه وأنصاره من جديد

- **معركة قصر الحيران :**

لقد صمم أحمد بن سالم على التخلص نهائيا من خصمه التقليدي ليستعيد زعامته في الأغواط وقصورها وكان همه الوحيد تولي الخلافة على المنطقة تحت الغطاء الروحي للتجانية ولتحقيق ذلك هاجم بقواته قصر الحيران وشدد الحصار على الحاج العربي إلى أن تمكن من الولوج داخل القصر ،حيث جرت معركة دامت ثلاث أيام ،مكنت أحمد بن سالم من قتل الحاج العربي [5]وبذلك وضع حدا لخصمه من جهة ثانية في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تلاحق الأمير عبد القادر في المناطق الأخرى ،فكانت هذه الأخيرة المستفيد الوحيد من تقاتل الأشقاء.

وفي هذا الوقت واصل محمد الصغير تقديم الإقتراحات للسلطة الفرنسية للتحالف فبعد محاصرته للجهة الجنوبية للأمير عبد القادر قدم المساعدة للجنرال " بيجو".

إستعان بيجو " بليون روتس" وإستحسن فكرته الهادفة إلى إستخدام المناورات الدينية والسياسية إلى جانب العمل العسكري إهتدى روش إلى فكرة إكتسبها خلال إنضمامه إلى الأمير عبد القادر (1839.1837)وتظاهر بإعتناقه

---

[1] - Emangin optic , p 83.

[2] - trumlet , opcit ,p 69

[3] - ibide , p 69

[4] - ibide , p69

[5] - Emangin optic , p 85.

الإسلام أكسبته علاقات طيبة مع الشيوخ المحليين من بينهم " محمد الصغير التجاني" [1]هذا بالإضافة إلى ضرب المصدر الروحي للأمير عبد القادر وذلك لمحاولة زعزعت عقيدة الجزائريين وإدخالهم في جدال حول إمكانية إبطال الجهاد وهادنة أهل الكتاب عن طريق إستصدار فتوى .

وفي هذا الصدد يقول روش كان يراودني أن غالبية القبائل العربية مصلحتها الإنضمام إلى القضية الفرنسية ،لكن القرآن يتوعد بالعقاب للمسلمين الذين يرضون العيش تحت سيطرة المسيحين .

وأن مثل هذه الآيات يعتمد عليها الأمير عبد القادر في التحريض على الجهاد ،إذ كان يعلم أنه لا قبل له بالعدو في مثل هذه الحالة يصبح الجهاد ضربا من الإنتحار أن الرضى بقدر الله وقضائه إلى حين واجب[2] وهو نفس التفسير الذي تقدمه الطريقة التجانية . ولغرض إستصدار هذه الفتوى كلف " بيجو""روش" بالقيام بالمهمة لدى محمد الصغير التجاني مستغلا العرض السابق .

ولقد تحصل روش على عدة تسهيلات من طرف زاوية " عين ماضي" كما تحصل أيضا على رسائل توصية من قبل الحاكم العام الجنرال ( بيجو)، فتنقل إلى تونس ليتحصل على التزكية من طرف علماء القيروان والتنقل إلى الأزهر والحرم المكي ،تحصل على فتوى من علماء القيروان بمساعدة الوفد الذي بعثه ( محمد الصغير) حدث الأمر نفسه في مصر والحرم المكي ،وجاء في مصمون هذه الفتوى التي إستصدرها يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم بالقوة وذلك لم يؤذ هؤلاء النساء وأطفالهم وسمحولهم بممارسة دينهم وتركولهم حرية إيمانهم[3] نجح روش في مهمة وبعث نبضها إلى الجنرال (بيجو) الذي أمد إدارته بتوزيعها على مختلف القبائل وسعى الجنرال ( بيجو) لإلغاء فكرة الإحتلال المحدود وأراد التوسع في كل تراب الوطن الجزائري وأن تسود مكان الأميرعبد القادر وبالتالي وبمجرد القضاء على مقاومة الأمير تطلع الفرنسيون لاحتلال مدينة الأغواط 1844م والإستعانة أصبحت عين ماضي تحت المراقبة فرنسية[4]

**الأغواط تحت الإحتلال الفرنسي**

بعد أن أصبح الجو خاليا لأحمد بن سالم ومن أجل الحفاظ على نفوذه من جهة وتفاديا للإنتقام من جهة أخرى بدأ يعمل على إستمالة إدارة الإحتلال الفرنسي وأبدى إستعداده للتعامل معها وعندما بدأت القوات الفرنسية في شهر مارس 1844م بجولة إستكشافية يقودها الجنرال " ماري مونج" maray mange قائد شعبة المدية العسكرية طابور قوي من ألف وخمس مائة 1500 جندي وعند وصول القوة العسكرية إلى قصر زكار في جبل الصحاري أسرع أحمد بن سالم،بإرسال أخيه القائد العسكري الفرنسي ليقدم له الولاء وأن يمنحه منصب خليفة على

[1] - يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832 – 1874) ط1 ، الجزائر ، ص 80.

[2] - lion roches , traite de a travers l' islam en 1832-1864 osis l' ibaire fermine ,1884 ,p 442

[3] - يوسف مناصرية، المرجع السابق ، ص41 .

[4] - Emangin optic , p 87

الأغواط ،لتمثيل السلطة الفرنسية الأغواط بقصورها الخمس ( قصرالحيران،تاجموت ،عين ماضي ، الحويطة ،العسافية) بالإضافة إلى الأرباع والحرازلية وبني ميزاب[1].

أدرك الجنرال أهمية هذه المسألة فأسرع إلى إبلاغ رؤسائه ،بإرسال ( يحيبن محمد) إلى الجزائر العاصمة محملا بتقارير الماريشال ( بيجو)الوالي العام للجزار والذي كاتب بدوره مباشرة الماريشال سولت soultوزير الحربية بباريس ووماكتبه نذكر مايلي :" فضلا عما تقدمه لنا من ثروات فإن المناطق الأهلة في الصحراء هي ضرورية لسياستنا وتجارتنا ،كما يجب أن نسود في كل مناطق ساد فيه الأمير عبد القادر ...، وبسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا آفاقا واسعة لإزدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية وتعمل على حرمان عبد القادر من المصادر التي يمكن أن يجدها في هذه الأماكن [2].

وافقت الحكومة على إتخاذ الإجراءات اللازمة وأعطيت الأوامر لتحضير بعثة عسكرية إستكشافية إلى الأغواط أوكلت قيادتها إلى الجنرال " ماري مونج" يوم 12 أفريل 1844م وفي الفاتح من ماي غادرت البعثة المدية التي كانت تتكون من 1700 جندي منهم 140 من قناصة إفريقيا والصبايحية و 400 فارس من القوم و100 من الأحصنة والبغال و1400 جمل [3]

وفي 21 ماي وصلت هذه القوات إلى تاجموت أين إستقبلها أحمد بن سالم محاطا بأعيان سكان الأغواط ،وغاب عن هذا الإستقبال الشيخ التيجاني الذي أرسل ولاءه للجنرال وأدركت السلطات الفرنسية قيمة هذا الشيخ المعنوية وما لها من تأثير على الأهالي فإكتفى بإرسال خيول الطاعة مع من ينوب عنه.

وتمهيدا لضم المنطقة رسميا وبعد إطلاع الجنرال ماري مونج على الهدوء المخيم على المنطقة ،نصب يوم 25 ماي 1844م أحمد بن سالم خليفة على الأغواط وقصورها وقبائل الأرباع والحرازلية ،في حفل أقيم خصيصا لهذا الغرض حضر هذا الحفل الضباط الفرنسيون والشيوخ المحليون وقرئ مرسوم التعيين بالفرنسية والعربية [4] رفع على أثرها العلم الفرنسي ،وسلم الخليفة أحمد بن سالم راية الأمير عبد القادر التي إنتزعتها من الخليفة السابق الحاج العربي ،إعلانا منه بخروج المنطقة من سلطة الأمير ودخولها تحت الحكم الفرنسي .

إستطاع الأمير عبد القادر خلال عام 1846م أن يكسب تأييدا أولاد نايل بجنوب المدية عن طريق سي الشريف بن الأحرش ، مما جعل أحمد بن سالم معزولا في منطقة الأغواط ورغم ذلك بقي مخلصا لسلطة الإحتلال الفرنسي التي إستطاعت أن تخلق نوعا من التنافس والتناحر بين بعض الزعماء والقادة ،وقد لعب كل من الجنرال يوسف[5] والجنرال

---

[1] -Emangin optic,p 54.

[2] Ibide , p 56.

[3] - Emangin optic , p 56.

[4] - trumlet , opcit ,p 75.

[5] - **الجنرال يوسف** : اسمه يوسف جوزيف فنتيني ويقال انه لقي ويحتمل انه ولد بجزيرة الب بتوسكانا حوالي عام 1809 وقع في قبضة القراصنة الذين باعوه في تونس حيث اصبح مملوك الباي الذي راعاه واحسن رعايته ولكنه غدر به وفر سنة 1830 الى الجزائر عن طريق دسائس السفارة الفرنسية بتونس لشارك في الحملة على مدينة الجزائر ..... الخ انظر : trumlet , opcit ,p 75

ماري مونج الدور البارز في إذكاء سياسة التفريق " سياسة فرق تسد" ،وأهم إنشقاق بين أحمد سالم وبن ناصر بن شهرة قائد الأرباع وقد أدى كل ذلك إلى إنشقاقات خطيرة بالجنوب " جنوب إقليم المدية دفعت بن ناصر بن الشهرة إلى الإنضمام إلى المجاهد الشريف محمد بن عبد الله وتزامن كل ذلك مع ثورة الزعاطشة ،لذلك عزمت السلطات الفرنسية على القضاء عليها بكل الوسائل للتفرغ بعد ذلك لقضية الأغواط ،ذلك أن الخليفة أحمد بن سالم قد قدم للسلطات الفرنسية تقريرا مفصلا عن بدايات الثورة في الجنوب أفريل 1851م

أسرعت الهيئات العسكرية لإعطاء أوامرها لتشكيل حماية عسكرية من المدية تحت قيادة الجنرال ( لاد ميرول) في شهر ماي 1851م

الحملة على مدينة الجزائر كمترجم غيرأنه وصل بعد إنتهاء الحملة فإنخرط في الجيش الفرنسي كمترجم وفي ديسمبر (1830م)نظم فيلقا من المملوكين ليترأسهم ثم أصبح ملازما آغا العرب في 17 ماي 1832م وترقى إلى قائد سرية ضباط فرقة الشرف في 14 أوت 1835م ثم عين بايا على قسنطينة سنة 1836 " لينافس أحمد باي ومن هنا بدأ يترقى في الرتب العسكري وخاصة بعد أخذه للجنسية الفرنسية في 18 فبراير 1838م فترقى إلى رتبة عقيد في 19 ماي 1843م ورتبة جنرال في 19 جويلية 1845م إلى أن أصبح جنرال فرنسا في 1851م وبعد عام قلد وسام الصليب الكبير ثم تولى جنرال الفرقة العسكرية يوم 18 مارس 1856م توفي بكان في 16 مارس 1866 م أنظر

وصل الطابور الفرنسي إلى الجلفة 03 جوان ،فإستدعى قائد الحملة جميع شيوخ القبائل ومنهم خليفة الأغواط والشريف بالأحرش لتدارس الموقف ،وقد أبد هذا الجنرال ميله إلى إبن ناصر بن شهرة لتعيينه خليفة على الأغواط بدلا من أحمد بن سالم الذي كبر في السن ،لهذا عمل الضابط الفرنسي لإستمالته.

لكنه عندما خيم بن ناصر بن شهرة مع أهله الأرباع بالشهبونية قرب بوغار أرسل له الجنرال " لادمبرول" رسولا لإقناعه بالرجوع عن نواياه المبيتة تجاه فرنسا فإختار له الملازم كروس (carrus) مع ثلاثين صباحيا من المدية يوم 03 سبتمبر 1851 بإعتباره صديق الأرباع وله تأثير كبير عليهم لمعرفته .فأعد لهم كمينا لقوات الملازم حيث جردهم من خيولهم وملابسهم ماعدا مايستر عوراتهم ثم أطلق سراحهم ليرجعوا من حيث جاءوا مشيا على الأقدام ورجع بن ناصر بن شهرة إلى الأغواط واستولى على قرية قصر الحيران وحصنها فإتصل به السكان من كل جهة خاصة أعيان المدينة للتعاون معهم لأنهم يئسوا من سياسة الإحتلال الفرنسي إلتف حوله الحرازلية ،أولاد سيدي عطاء الله وأولاده سعيد عتبة والمخادمة من ورقلة وعزموا على الثورة للتخلص من النفوذ الفرنسي [1].

على إثر هذه المخاوف أمر الوالي العام للجزائر الجنرال راندون يوم 02.07 . الجنرال لادميرور بتشكيل طابور متنقل .فإستدعى هذا الأخير كل من التيطري والتل وشكل منهم قوة تتألف من ألف وخمسامئة (1500) فارس وإنضموا إلى قوم أولاد نايل .22 فيفري تحرك الطابور في الطريق الذي سلكه زميله الجنرال مونج [2]. وصلت القوات الفرنسية

[1]- Emangin optic , p p 88-106.

[2] - ibide ,p 82-83.

إلى أسوار الأغواط 04 مارس وبعد أن تحولت في المنطقة عادت من حيث أتت لأن الحملة كانت عبارة عن جس نبض المقاومة خاصة بظهور نجم الشريف محمد بن عبد الله[1] .

قررت فرنسا احتلال الأغواط في ديسمبر 1852 فضرب حصار على المدينة بالجيوش الفرنسية الثلاث التي قدمت من غرب البلاد تحت قيادة

وفي أول ديسمبر 1852م خيم الجنرال بيلسي" pelissier" لتنظيم صفوف الجيش وتقسيمه إلى قسمين ،حيث توجه هذا الأخير بالقسم الأول إلى الأغواط يوم 02 ديسمبر 1852م على الساعة الخامسة صباحا والذي يتكون من الأركان الخاصة وطابور خفيف من الفرسان وفيلق من النخبة و مفرزة الأشغال وفصيلة مدفعية ميدان أما القسم الثاني المتبقي من الجيش فقاده الجنرال بوسكارين كما إنطلق في نفس اليوم على الساعة السادسة صباحا أخذا طريق آخر أطول للوصول إلى مشارف الأغواط .

نصب الجنرال " pelissier" مخيمه عند أسفل رأس العيون بالضفة اليمنى لوادي مزي ،وهذا على بعد حوالي ألفي متر من المدينة وفي الجهة المقابلة لمعسكر الجنرال يوسف أيضا . ثم أعطى أوامره للفرق المختلفة بأخذ مواقعها إستعدادا للهجوم رغم طلاقات الترهيب من بنادق المجاهدين .

وفي يوم 03 ديسمبر 1852م صباحا بدأت المعركة بين الطرفيين حول احتلال المواقع الإستراتيجية ،كالتلال المحاطة بالمدينة وربوة مجد الحاج عيسى وتفقد ميدان القتال للتعرف على خباياه كما استمرت العمليات إلى الساعة " الحادي عشر" حين وصول طابور الجنرال بوسكارين لينظم إلى القتال [2].

وقد كلفت هذه العمليات خسائر فادحة في صفوف الجيش الفرنسي يتمثل في قتل ضابط واحد .وجرحى سبعة ضباط آخرين .وكذلك مقتل ثماني جنود وجرحى وستين آخرين . وفي منتصف اليوم إجتمع قائد هجوم " pelissier" مع النقباء ،والأشغال المدفعية من أجل تحضير الهجوم والتخطيط لفتح ثغرة بالأسوار ودك بعض الحصون ، حيث تقرر أن يكون الهجوم من الجهتين ،من الربوة الشرقية التي تشرف على المدينة وتسمى بكاف القالة ومن الربوة الغربية التي تسمى كاف سيدي عيسى .

وقد أسند الجنرال" pelissier" هجوم الغرب إلى الجنرال بوسكارين بمساعدة العقيد "كلار " "cler" والنقيب " برونو" "brunon " ووضع تحت قيادته طابورا قويا من ثلاث فيالق من الزوارة وفيلق من ثلاث كتائب مشاة إفريقيا كتيبة من قناصة وهران ،وكتيبة مساعدة من الجنرال يوسف و500 كيس للمؤن [3] حينما أستعد العقيد كلار لمغادرة المعسكر ،صافحه الجنرال

" pelissier" وقال له :" أريد أن أستضيفك غدا قبل منتصف النهار إلى مأدبة غداء على أعلى شرقة في قصبة بن سالم ".

---

[1] - يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر خلال القرنسيين 19 و20 ،ط 1 ، دار البعث للنشر ن قسنطينة ، 1980 ، ص 182.

[2] - clerk, souvenir du officier du d2 sauvas , opcit ; p 32-26.

[3] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي .....-، المرجع السابق ، ص 119 .

غادر الطابور قاعدته يوم 03ديسمبر 1852م على الساعة الرابعة مساءا لإتمام الحصار الأغواط من الجنوب على الساعة الثامنة مساءا تقدم طابور صغير للإستيلاء على قبة ولي المدينة الحاج عيسى وتتكون من أربعة كتائب من الزواوة تحت أوامر الرائد " Morond" وكتيبة من فيلق إفريقيا مع فصيلتين من رجال الأشغال بقيادة برونو لتقتحم المكان وتضع مفاتيح المدينة في أيدي الإحتلال الفرنسي ،غير أن المجاهدين تصدوا لعرقلة هاته العمليات وكبدوا الجيش الفرنسي خسائر فادحة منها :ثلاثة قتلى ومن بينهم النقيب فراتز"frantz" وإثنان وثلاثون جريحا يوجد فيهم النقيب بيسيار " Bessieres" وملازم الأركان بوكه "pouquet" ومساعده روميار "Romiere" وكلهم من كتائب الزواوة الأولى أما الفرقة فقد خسرت قتيلاواحدا وثلاثة جرحى[1] .

أسرع نقيب الأشغال " برونو" إلى فتح واجهة المسجد المقابل للساحة وأحدث في جميع جدرانه فتحات للمراقبة والتصويب ،ثم تقدمت كتيبة الأشغال مع المنقبين لإنجاز الخنادق والممرات الضرورية وهذا طوال الليل .

ولما إنتهت الفرقة من مهامها أخبر النقيب الجنرال بوسكاران بكل الأشغال المنجزة لتتحرك قواته وتأخذ مواقعها إستعداد للمعركة الحاسمة وفي صباح يوم 04 ديسمبر تقحم قائد العمليات الجنرال" pelissier" مع طوبير الهجوم للتتمركز في المواقع الحصينة وراء الصخور وفي المنخفضات الأرضية وغيرها في إنتظار الإنقضاض على المدينة فصعد إلى المسجد برفقة الجنرال بوسكاران وضابط الأركان ليجعله كغرفة للعمليات وأثناء سيرهم تعرض الضباط إلى الهجوم من طرف المجاهدين أصيب خلاله " بوسكاران" برصاصة قاتلة في فخذه والذي أصبح يلقب من طرف السكان بـ" بوشكارة " إستهزاءا به لكونه يحمل كيس تبغه بيده [2].

- سارع الجنرال " pelissier" بإتخاذ إجراءات وقائية لحماية مواقعهم التي تعرضت لهجوم عنيف من طرف المجاهدين الذين زعزعوا صفوف الجيش الفرنسي وحاولو تحطيم مواقع المدفعية ،لهذا أسند قيادة فرق " لبوسكاران" إلى العقيد "كلار" ،الذي عمل على تنظيم طوابير الإقتحام التي تتكون أساسا من 12 كتيبة والتنسيق مع الجنرال يوسف ثم أعطى أوامره بفتح النيران[3]

بدأ إقتحام المدينة عندما إنطلقت الإشارة المتفق عليها من طرف الجميع،فتقدمت فرق الزواوة للهجوم من الجنوب علم بهذه التحركات من خلال الخلافات النارية والقوية ،وإندلعت في هذه الأثناء معارك حامية ودامية ،تبعتها إشتباكات عنيفة داخل شوارع المدينة . حيث تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد ،امام صلابة دفاع المجاهدين ومقاومتهم ،وفي هذه الأثناء تقدم الجنرال بيسيه مع أركان جيشه وضباطه إلى مكان الثغرة التي أحدثتها المدفعية في سور المدينة لقود الهجوم الشامل والعام على مدينة الأغواط .

وبذلك أباد طابور الهجوم كل من حاول المقاومة ،مما أضطر أغلب السكان أعالي المدينة إلى الفرر وترك منازلهم للإتجاه نحو الأحياء السفلية والحدائق .لاتخاذ المواقع الحصينة على الحواف الخارجية للواحات. كما تمكنت القوات

---

[1]- dubarail ,framcois charles , opcit, p 36 .

[2] - ibide , p 38.

[3] - ibide ,p 38.

الفرنسية من احتلال أعلى المدينة .لتتسرب منها إلى باقي الأنحاء ،لهذا تشجع الجنرال بيلسيه على التوغل والتوجه نحو ناحية اليسار لإحتلال قصبة بن سالم ،وفي نفس الوقت تقدم العقيد "كلار"على رأس بعض الكتائب لإقتحام هذه القلعة من الجهتين لهذا إقتحمت القوات الفرنسية القصبة ولم تسمح لسكانها بالدفاع عنها[1]كما تكلف النقيب فرنييه "fernier " يخلع أبواب هذا الحصن ليدلج داخله الجيش الفرنسي الذي إستقبله المجاهدون بكل شجاعة ،حيث وقعت معارك عنيفة . إستعمل فيها السلاح الأبيض وسط الساحة القصبة داخل المنازل وعلى السطوح والشرفات ... تغلب فيها الجيش الفرنسي لأنه أكثر عدة وعتاد [2]

شاركت كل الفرق العسكرية في الهجوم على الأغواط ،كما هاجم الجنرال يوسف المدينة من الشمال وإستطاع أن يحتل البنايات التي تؤدي إلى الحدائق وحتى يحاصر المقاومين ويمنعهم من الإعتصام بالمواقع الحصينة . ورد الغارة الفرنسية ،كذلك رجع العقيد "كلار" إلى ناحية القصبة ليطبق الحصار عليها[3] .

إذن تم الإحتلال الكامل لمدينة الأغواط ،من طرف الجيش الفرنسي على الساعة الثانية بعد الظهر ،بعد مجزرة رهيبة ،وإرتكبها الغزاة ورغم ذلك فإن الجنرال " pelissier" قد نصب وسط الركام الحرب المدمرة ،الزرابي العربية الفاخرة ليتناول عليها غداءه مع ظباطه لنفذ وعده ويتباهى بإنجازه التاريخي أمام الملأ ،وفي المساء أسرع أطفال بن سالم وأنصاره الذين إحتموا بالقوات الفرنسية في معسكر الجنرال "yusef" إلى الإلتقاء بنسائهم وعائلاتهم الذين سمعوا بأنهم في مأمن بعد إنقاذهم وانتقالهم إلى القصبة[4] .

عين الجنرال " pelissier" العقيد " cler" قائد أعلى على مدينة الأغواط ليبدأ في ترتيب أمورها ،فبادر بالتخلص من النسوة وخاصة اليهوديات المثيرات وسط جيشه المنتصر لكنه إستباح المدينة إلى جنوده المنتصرين لعدة أيام بعد أن توقفت المقاومة وإنسحب القادة المجاهدين تحت جناح ظلام الليل . ومنهم الشريف محمد بن عبد الله والناصر بن شهرة ويحي بن معمر ،النلي بلكحل ،بعد أن تأكدوا لا جدوى من المواجهة نظرا لعدم تكافئ القوى وكثرة الضحايا ،وحسب إحصاء الفرنسيين فإن عدد ضحايا هذه المجزرة تجاوز الألفين وخمسمائة شهيد بينما الجرحى فهم بلا حساب ....، وبعد كل هذا لم يضمأ الغزاة لم جرى في هذه المدينة فقد لاحقو بني الأغواط الناجيين بأرواحهم وأعراضهم إلى الحدائق والبساتين ليقتصوا منهم .فإستمرت المذبحة إلى ثمانية أيام أخرى

أما الضحايا الفرنسيين فعددهم قليل بالمقارنة مع الضحايا الجزائريين فقد قدرتها المصادر الفرنسية بأنها لا تتجاوز ستين قتيلا وعدد كبير من الجرحى لكن الذي دفن بالحصن والذي حمل إسمه تخليدا له ،وكذلك وفاة قائد الفيلق الرائد موران الذي دفن بالأغواط [5]

---

[1] - clerk, souvenir du officier du d2 sauvas , opcit, p 31.

[2] - ibid ,p 40 .

[3] - ابراهيم مياسي ، جهاد الشيخ عبد العزيز شريف مجلة الثقافة عدد 109 , الجزائر ، اغسطس ، 1995 ، ص 163 ..

[4] - Emangin optic , p p 316-317

[5] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق ، ص 124 .

الجنرال بليسي" pelissier" قائدا للحملة والجنرال بوسكارين "Bouskarerne" وجيش من الشمال بقيادة الجنرال يوسف yusuf وجيش أخر جاء من بوسعادة بقيادة الرائد بان pein ،فكانت المقاومة من سكان الأغواط وقتل عدد كبير من الفرنسيين منهم ضباط كبار مثل بوسكارين [1] على يد المقاومة التي ظلت تدافع بشجاعة فائقة رغم الإختلاف في العتاد والعدة كما إعترف الفرنسيون أنفسهم بقوة هاته المقاومة . التي انتقلت إلى شوارع المدينة وبساتينها وذهب ضحية هذه المواجهة ضد الفرنسيين 2500 شهيد من أهل البلدة من مجموع 4000 ساكن أكثر من ثلثي السكان ،بالإضافة إلى العدد الغير محدود من الجرحى ودامت هذه الهمجية الإستعمارية تعيث فسادا في البلاد أكثر من (أربعة أيام) وبعد سقوط الأغواط في يد الإحتلال الفرنسي يوم04 ديسمبر 1852م وبالفعل أصبحت المدينة محطمة حيث حاول الجنرال " pelissier" أن يجعل من الأغواط عبرة للمدن الصحراوية فأراد تحطيم جميع المنازل وإتلاف الأشجار ومن ثم نقل جميع السكان إلى الأحياء الأخرى من الجزائر وبالفعل بدأ في مشروعه التخريبي هذا إلا أن الماريشال راندون"randon" أوقف ذلك وبعث ببرنامج من خمس نقاط إلى الجنرال مارغريتMargurritte القائد الأعلى لمدينة الأغواط : تضمن مايلي :

1-تغيير الإمكانيات اللازمة من أجل ملاحقة المتمردين وإتما السيطرة على كامل البلاد

2- جاء من الأغواط مدينة كبيرة وجميلة ومركز سياسي تجاري حتى تثبت للسكان الصحراء مدى القوة الفرنسية .

3-تطوير الثقافة وربط الأهالي بالأرض وجعل القصور المحيطة بالأغواط مزدهرة وغنية

4-تطوير تجارة الأصواف(الصوف) وثم تحسين السلالة الغنمية .

5- تمتين العلاقات مع أقصى جنوب الجزائر [2]

فكان لسقوط مدينة الأغواط صدى كبير في كل الصحراء فقد نجحت فرنسا في ربح الجزائر أخرى ،في الجنوب حيث تم من الأغواط توجيه حملات ضد عدة مدن صحراوية .

وما إن إحتلت فرنسا الأغواط إحتلالا شاملا حتى قامت بإعادة هيكلتها الإدارية ففي 26 جانفي 1853م حيث أصدرت القرار الوزاري لإنشاء القطاع العسكري بالأغواط بصفة مؤقتة الذي يتكون من ملحق المكتب العربي التابع إلى المدية ،غير أن هذه الملحقة تتمتع بمزايا خاصة بسبب مساحتها الشاسعة كتزويد بطاقم إداري مشابه للمكاتب العربية أي قائد الملحقة برتبة نقيب ،فقد عين في هذا المنصب النقيب (كروسcarrus) ومعه ضابط آخر كنائب له كما ثبتت دوباري في مهامه كقائد أعلى مؤقت ،حيث تكونت أيضا السارية السادسة //2. في مدينة الأغواط من المجندين والأرباع وأولاد نائل فقط ،ومن أجل السيطرة على الأغواط والتحكم في تحركات الصحراويين أعطى الجنرال راندون أوامر بتكوين فرقة جيش من الجمال سريعة التحرك ،فتقدم للحاكم العسكري حوالي 500 جمل مع كتيبتين من الزواوة وكتيبتين من القناصة من الأهالي لدربوهم على القتال والحرب.[3]

---

[1] - clerk, souvenir du officier du d2 sauvas , opcit, p 31.

[2] - ibid , p 36 .

[3] - Emangin optic , p p 13-14.

فرغم الإهتمام بالدفاع عن الأغواط فإن القائد الأعلى لم يهمل المسائل السياسية فبادر بزيارة عين ماضي في أوائل شهر فيفري 1853م لمقابلة الشيخ التجاني واقترح عليه بأن يقوم بزيارة إلى الجزائر ليقابل الوالي العام وفي رسالة من (دوباركي) أوضح فيه لأمه من سعادته بنجاحه في مهمته بعين ماضي ،حيث إستقبله الشيخ التيجاني في موكب حاشد ،إلا أن هذا التفاوض معه من خلال خمس أوستة مقابلات تمكن من إقناع الشيخ بزيارة الجزائر وأعطى وعده القاطع بالذهاب إليها لكن عشية سفره أصيب بمرض خطير أقعده الفراش ولم يلبث أن توفي في (13 مارس1853م) وترك إبن قاصر يدعى البشير لهذا وتولى إدارة الزاوية قائد عين ماضي سي ريان [1].

لاشك أن الأهداف التي كان يرمي إليهاالوالي العام راندون من زيارة الشيخ التيجاني إلى الجزائر وهي ترويض شخصية وطنية دينية مرموقة وكسبها إلى كف الإستعمار الفرنسي في الجزائر من جهة وإستغلال نفوذه الروحي لمسح الآثار السلبية التي تركتها كارثة سقوط الأغواط في نفوس الناس من جهة أخرى[2] .

وبعد التأكد التام من احتلال الأغواط بصفة نهائية جاء قرار 22 جويلية 1853م والصادر من الوالي العام randan ليتوج ذلك بتأسيس دائرة الأغواط بصفة دائمة .وإختصاص هذه الدائرة الجديدة يتضمن مايلي :

1- القصور : الأغواط ،عين ماضي ،تاجموت،الحويطة ،العسافية ،مخاليف،قصرالحيران

2-آغاوية الأرباع : الحرازلة ،معامرة ،الحجاج ،أولاد صالح .

3- باشا غوية أولاد نايل : أولاد سيدي يونس ،قصور زنينة ،دماد ، مساعد ،زكار ،حميدة ،مجبارة

4- قيادات أولاد سعد بن سالم : أولاد حناطة ،أولاد رقاد ،أولاد يحي بن سالم

-إتحادية وادي ميزاب :بريان ،غرداية ،بني يزقن ،مليكة ،قرارة ،بنورة ،العاطف.(هذه المدن لا تخضع إلا للرقابة السياسية بقائد الأغواط ).

يتمتع القائد الأعلى لدائرة الأغواط بجميع صلاحيات زملائه في الدوائر الأخرى بالجزائر

وأخيرا عين الجنرال randan الرائدDubarail كقائد أعلى لدائرة الأغواط حسب المدونة للقرار العام الصادر من مركز القيادة بتاريخ 27 أكتوبر1853م[3].

وفي الأخير أن الإحتلال الفرنسي قد طمئن على نفسه في المنطقة حسب زعمه لكن الوقائع التاريخية تكذب ذلك ،حيث شاهدت الأغواط مقاومات شعبية مستمرة كما آزرت كل التحركات الثورية بالجزائر كثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى والثانية وثورة بوشوشة والمقراني وغيهم ...، كما شاركت مشاركة فعالة في الكفاح السياسي ومساهمتها عن طريق زعمائها وعلمائها ورجالها المخلصين[4] كما كان لها نصيب وافر في عدم الثورة الكبرى وإستشهد العديد من

[1] - du baril , la le tétère du general du baril in revue africaine n 68 , 19927 p 111- 112 ..

[2] - ابراهيم مياسي ن الاحتلال الفرنسي .....، المرجع السابق ، ص 131.

[3] Emangin optic , p 17

[4] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ن المرجع السابق ، ص 132 133.

أبنائها تفتخر بأسمائهم مع مجاهديها إلى اليوم ،لذلك فإن أهل الأغواط البواسل قد قاوموا الإحتلال بكل ما يملكون من قوة.

## 2. المبحث الثاني : الاحتلال الفرنسي لتقرت وورقلة 1853

- **الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة تقرت :**

### ➢ أولا: المجال الطبيعي

تقع تقرت ضمن إطار متميز بطبيعته الصحراوية، كجزء من الصحراء الكبرى يبدأ من الأطلس الصحراوي. جنوبا وأطراف الهضا بالعليا. وتؤكد الدراسات الجيولوجية أن هذا الامتداد الواسع المتكون أساس من الحصادات والعروق حيث كان مجالا رطبا بعد انكسار العصر الجليدي الأخير.

كما يقسم الجغرافيون الصحراء الشمالية الى قسمين: الصحراء المنخفضة والصحراء المرتفعة. فعموما ان منطقة تقرت. تقع في قلب الصحراء المنخفضة وهي منطقة ارتوازية غنية بالمياه الجوفية وهي التي كانت مهد لنشأة الواحات

أما بالنسبة " للموقع الجغرافي " فهي تقع بين خطي الطول 7 دراجات و52 دقيقة شرقا و5 درجات و30 دقيقة غربا، وبين دائرتي عرض 34 درجة و15 دقيقة شمالا و32 درجة و6 دقائق جنوبا.[1]

وبهاذ لا يمكن التحدث عن منطقة تقرت لوحدها دون التطرق الى إقليم وادي ريغ ككل والذي يتميز بموقعه الاستراتيجي باعتباره حلقة وصل بين الجنوب الشرقي والشمال الشرقي للقطر الجزائري، وضمن الإطار العام للصحراء الكبرى يتموقع إقليم وادي ريغ تحديدا في الكون الشمالي الشرقي للصحراء الجزائرية. كما يعتبر وادي ريغ أحد المكونات الرئيسية للصحراء المنخفضة. التي تضم مناطق الزيبان ووادي سوف ومنخفض ورقلة فهو إقليم مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم وعرضه يتراوح بين 30و40 كلم،ويبدأ شمالا من عين الصفراء قرب بلدة ام الطيور وينتهي جنوبا بقرية الفوق، قرب بلدة عمر جنوب تقرت. كما يحد الإقليم من الشمال شط ملينيع ومن الجنوب ورقلة ومن الشرق العرق الشرقي الكبير ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة وادي ميزاب[2].

### ➢ أصل تسمية تقرت:

أما من ناحية التسمية فلقد اختلف الرحالة والمؤرخون العرب القدامى حول التسمية، فقد سماها إبن خلدون " بلاد ريغ " أو " أرض ريغ " وهو الاسم الذي عرف به عبر التاريخ منذ نشأته، كما تعود جذور هذه التسمية الى قبلة ريغة إحدى بطون مغراوة والتي تنتمي الى القبلة البربرية الكبرى "زناتة " اذ يقول: " ... واما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة ... ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب و ورقلة، فاختطو قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر

[1] - عبد الحميد ابراهيم قادري ، التعريف بوادي ريغ ، تقرت ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد 1999 ، ص 1 .

[2] - نفسه ، ص 2-3

من الغرب الى الشرق ، ويشتمل على الممر الكبير والقرية المتوسطة ... وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء ومن سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة " [1]

كما سماها " ابن سعيد " أيضا ببلاد ريغة: حيث يقول ( ... وفي شرقها بلاد ريغ طولها نحو05 أيام وهي بلاد نخل ومحمضات ومياه تنبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم الى أمد طويل ويهيم في المزارع ...) [2]

وسماها " ياقوت الحموي " في معجمه بالزاب الصغير أو ريغ[3] أما الشيخ العدواني فقد أرجع تسميتها من خلال رحلته الى المنطقة الى رجل اسمه ريغ ، اذ يقول (... ثم قلت له اخبرني عن وادي ريغ ؟ وعن مسكنه ؟ قال لي : يا سيدي ريغ اسم رجل يقال له باهوت بن شملخ بن كعب بن عاوية من ولد اندلس بن يافث بن نوح ...) [4]

كما تضم منطقة وادي ريغ أكثر من 35 مدينة وقرية ودشرة تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ ومنها :

- منطقة المغير التي تضم كلا من : ( أم الطيور ، وسيدي خليل ، البارد ، تندلة المغير ...)
- منطقة جامعة التي تضم : ( لففيان ، الزاوية ، مازر ، تقديديق ، سيدي عمران و تمرنة ، سيدي يحي ...)
- منطقة تقرت التي تشمل: ( سيدي راشد ، سيدي سليمان ، اندثرت سيدي سليمان ، المرهيرة ، مقر ، القصور ، غمرة ، المقارين ، الزاوية ، العابدية ،تبسبست ، تقرت ، الترلة ، تماسين ، بلدة عمر ، القوق [5]

وتمثل " تقرت "[6] العاصمة السياسية والإدارية لمنطقة وادي ريغ ،اذ يعود تاريخ تاسيسها الى القرن الرابع ميلادي في عهد مملكة نوميديا بينما العاصمة الروحية هي مدينة تماسين[7]. بحكم وجود مقر الزاوية التيجانية فقد أشارت بعض المصادر الفرنسية أنه قبل الاحتلال الفرنسي بلغ حوالي 33,930 نسمة ومنهم 2,850 من الرحل و8,2 يسكنون 36 قرية. وهذا من خلال ماقدمه الضابط كاريت عن الصحراء عام 1839 م.

وحسب تقرير الفرنسي يعود الى سنة 1852 اشارت الى عدد سكان تقرت وجوارها كما يلي: [8]

| المدينة | عدد السكان | المدينة | عدد السكان |
|---|---|---|---|
| تقرت | 14700 | تماسين | 14700 |

[1] - عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 96 .

[2] - علي بن موسى بن السعيد ،كتاب الجغرافيا ، تح اسماعيل العربي ، الكتب التجارية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1970 ،ص 190

[3] - ياقوت حموي ، معجم البلدان ، تح فريد عبد العزيز جنحي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 ، ص 129 .

[4] - عمر بن محم العدواني ، تاريخ العدواني ،تح سعد الله ، ط1 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 ، ص 138 .

[5] - محمد الطاهر عبد الجواد ، عاصمة وادي ريغ ايام بني جلاب ، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب ،افريل 1998 ، منشورات جامعية الوفاء للشهيد تقرت ، ص 48 .

[6] - تقرت : او البهجة هي التسمية الحقيقية لتقرت حسب ما تردده الروايات الشعبية وقصة تأسيس تقرت يعرفها كل الشيوخ المسنين التي تناقلها المؤرخون الفرنسيون ومنهم شارل فيروا وتقول الرواية :" تأسيس مدينة تقرت الحالية يعود الى امرأة تسمى بهجة ، لشدة جمالها وكانت تسكن في تالة أو تقرت القديمة التي كان موقعها قرب الترلة .

[7] - تماسين : هي مدينة تاريخية 10 كلم جنوبا وتقرت كما تشتهر بكونها ثاني مقر للزاوية التجانية.

[8] - رضوان شافو ، مقاومة منطقة تقرت وما جاورها للاستعمار الفرنسي ، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر ، 2006- 2007 ، ص 15

- **المناخ:** يسود منطقة تقرت مناخ قاري جاف كبقية المناطق الصحراوية كما يتميز بقلة تساقط الأمطار والحرارة صيفا والبرودة شتاء. وينتابه شيء من ثقل الجو . الذي يؤثر على النشاط البشري خصوصا في فصل الصيف . فالحرارة السنوية المتوسطة تقارب 61,5 درجة مئوية مع تغيرات فصلية قوية تكون شديدة الانخفاض في شهور ديسمبر و جانفي 10 الى 12 درجة مئوية ، أما الدرجة المئوية الدنيا بـ 03 درجات مئوية ، تكون أشد ما عليه الحرارة في جويلية وأوت 32 الى 33 درجة وأقصى ارتفاع بـ 39,5 درجة مئوية . كما تتعرض المنطقة إلى رياح جافة وفي بعض الأحيان مثيرة للعواصف وقد كان للظروف المناخية الصحراوية انعكاس مباشر على الحياة النباتية [1]

- **ثانيا: المجال التاريخي:**

- ان اقوال المؤرخين و الجغرافيين القدماء ، بينت أنه كان لهذه المنطقة تاريخ عريق ا تعاقبت عليها أمم عديدة منذ العصور الحجرية الى الفتح الإسلامي الن التجميع السكاني. الأول كان متكون من قبائل أثنية ذات أصول زنجية وأثيوبية. عاشوا على الحدود الجنوبية لليبيا وقد دلت الحفريات على أن الزنوج عمروا الصحراء الجزائرية منذ ما يقرب أربعين ألف سنة[2]. حيث عثر علماء الاثار على نماذج من الصناعات الحجرية الرائعة بمدينة تماسين تعود الى العصر الحجري الحديث[3].
- أما في العهد القرطاجي فقد شهدت المنطقة حركة تجارية واسعة بين المناطق الشمالية والصحراوية وأقيمت أسواق نشيطة ومزدهرة على تخوم الصحراء و بالأخص على ضفاف شط ملقيخ من أجل تبادل السلع المختلفة التي كانت تحملها القوافل الى هذه المراكز[4]. ولم تخضع هذه المنطقة للسيادة الرومانية بحكم ان الاستعمار الروماني. بما بما أنشأ شبكة الأبراج والحصون على امتداد الطرق التجارية ترقف عند " برج متليلي " القريب من منطقة بسكرة [5]

أما في فترة الفتح الإسلامي فلم تحدد الوثائق التاريخية بالضبط تاريخ وصول الإسلام الى المنطقة الا ان بعض الروايات تذكر ان بعض المسلمين وصلوا اليعا في النصف الثاني من القرن السابع ميلادي (1هـ – 7م) عندما حل عقبة بن نافع على رأس جيش الفتح الإسلامي. ومن هناك انتشر الإسلام عبر كافة المنطقة وتشير رواية أخرى نقلها" فيزوا " عن سكان المنطقة، أن عقبة بن نافع لما فتح منطقة الزيبان بعث أحد قادته الى المغير، واسمه

---

[1] - عبد الحميد ابراهيم القادري ، المرجع السابق ، ص 02 .

[2] - عبد القادر حلمي ، جغرافية الجزائر طبيعية وبشرية واقتصادية ، ط1 ، مكتبة التركة ، الجزائر ، 1968 ، ص 122 .

[3] - عبد القادر خليفة ، الهياكل الاجتماعية و التحولات المجالية في التركة وتقرت، رسالة ماجستير في علم الاجتماع جامعة قسنطينة ، 2005 ، ص 48 .

[4] - ابراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ص 41 .

[5] - اسماعيل العربي مالك الاسلام والعربية الى الصحراء الكبرى مجلة التقانة ، ع62 س 11 مارس – افريل 1987 ، ص 43-44.

حسان لنشر الإسلام.[1] ولقد عرف المذهب الإباضي انتشارا واسعا بعد الفتح الإسلامي بالمنطقة وواد سمون و ورقلة ومنطقة الزيبان خاصة بعد سقوط الدولة الرسمية. وذلك بين السنتين (10 و 11م) وقد ترك هذا المذهب بصمات واضحة على المنطقة . وذلك من خلال أسلوب البناء والتخطيط وبعض العادات والتقاليد وفي سيطرته أهله على القوافل التجارية[2] ثم عرفت المنطقة عودت انتشار المذهب المالكي. خلال القرن (14م) عن طريق الشريف سيدي محمد بن يحي الادريسي.[3] ومنذ منتصف القرن 16م. عاد توحيد المنطق من الحلابي ، وفي هذا الصدد يذكر chfreaud على لسان العدواني : أن رجلا من اسرة بني مرين حكام المغرب الأقصى كان معتاد الحج الى مكة المكرمة كل سنة في طريقه نحوها يمر بوادي ريغ أين كان بيع السلع الفائضة عن حاجته وبالحاح من سكان المنطقة الذين طالبوا منه الإقامة بينهم، فجاء بكل اسرته ، ومعه أمواله وثروته واستقر في وادي ريغ [4]

- **التركيبة الاجتماعية:**

تعتبر التركيبة الاجتماعية لسكان تقرت وضواحيها عبارة عن خليط يتمثل في أصول وقبائل متداخلة في انسابها وأصولها، جمعتها ظروف الحياة ووحدتها مميزات وتقاليد اجتماعية واحدة وبحكم أن تقرت عاصمة لإقليم وادي ريغ.

يرى ليون الافريقي " أن سكان تقرت مختلطو النسب " لأنهم يتنازحون مع العبيد السود ، لنضف هنا أنه مثل كل الدول التي تطبق الشريعة الإسلامية ابن القينة. مهما كان لون بشرته فإن أمه تتمتع بكل الحقوق حتى حقوق الإرث كما يتمتع بها اخوته الشرعيين فانه يصبح جزء من العائلة هذا هو الاختلاط اللامتناهي بين البيض والعناصر السود بأقصى حدود الصحراء.[5]

هذا الاختلاط سجل علميا منذ مدة عندما حصل لكننا عندما بحثنا وجدنا ذكر سببا آخر يتمثل في كون العائلات تقرت أصلا سودا البشرة ، فهل يمكن أن نستنتج أن السكان وصلوا الى هنا وان برابرة الساحل الذين طردو نحو الجنوب من طرف الغارات الرومانية، الوندالية . وحتى العربية قد اختلطوا بهم فليس هناك بتقرت سوى 60 عائلة ذات بشرة بيضاء وهم الذين الان مسلمون . وهذا ما يمكن أن يستنتج من خلال المعلومات التي وجدت من خلال اليهود الذين من بينهم هذه العائلات ربما هم الذين تحدث عليهم "صالوست" والذين في وقت مضى اختلطوا بسكان " ليبيا و نوميديا ". ذهبوا معهم عندما هربوا نحو الجنوب خلال سنوات الغزو للشعوب العربية

---

[1] - عبد الحميد ابراهيم قادري ، المرجع السابق ،ص 10 .

[2] - الحسن بن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، تر محمد الحجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1982 ،ص 40

[3] - جاء الشريف محمد بن يحي الإدريسي الى المنطقة بعد أدائه لفرشة الحج فأعجب بها سكانها فاستقر بها وكان رجل صلاح وتقوى فكان مجتمعا من أعيان قرى ومداشر وادي ريغ ، انظر : محمد الطاهر عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص 49 .

[4] - ch freaud , notes historique opcit , p 157 -156

[5] - حسن الوزان ،وصف إفريقيا ، المصدر السابق ، ص 35-36

فقد كانت العائلة الحاكمة بتقرت من لون أبيض، هذا إن دل فهو يبين أصالتها العربية ويدعوا الى التفكير أن أعضائها لايتزاوجون إلا فيما بينهم.[1]

تعود أصول سكان هذه المنطقة حيث تشكلها ثلاثة عناصر أساسية تولد عنها عنصر رابع فيما بعد وهو كالتالي:

**الرواغة:** هم يمثلون الأصل الذي اتسمت به المنطقة وينسبون اليها وهم ينحدرون من قبيلة زناتة البربرية ويشكلون أغلبية السكان الذين سكنوا المنطقة قديما ويعود أصل الرواغة الى قبيلتي ريغة و سنجاس اللتين سكنتا القصور القديمة مثل ( تالة ، غلانة، فطانة تنسلي )

**العرب:** وهم الذين وفدوا على المنطقة في شكل مجموعات في بداية الامر من الزيبان والجريد التونسي والمغرب بعد الهجرة قبيلتي بني هلال وبني سليم بلاد المغرب، حيث كانت هذه الهجرة على شكل موجات بشرية متتابعة وليست نقلة جماعية وأغلب هذه الفئة كانوا ينشرون عبر كامل تراب المنطقة. وهم ينقسمون الى صنفين:

**العرب الرحل أو البدو:** الذين يقومون بعملية الانتقال في بداية فصل الصيف الى الشمال، ثم العودة الى الصحراء في أواخر فصل الخريف ويطلق على هذا الصنف "العشاية "

**العرب المستقرون:** الذين يعيشون على الفلاحة والزراعة .يسكنون القصور والدور المبنية بالطوب والأحجار ومنالقبائل العربية و البدوية التي استوطنت المنطقة هي (بطون، رحمان، السلمية، العبادلية، الفتايتالداريسية، أولاد سايح، سعيد عمر، عبد القادر، مولات)

**الزنوج:** وهم بقايا أبناء العبيد الذين جاء بهم تجار النحاسة الى سوق تقرت، فمنهم من قدم من توات ومنهم من جاء فارا من سيد. ومنهم من وفد عاملا وشغالا، من بلاد السودان، وهم منتشرون في جميع القرى والمداشر وينتسبون الى القرى التي سكنها أجدادهم.[2]

**المولدون:** هم خليط من الدماء العربية و الدماء البربرية. و الدماء الزنجية نتيجة المصاهرة بين السكان الأصليين. والعرب الوافدين بالزنجيات و الموالي وهؤلاء ينتسبون الى البلد الذي نشاو فيه وبذلك فقد تم بين هذه العناصر عبر التاريخ تمازج أدى الى الانصهار هذه العناصر في بوتقة واحدة مكونة أسرة صحراوية متاجنسة فيما بينها لها نفس العادات و التقاليد فلم يعد المرء باستطاعته أن يفرق بين البربري والريغي والعربي والزنجي والمولد[3].

---

[1] - duamas ,opcit , p 256 -257 .

[2] -عبد الحميد ابراهيم القادري ، المرجع السابق ن ص 11 -12 .

[3] - نفسه ، ص 13 .

- **الأوضاع العامة في منطقة تقرت قبل الاحتلال الفرنسي :**

بعد سقوط مدينة الجزائر ابدى الفرنسيين في صائفة 1830م، انتشرت قوات الاحتلال بالتدرج عبر مختلف مناطق الوطن، وذلك قصد النفوذ والتوسع الى ان احتلت مدينة قسنطينة، اثر الحملة الثانية (يومي 13و14 أكتوبر 1837م) بعد مقاومة عنيفة من طرف الأهالي بقيادة "أحمد باي"، هذا الذي أجبر على الفرار من المدينة مع بعض أقاربه وجزء من حاشيته نحو بسكرة والصحراء. بغية جمع أنصار جدد وتجنيدهم ضد السلطة الاستعمارية لاسترجاع مدينة قسنطينة عن طريق أصهاره عائلة بن قانة ومما تجد الإشارة اليه أن تموجه هذا الأخير نحو الجنوب هو ما ساعد على تعجيل التوسع الاستعماري الفرنسي لاحتلال بقية المناطق الصحراوية الأخرى. حيث أخص بالذكر منطقتي لسلطة الاحتلال.

وخلال هذه الفترة كانت منطقة وادي ريغ خاصة لسلطة بني جلاب الذين يتامرون بأمر البايلك وهو الامر الذي أدى الى اندلا ع حوادث وكوارث هزت أمن المنطقة. منها الصراع العشائري والتنافس من الحكام المحليين على السلطة وتمرد بني جلاب على السلطة العثمانية في الجزائر

بالإضافة الى نوع آخر من الصراع الذي كان بارزا في تلك الفترة والذي تمثل في الاطماع الخارجية للاستحواذ على الامارة واحتواء مشيخة بني جلاب من طرف عائلتي بوعكاز وين قانه حيث ترجع بدايات الصراع بين العائلتين الى النصف الثاني من القرن الثامن عشر 1758م،حيث اسند باي قسنطينة منصب شيخ العرب الى الحاج بن قانة ويعتبر هذا الخلاف والشقاق من أسباب خسارة احمد باي ضد الفرنسيين وعليه أصبحت بعض القرى والمداشر تخضع لعائلة بن قانه والبعض الاخر لعائلة بوعكاز، فمهدت الإدارة الفرنسية المراقبة هاتين العائلتين للضباط العسكريين المتواحدين ببسكرة، حيث يعتبر موت الشيخ علي بن جلاب عام 1833م متأثرا بالسم الذي وضعته له أرملة أحد لالة عيشوش وعمره لايزال لم يتجاوز 8 سنوات، أصدق حادثة تعبر عن اشتداد الصراع بين الأبناء والأحفاد حول العرش

وفي هاته الفترة اتسمت العلاقة بين إمارة بني جلاب والفرنسيين بالودية خاصة ما بين (1833-1852م) اذ نجد أن أمراء بني جلاب اتبعوا سياسة الهادفة مع السلطة الاستعمارية حفاظا على الإمارة من جهة وخوفا من مخالف أهل سوف والزاوية التيجانية بتماسين الذين يعملون على إسقاط السلطان إلى الحاكم العام الجنرال فواروول voirol عارضا عليه التعاون للإطاحة بأحمد باي قسنطينة من قبل وأرسل ابنه علي للتفاوض مع فيرو من اجل الاحتياطات الواجب اتخذها ضد احمد باي [1] وعليه فان اعتراف شيخ تقرت عبد الرحمان الجلابي بالسيادة الفرنسية أثار غضب الأهالي مما جعلهم يلتفون حول سليمان الجلابي الثائر في وجه الفرنسيين ومما تجدر الإشارة

[1] - احمد رضوان شرف الدين ، الاحتلال الفرنسي لتقرت 1854 ال النهايات والتبرير ن الملتقى التاريخي لبلدية تقرت 29 – 30 ديسمبر 2004 ، ص 1

إليه في هذا الصدد أن سلطة الأمير عبد القادر قد امتدت إلى المنطقة فكان الأمير كلما سيطر على منطقة إلا وعن فيها واليا من قبله بلقب الخليفة

- **الاحتلال الفرنسي لمنطقة تقرت**

إن الاستعمار قد حصر إلى تقرت وما جاورها والتوسع عبر أراضيها بشكل جيد منذ البداية لعملية الغزو وذلك نرى لأهميتها الجغرافية والإستراتيجية الاقتصادية خاصة في المجال التجاري الذي كان من اكبر الدوافع الداعية إلى احتلال الصحراء الجزائرية بشكل عام ومرت هذه الحملة بمرحلتين

- **المرحلة الأولى :**

بدأت منذ استيلاء علي الجلابي[1] على الحكم في تقرت وفتح أبواب تقرت أمام أعداء فرنسا كناصر بن شهرة والشرف محمد بن عبد الله وكان ذلك في 25 جويلية 1852 وعليه بعد الهجوم على تقرت تيقن الفرنسيون أن منطقة وادي سوف ووادي ريغ أصبحت قاعدة انطلاق عمليات المغيرين والمتمردين على سياستها فهم يتوزعون منها ويقضون حاجاتهم بها ومن ثم أصدرت السلطة الفرنسية قرار بعزل هذه المنطقة من كل التبادلات التجارية ومنعوا القبائل المنطوية تحت سلطتهم

وفي مارس 1853 تحركت قوة عسكرية من 300 فارس متبوعة بمثل ذلك مشاة مجهزة بقطعتين من المدافع بقيادة الكلونيل ديفوا رئيس دائرة بسكرة للقيام بمناورات عسكرية بالقرب من تقرت ولما علم الشيخ سلمان بتحرك القوات الفرنسية تيقن أنها قادمة نحوه فقام بتصفية حسابات قديمة مع بعض أعدائه بداخل المشيخة ثم أمر الأهالي بإحضار أملاكهم والالتحاق بتقرت للتحصب بداخلها كما أرسل الأهالي في وادي ريغ لتدعيم خط دفاعه وكاتب الشريف محمد بن عبد الله لنجدته فقدم على جناح السرعة إلا انه تراجع بمجرد أن علم بتراجع القوات الفرنسية [2].

يبدوا هذا التحرك الفرنسي ماهو إلا مناورات عسكرية وجش النبض لاختبار القوة العسكرية الجلابية عن قرب لكن في المقابل كان سليمان الجلابي متفطنا لهذه السياسة فلقد اعتمد منذ البداية في مواجهته للفرنسيين على قدراته الذاتية وكان يدرك محدودية قواته العسكرية في مواجهتهم إلا انه عمل على استغلال الظروف فيما يخدم

---

[1]- الجلابي هو ابن عم عبد الرحمان بن عمر وقد هرب إلى تماسين بعدما انتزع الحكم منه فأرسل عبد الرحمن في طلبه ففر سلمان الى الغرب ولما توفي عبد الرحمن أرسل بعض سكان تقرت مبعوثا إلى السلطات الفرنسية ليأتي بالطابع إلى أولاد السلطان عبد الرحمن فخلف هذا الأخير ابنه عبد القادر الذي كان صغيرا حيث عاشت الإمارة في عهد الانحطاط كليا في جميع المجالات لذلك أرسل سكان تقرت رسالة إلى سلمان الجلابي يتوسلونه في القدوم إلى تقرت ليحكمها لأنه الوريث الشرعي لسلطة بني جلاب ففعل أصبح بذلك سلطانا على تقرت انظر ،

ch freaud , notes historique opcit , p 304.

[2]- الرسالة من سلمان بن علي الى سكان وادي سوف والقرى المجاورة لهم والرسالة بدون تاريخ لكن حسب ما ورد في رسالة وحسب سياق الأحداث فان هذه الرسالة تكون قد حررت سنة 1854 وفي هذه السنة تمت فيها الحملة على منطقة وادي ريغ ، انظر العمراني نعاذ ، أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 و20 ، رسالة ماجيستسر في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، 2002-2003 ص 12 .

مصلحة منطقة تقرت لا مصلحة الفرنسيين فسياسته كانت تتراوح بين الولاء العلني والعداء السري بهم ولتطمين الفرنسيين بالولاء لهم بعث رسالة إلى الحاكم الفرنسي بالجزائر ليترجاه فيها أن يعفوا عنه ويسمح له بالدخول تحت طاعته ويقول سلمان في هذه الرسالة انه أرسل مبعوثين على التوالي إلى الحاكم الفرنسي ببسكرة إلا أنهما رجعا مخذولين .

ومهم يكن فان الفرنسيين كانوا يدركون حقيقة سلمان الجلابي وكرهه الشديد لهم خصوصا عندما قبضوا على احد مراسليه وهو عائد من عند الشريف محمد بن عبد الله يحمل رسالة إلى سلمان يطلب منه فيها تزويده بالأعلام والرايات ليستعملها في توحيد جنوده استعدادا للحرب [1].

ولذلك عملت الإدارة الفرنسية على الاستفادة من الوضع لصالحها وعدم التجاوب مع العروض التي قدمها سلمان وفي نفس الوقت كان الاستعداد للحملة ضد تقرت على قد وساق ثم إن التعليمات التي أصدرها راندون[2] تعني فرض السيطرة الفرنسية على الصحراء في اقرب وقت ممكن بعدما أصبحت مركزا لنشاط الثوار ضد الفرنسيين . [3]

ويمكن القول على هاته المرحلة أنها كانت بالنسبة للفرنسيين مرحلة ترصد لمعرفة القوة الحقيقية للخصم من جهة ومرحلة استكشاف استطلاع خوفا من المجهول الذي ينتظرهم قرب المنطقة بجيش قدره 500 جندي طيلة 11 شهرا

- **المرحلة الثانية :**

تبدأ هذه المرحلة من استقبال الشرف محمد بن عبد الله في صيف 1853 بتقرت إلى غاية سقوط المدينة في يد الجيش الفرنسي في نهاية 1854 . وقد تزامن هذا الاستقبال مع لجوء الشيخ سليمان إلى وضع التحصينات إضافية للمدينة ، استعدادا لمواجهة تقرت قاعدة ثورية لشن هجمات عنيف ضد الاستعمار الفرنسي والتي أسندت إلى غاية الاغواط وبسكرة فهاجم الجيوش الاستعمارية [4].

ومواجهة لهذا الوضع وعرض الاحتلال تقرت أولا أمر الحاكم العام بالجزائر قادة جيوشه بالنواحي العسكرية الثلاث وهران معسكر والمدية بالزحف على الشريف محمد عبد الله بجيش كبيرة قدرة 250 جندي نظامية 2400. من الاحتياطيين وفي خط مستقيم من الحدود الشرقية والغربية مدعمين بقوات متحركة

---

[1] - ch freaud , notes historique opcit , p 304.

[2] - هو الحاكم العام للزائر ما بين سنتي 1857 -1858 واسمه الكامل هو الكونت جون لويس سيزار الكساندر راندون ، انظر : عمار بوحوش التاريخ السياسي ، المرجع السابق ، ص 574

[3] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 360 .

[4] - عبد الحميد بحاح ، مرجع السابق ، ص 6.

من البيض جيري فيل بقيادة الجنرال بيليسه مشاركة سي حمزة ولد بوبكر وسيدي الشيخ ومن الاغواط بقيادة الشريف بالاحرش كما خرجت قوات أخرى من بوسعادة .[1]

ولما علم الشريف محمد بن عبد الله بتحرك بالقوات الفرنسية واستعد لذلك وعمد إلى تنظيم صفوفه وتجنيد إعداد كبيرة من أنصاره بتقرت وورقلة ووادي سوف و متليلي والشعانبة والقرارة وغيرها وخرج لمحاربة سي حمزة ولد بوبكر في مواجهة عنيفة أسفرت على وقوع خسائر بشرية كبيرة ثم انسحب الشريف محمد بن عبد الله إلى الطيبات ثم إلى نقطة بتونس لإعادة تنظيم صفوفه بعد الهزيمة التي تلقاها [2] . كما تحرك العقيد ديفوا ومنعه من إعادة تكوين قوات جديدة ومراكز للمقاومة ولاستكمال مشروع احتلال الصحراء الجزائرية كما أمر العريف العربي مملوك [3] بالتقدم نحو وادي ريغ بجيش قوامه 150 فارسا والملازم الأول عمار بالتوجه إلى زريبة الوادي بمحاصرة الشريف محمد بن عبد الله [4] فحسب شارل فيروا فان سلمان الذي كان يرغب في مهاجمة الفرنسيين بنواحي المغير ومتابعتهم بناحية الزيبان لم يتمكن من ذلك بسبب عدم استجابة أهالي تماسين و وادي سوف لندائه ونجدته .[5] وفي يوم 22 نوفمبر وصلت الوحدات العسكرية بقيادة مارمييه إلى المغير ثم دخلت غلانة يوم 24 نوفمبر من نفس السنة وحيث وصلوا إلى غمرة يجدوا فيها إلا النساء والأطفال والشيوخ إذ أن الرجال كانوا قد التحقوا بتقرت للدفاع عن مقر المشيخة وفي أمسية 27 نوفمبر وصل الجيش الفرنسي إلى مقارين ليستقر هناك متربصا بجيش سلمان الجلابي وحلفائه ولاحتلال عاصمة وادي ريغ[6] ويذكر ويذكر "زكون" أن القوات الفرنسية قد قطعت المسافة ما بين بسكرة وتقرت دون أي مقاومة نذكر من سلمان وأنصاره [7].

- **الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي :**

- **أصل تسمية ورقلة :**

ورقلة أو هرقلة أو أركلي كما كانت تدعى سابقا هي إحدى الواحات الشهيرة بكثرة نخيلها وجودة ثمارها على مسافة 160كلم جنوبي واحة تقرت [8]

تدخل دراسة منطقة ورقلة في عهد الاحتلال الفرنسي ضمن الدراسة التاريخية الشاملة للصحراء الجزائرية ، و ذلك أن الثورات الصحراوي كانت تشكل وحدة متكاملة و تكون سلسلة مترابطة الحلقات منذ ثورة تاريخية الزعاطشة

---

[1] - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ص 155- 156 .

[2] - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ص 157 .

[3] - أبو القاسم سعد الله ن الحركة الوطنية ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 290 -291 .

[4] - عبد الحميد نجاح ، منطقة ورقلة وتقرت ، المرجع السابق ، ص 97.

[5] - ch freaud , notes historique opcit , p 213.

[6] - عبد الحميد نجاح ، منطقة ورقلة تقرت ، المرجع السابق ، ص 162

[7] - نفسه ، ص 162 .

[8] العوامرة ، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف ، المرجع السابق ، ص35

بالجنوب الشرقي، مع أن هناك من خصائص جغرافية و مميزات تاريخية و ظروف محلية تتحكم في هذا الإقليم دون غيره ، و منطقة ورقلة كانت في ظرف تاريخي معين حيث تعتبر ملحا للمهاجرين و مأمن بعض الجماعات و الأفراد من غضب السلطة المركزية في الشمال ، و ذلك بحكم موقعها الجغرافي البعيد عن المنطقة الساحلية و التلية ، فقد هاجرت إليها الاباضية عندما شتت الفاطميون دولتهم في القرن العاشر ميلادي ، و كان لموقعها الرابط لطرق التجارة الصحراوية بين الشرق و الجنوب الشرقي دور مهم في حياتها الاقتصادية و الاجتماعية و العلمية ، فضلا عن الأثر الطيب لهذا الدور على البلد كله ، لقد كان نشاطها التجاري متصلا بلاد السودان و بمدينة غاو بإمبراطورية السنغاي جنوبا ، مرتبطا بغدامس و ليبيا و شرقا ، وقد سجل المؤخرون في كتاباتهم و مثلهم الرحالة: فقد سجلوا الرخاء الاقتصادي و العيش الصيني السائدين بها أمثال : الإدريسي في القرن الثاني عشر ، الحسن ابن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي في القرن السادس عشر و هايدو كذلك و العياشي في القرن السابع عشر [1]

كما ينطبق نفس الوضع على واحة نقوصة الواقعة إلى الشمال من ورقلة بنحو ثمانية عشر كيلو متر ، فهي أيضا تقع وسط غابات النخيل تسقيها مياه وادي نساء و ميزاب دالتي يتم استخراجها عن عمق لا يزيد على سنة أمتار و عليه فإن غابات النخيل لا تلعب دورا اقتصاديا رئيسيا فحسب بل تشكل بالنسبة للسكان حصنا دفاعيا طبيعيا ضد الغارات المتكررة.

أما بالنسبة للأصل العرقي للسكان فهو مزيج من العرب و البربر و الزنوج و السكان بحسب نمط حياته من فينقسم أصلهم إلى صنفان : حضر مستقرون و أعراب رحل ، يقطن الصنف الأول داخل القصور المروة و يتوزعون داخلها على عدد الأحياء المساوي لعدد الجماعات أو الأسر القاطنة ضمن القصر ، فقد كانت ورقلة تضم ثلاثة أحياء يقطن حيها الشمالي بنو سيسين و حيها الشرقي بنو إبراهيم أما بنو واجين فيقطنون الحي الغربي منها ، فكانت للمدينة ستة أبواب باعتبار أن لكل حي بابين خاصين به ، فلحي بني إبراهيم باب عمار و باب عزي ، و لحي بني واجين باب ربعية و باب الربع أما بني سيسين فله باب السلطان و باب أحمد .[2]

حيث يقدر دوماس DAUMASالذي زار المنطقة سنة 1842 م عدد الديار داخل القصر في ورقلة بستة مائة دار ، بالإضافة إلى ثلاثة مساجد ، (جامعة و قصبة ) كما يقدرون مائة دار في عين أحمار ، و ستين في العجاجة و أربعين في الروسيات [3]. أما تشارل فيرو CH.FERAUNDالذي كان هو الآخر قد زار المنطقة في عام 1871 م فيقدر عدد السكان قصر ورقلة وحده بألفي نسمة [4].

---

[1] عبد الحميد زوزو ، محطات في تاريخ الجزائر ، مجلد السابع ، ديوان المطبوعات الجامعية،2010،ص83

[2] -CH.FERAUD: LE SAHARA DE CONSTANTINE .OP.456

[3]- ينفرد دوماس بذكر ثلاث جوامع بينما فيرو و ترومللي على ذكر جامعين فقط جامع غزة الذي بناه الميزابيون والجامع الكبير المعروف بجامع المالكية انظر: DAUMAS,PP,72ET 80

[4]- نتصور أن يكون العدد السكان المقدر من طرف "ch.feraound" لا يختلف كثيرا عما كان عليه نتيجة كثرة الحروب و الهجرة نحو ما كان أخرى..

لكن يبدو أن عوامل جديدة عملت على إضعاف تجارتهم منذ أواخر القرن السابع عشر ، من بينها : ظهور طريق بحري جديد لنقل الذهب من خليج غينيا إلى البرتغال ، و ظهور طريق صحراوي آخر من السودان إلى مصر و من بين العوامل اهتمام السلطة العثمانية في الجزائر بالتبادل التجاري في البحر المتوسط و إهمالها عبر الصحراء ثم كان سقوط مملكة السنغاي سنة 1591عاملا آخر أثر على تجارة الذهب بالمنطقة [1].

وخلال القرن السابع عشر استقر بالمنطقة عنصر جديد ساهم في خلق أوضاع سياسية و اجتماعية و اقتصادية جديدة يتمثل في استقرار قبائل سعيد و بني ثور و الشعانبة و المخادمة ، و سينصب اهتماما في هذا المجال على الوضع في منطقة ورقلة خلال الفترة الممتدة من 1830إلى خضوعها للفرنسيين سنة 1854 و خاصة واحتي ورقلة و نقوصة و ما اتصل بهما من قصور و خلال هذه الفترة مرت المنطقة بمرحليتين تميزت الأولى 1830-1851 بالصراع المحلي حال دون الاستعداد لمجابهة العدو الفرنسي في ين تميزت الثانية 1854/1851 بمقاومة الفرنسيين بقيادة محمد أبن عبد الله التلمساني ، و إذا ما كانت ورقلة قادت المرحلة الثانية فقد تزعمت نقوصة المرحلة الأولى .

و من هنا نبدأ بالتعرف على الوضع الاجتماعي و الاقتصادي لعلاقة بالصراع السياسي [2] .

تعتمد كل من واحتي النقوصة [3] ورقلة في اقتصادها بالدرجة الأولى على إنتاج التمور ، فورقلة تحيط بها غابات من أشجار النخيل تتخللها بعض البساتين مثلما تحيط بالقصور الأخرى المتممة للواحة وهي :(بامنديل ، الرويسات ، عجاجة ، عين حمار، و سيدي خالد) ، حيث يشكل وضعها العام شكلا اصليجيا تغطيه أربعة مائة ألاف نخلة و سترجع هذه الثورة إلى توفر المياه الجوفية بشكل جديد ، تصل إلى الواحة عن طريق وادي مية [4]تقوى بروافد الكثيرة لتتدفق ينابيع أو تستخرج من مئات الآبار قليلة العمق .

ولا شك أن المادة المستعملة هي اللبن ، جذع النخيل و سعفه ، أو غيرها من الإمكانيات المتوفرة فكل البناء اللبن غلا في قصر "منديل " و في قصبة الشريف محمد بن عبد الله بجنوب الروسوبات ، أريد بناءهما بالحجر لمتطلبات دافعية محصن ، كما يقطن في قصر نقوصة كذلك حفر مستحقرون يضمه حي واحد و تقدر دياره بنحو مائه و ثمانية و ثلاثين بالإضافة إلى مسجدين و قصبة.[5]

---

[1] - عبد الحميد زوزو ، محطات من تاريخ الجزائر ،المرجع السابق ص84

[2] - Dumas le Sahara algérien étude géographiques et historique sur la région DU SUR ETABLISENEENT .FRANCAISPARIS1856.P70-

[3] - النقوصة : من النقص كما جاء بيان ذلك في مخطوط بعنوان (تجريب القلم) نقله فيرو في كتابه CHARLES FERAUNDI LE SAHRA DE CONTOUTOUk ALGER1887P45.60

[4] - من العدد (مئة) لكثرة الروافد الوافدة للوادي و التي قد تصل إلى مائة.

[5] - في حين يقول "دوماس" بأن عدد يتراوح مابين150و 200إلا أن رواية ترومليي أكثر دقة لأنه دخل في نقوصة رجال في أنحائها أما دوماس فقد اكتفى بتسجيل ما سمعه عنها TRUMELET.Opcit, P 449 "

و تحيط بقصرهم أسوار تعلوها تدعيمات مربعة يصل عددها إلى ثلاثين و للقصر بدورة خمسة أبواب هي : باب الزريبة ، باب العلوش ، بابا تلموناست ، بابا القصبة ، باب العين الزرقاء.[1]

و هكذا كان يعيش الحضر داخل أسوار قصورهم و خارجها حياتهم العادية ، ففمي الداخل يمارسون التجارة ،و يهتمون الحرف المختلفة من الحدادة و النجارة و غيرهما [2].

و في خارجها يعتنون ببساتينهم و نخليهم ، أما في زمن الحرب فإنهم يتصدرون للدفاع عنها مستحكمين التدعيمات و مدعمين للتحضيرات كما تظل الأبواب موصدة و الخنادق المحيطة بالقصور مليئة بالمياه المتوفرة إلى أن يسود الأمن[3]

**أما الصنف الثاني :** وهم البدو الرحل اللذين استقروا بالمنطقة في بداية القرن السابق عشر فقد ظلوا محافظين على الترحال باستثناء نسبة قليلة منهم و يضربون مضاربهم عند أسوار القصور أو بالقرب منها في غابات النخيل ، لكن علاقتهم بالسكان داخل الأسوار كانت وطيدة عن طريق المصالح المتبادلة حيث كان بعضهم لبعض خدم، و على هذا النحو ارتبطت قبلية يعيد عتبة بأسرة بيني واجين و قبيلة المخادمة ببني سيسين و بدو بوروبة وهم فرع من قبيلة الشعانبة ببني إبراهيم [4]

.مهما كانت طبيعة العلاقة فيما بين القبائل البدوية من جهة وعلاقتها بسكان القصور من جهة أخرى ، فقد لعبت دورا أساسيا في مختلف أوجه الحياة و مادام الأمور هكذا فان الصورة الاجتماعية لا تكتمل إلا بالتعرف عليها و على إمكانياتها الحربية وثروتها الحيوانية وتحديد مجال تنقلاتها.

فخلال هذه الفترة كانت في منطقة ورقلة ثلاث قبائل كبرى:

أولها قبيلة المخادمة التي كان من ضمها بنو حسان ، أولاد نصر، بنو خليفة ،بنو ثور العريمات وأولاد احمد ، كما تملك هذه القبيلة 60 جواد و500 بندقية ولكنها فقيرة نسبيا في قطعان الغنم . أما مجال تنقلهم إلى جنوب شرق ورقلة في اتجاه قاسي الطويل وغدامس .وأما في فصل الشتاء يقصدون وادي زرقون و صغور إلى الشمال الغربي من غرداية وهناك قسم من بني ثور لا يرتحل إنما يقيم باستمرار في قصري الروسيات عين أحمار[5]

أما القبيلة الثانية هي الشعانبة بوروبة وينتمي إليها أولاد إسماعيل أولاد بوبكر ، وردي ، أولاد فرج ، أولاد زايت ولها الإمكانيات التالية 30جوادا ، ومن السلاح كمية تتراوح مائتين وثلاثين مائة بندقية[6].ويمتد مجال تنقلهم حتى غدامس

---

[1] -DUAMAS. OPCIT.P88

[2] - وجود دكاكين في كلا القصرين للحرف اليدوية ماعدا حرف الصياغة التي كان يتولاها القادمون إلى منطقة إلى المنطقة لنفس الفرض و لفترة معينة ،نفس المصدر ص86

[3]- كانت ورقلة محاطة بخندق (مواازا ) لسورها : بينما كانت نقوصة يحيط بها خندق من الشرق فقط ، و يراعي في الحفر الخنادق العمق و العرض خاصة فينما يتراوح العمق مابين 2.3 أمتار كان العرض يصل إلى 10 أمتار

[4]- عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ص87

[5] -Charels feraund .sahra.P459

[6]- DAUMAS.OP CIT.P38

غدامس في الجنوب ، والى تماسين بقرب تقرت شمالا والى عين صالح جنوبا والى وادي الغربي عدد سفوح الجبال القصور غربا[1] وفي هذا المجال الواسع الذي يصل قطر دائرته إلى أربعة مائة كيلو متر تنشر القبائل لمدة ثلاثة أشهر و تعود بعدها إلى ورقلة مع حلول فصل الخريف.

أما القبيلة الثالثة فهي قبيلة سعيد عتبة التي هي فرع من قبيلة سعيد عتبة التي هي فرع من قبيلة سعيد القبلية الأم ، و تضم فتناسة و الرحبات وأولاد يوسف[2].بالإضافة إلى تفوق إمكانيات هاته الأخيرة على إمكانيات القبائل الأخرى بحيث تقدر بمائة جواد و خمس مائه بند قيمة [3]كما يمتلك أفرادها ثروة هائلة من الغنم و الجمال ، أما رحلتهم السنوية فكانت تتم بالشكل الأتي : بعد الإقامة في ورقلة مدة تمتد من أكتوبر إلى جانفي ، و يتم خلالها إلى حتى التمور و شحنها ، ثم ينتقلون إلى نقوصة حيث يمكثون ثلاثة أسابيع و منها إلى ميزاب، و مع مطلع شهر افريل يقصدون وادي زرقون للإنتاج من ناحية و للاتصال بحلفائهم الأرباع من ناحية أخرى ، ثم يرجعون إلى ميزاب لصرف مازاد عن حاجاتهم من الأنعام و الصواف ، ثم يقصدون مدينة تيارت حاملين معهم التمور و أثناء مرورهم بتاجرونة و الاغواط و الشلالة كانوا يبيعون الحبوب مكانها لبيعها من جديد في ميزاب و الاغواط [4].

أما بالنسبة للطريق هذه التنقلات يمكننا أن نتصور دائرة النشاط الاقتصادي تبعا للنقاط التي تنتمي إليها الرحالة القبائل البدوية ، و أن نبين أهمية التبادل التجاري الذي تؤديه فإليها يرجع الفضل في توفر البضائع و تنوع السلع [5] و و ظهور ورقلة كمركز تجاري رئيسي يستقطب نشاط المناطق الصحراوية الأخرى ، و دلالة على ذلك ، قبال القبائل التالية على أسواقها : و هي (الأرباع ، أولاد يعقوب ، بني علال، الاغواط،كسل ، و قبائل أولاد سيدي الشيخ ، بنو مزاب شعانبة ، متليلي بالإضافة إلى الطوارق و تجار مدينة غدا مس .

بالإضافة إلى اعتبار مدينة ورقلة مستودعا ضخما في قلب الصحراء وسوقا عامرة لمدة فصل الخريف بكامله، مما كان يزيد الحركة التجارية نشاطا في هذا الموسم بالذات تواجد البدو في مراكزهم و حلول موسم جني التمور[6]

و لما للقبائل من إمكانيات حربية و دور اقتصادي كما رأينا ، فإن مواقعها من الصراع إلى النفوذ في المنطقة بين مشيحة نقوصة و سلطنة ورقلة ستكتسي أهمية خاصة بالنسبة للنظام السياسي لدى كل منهما فالصراع السياسي بين الواحتين يبدوا تقليديا بحسب ما تسجله المراجع ، و مرتبطا بظهور أسرة بني بابية الزنجية في نقوصة مع مطلع القرن الحادي عشر ، وقد توارثت هذه الأسرة بني بابية الزنجية في خلال هذه النشرة الشيخ الغالي (1818م-1842)و

---

[1] عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق،ص88

[2] -CH.FERAUND.OP.CIT.P488

[3]- Ch.feraund.opcit.sahra.p488

[4] -Duamus.op.cit.pp.82.83

[5] - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص89

[6] - نفسه ، ص90

الشيخ الحاج أحمد الثاني 1842-1851و بناءا على ما نقله [1].رومي فإن حكم أسرة بني بابية يبدأ سنة 1021و ينتهي 1909م و الشيخ أبو حفص ميفري1851م، أوت 1854م في حين تعاقب على ورقلة خلال نفس الفترة مولاي الطيب ، مولاي دلبي ، مولاي علي، مولاي سليمان ، مولاي مسعود ، مولاي عبد القادر [2]

فالحكم كان في مشيخة نقوصة مطبقا بتمتع الشيخ بموجبه جميع الصلاحيات في حين كان سلطنة ورقلة ملكيا مقيدا بمجلس الجماعة المكون من اثني عشر عضو ، يتولى مقاليد الأمور متخذا من السلطان رمزا للوحدة ، فالسلطان بهذا الاعتبار يملك ولا يحكم ، و يرجع ذلك إلى كون السلطة في نقوصة مدعمة بقاعدة مجتمعية متجانسة عرقيا و مترابطة سياسيا ، أما في ورقلة فإن الرغبة في وضع حد للصراعات العشائرية و النزاعات العائلية من أجل السلطة و هي الدافع إلى الاستقدام سلطان غريب من سلاطين فاس لا تربطه أي علاقة المحكومين [3] .

لذلك ظلت ورقلة محل صراعات متجددة تغذيها القبائل البدوية بمواقفها المتقلبة و بتدخلاتها المستمرة الأمر الذي جعلها في غالب الأحيان تخضع لمشيئة أسرة بني بابية على الرغم من تفوقها بشريا و اقتصاديا و حضاريا و أيضا ، كما نجد أنه تعاتب أكثر من سبع سلاطين على الحكم ورقلة ، في حين لم بتعاقب على نقوصة سوى ثلاثة شيوخ .

فحين عرفت هاته الفقرة صراع شديد حيث تكتل سكان المنطقة من بدو وحضر إلى كتلتين كتلة الغرابة والموالية للسلطة ورقلة وتضم الشعانبة والمخادمة بني تور وسيس وكتلة الشراقة الموالية لب بابية وتضم قبائل سعيد عتبة وبني جين أما بنو إبراهيم فان مواقفهم كانت تتماشى من ظروف مصالحهم .[4]

وقد استعمل بنو بابية شتى الوسائل لإرغام سلطة ورقلة وحلفائها الغرابة على تقبل زعامتهم منها تدعيم شرعية أحقيتهم في الحكم بالتأكيد على نسبهم الشريف المنحدر من حليمة سعيد ومرضعة الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وهو ما كان يرفضه أهل ورقلة ، ومنها أتباع سياسة قائمة على التدخل بهدف إذكاء الصراع ضمن كتلة المعادية وتطبيق سياسة القوة باعتمادها على قبيلة سعيد عتبة ذات الإمكانيات قبائل عيد عتبة بني وليجين [5]أما [5]أما بنو إبراهيم فان مواقفهم كانت تتماشى مع ظروف مصالحهم .

وقد ذهبت مشيخة نقوصة في سياستها الرامية إلى التسلط على ورقلة إلى درجة الخضوع للفرنسيين في الشمال مقابل الأشراف على كامل منطقة ورقلة والواقع أن بني بابية قد طبقوا سياسة الولاء تجاه السلطة العثمانية ومنها حصلوا على تأكيد سلطتهم على منطقة على المنطقة واعتبرت تبعا لذلك قبيلة سعيد وعتبة الموالية لهم من قبائل المخزن بحيث

---

[1] Aline remey: histoire toponyme et tradition oral DUN dais arabe berbère étendes sciences économiques et sociales K Sorbonne année universitaire 1973-1974p97 p100

[2].ch.feraud.le Sahara de le conation ,p489.

[3] - كان أول سلطان من سلاطين فاس الذي بين الأسر الثلاث وعدم توصلها إلى اتفاق حول السلطة هو السبب الرئيسي في استقرار مولاي أعلاهم ، بعد أن دفع وزنه ذهبا ، أما قبل ذلك فقد كانت أسرة بني أبي غابول هي الحاكمة في ورقلة ، و كانت لها قرابة مصاهرة بأسرة بني واجبين على قول بن خلدون

[4]- ch.feraud.le Sahara de le conation p485

[5] - عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ،ص92

حصلت على امتيازات مقابل تأديتهم لالتزامات معينة .[1] و بهذه السياسة تسلطت مشيخة نقوصة على السلطنة ورقلة ، و كلما عبرت هذه الأخيرة عن ضيقها أو عن البابيون إلى العثمانيون بالتدخل المباشر[2].

لكن عند سقوط مدينة الجزائر في يد الفرنسيين سنة 1830م ، امتنعت ورقلة عن الدفع التزاماتها المعتادة إلى مشيخة نقوصة ، و اغتنمت فرصة وصول السلطان إبراهيم من سلاطين بني جلاب على رأس الجيش يساعده على إخضاع مشيخة نقوصة ، لكن هذه الأخيرة تفطنت للحيلة ، و تمكنت من تسوية خلافها من بني جلاب و إنهائها لصالحها و بعد القضاء على قوات ورقلة ، و سلك الشيخ العالي بن بابية سياسة الانتقام و العناد ضد ورقلة طيلة المدة الطويلة لحكمه فكان يعتد على قطع نخيلها و يتعرض لقوافلها القاصدة منطقة ميزاب ، و لم يكن إلا بعد حصوله على الشعر و الأتوات .[3]لكن الأمر في عهد الشيخ احمد مختلقة على ذلك بسبب الصراع الداخلي بن أفراد الأسرة الحاكمة من جهة و الشقاق ضمن قبيلة سعيد عتبة من جهة أخرى [4]فكانت النتيجة اختلال في التوازن في المحلفات السابقة و تبدل موازين القرى في كل من نقوصة ورقلة .

و انفجرت الصراع في أسرة بني باية عند ما قام أحمد بدعمه لأولاد يوسف بالاستياء على الحكم و إبعاد أبيه الحاج أحمد بن بابية و قوف أخويه أبو حفص و الطيب بالتحالف مع فتناسة و الرحبات و الشعانبة ضده ، و إرجاع والدهما إلى الحكم من جديد و في هذا الوقت بالذات ثم في ورقلة خلع مولاي مسعود و توليه مولاي الطيب مكانه و أمام الموضع الجديد تحالف أولاد يوسف مع المخادمة و شنوا هجوما في ربيع عام 1843 بقرب ورقلة على الرحبات و فتناسة حلفاء الشعانبة و بني ثور و بعد صراع دام مدة ، تمكنوا من خلالها من قتل شيوخ بني تور ، و أخيرا توصل الفريقان إلى عقد صلح بينهما ، و لكن بعد أسبوعين انفصل المخادمة عن أولاد يوسف و انضموا إلى بني ثور و الشعانبة لسبب أو لأخر قامت الحربيين المخادمة و بني ثور ، تحالف على إثرها أولاد يوسف مع بني ثور و دخلوا في الحرب ضد فتناسة و الرحبات حلفاء المخادمة و حلفائهم [5]و رغم ذلك فقد عجزت نقوصة على عهد الحاج احمد بن بابية في فرض سيطرتها على ورقلة ، و أمام هذا العجز اتصل احمد بن بابية في ربيع سنة 1849م بالقيادة الفرنسية في تيارت للحصول على إمدادات يخضع بها ورقلة القبائل المعادية لها ن و في مقابل تأدية اللزمة ،

---

[1] - من جملة الالتزامات القيام بجمع الضرائب المفروضة على سكان المنطقة و قد كانت ورقلة مثلا ملزمة بدفع خمسة و عشرين عيدا كضريبة سنوية على أن تصل مشيخة نقوصة على عبد واحد من المجموع .

[2]- قام الحملة الأولى على ورقلة سنة 1552 م صالح رايس و اخذ من أهل ورقلة 200.000 ريال ذهبا أما الحملة الثانية فقد قادها صالح باي حاكم قسنطينة 1788م انظرlain romey .opcit.p90

[3]- lain romey .opcit.p100

[4]- تتفرع قبيلة سعيد إلى ثلاث فروع و هي اولاد مولات اللذين استقروا بتقرت و فرع أولاد عمر المقيمين في تماسين و فرع سعيد المقيم بنقوصة و يكون هذا الأخير فتناسة و الرحبات و أولاد يوسف .. انظر: ch.feraud .sahra p462p488

[5] -Ch.feraud. opcit.le sahra p489

و رمز الخضوع للسلطة الفرنسية وفي 20نوفمبر 1849م نحت السلطة الفرنسية إلى الحاج احمد لقب الخليفة على كامل منطقة ورقلة و أرسل إليه مائتي فارس لإقرار سلطته على المنطقة [1] و قوات إمداد القوم طول سنة 1850 و في أكتوبر سنة 1850م إلى ورقلة ، و لكن هذه الأخيرة بقيت رافضة لحكمه على الشيخ احمد بن بابية الذي سار على رأسها عدة مرات في ديسمبر 1849، صامدة في وجه إطماع زنجي منحدر من سلالة العبيد لاسيما وقد تبين تحالفه مع القوات أجنبية[2].

و عندما ورث أبو حفص لقب الخليفة بعد موت والده [3] جرى في نفس الطريق لكنه انشغل أكثر بالنزاع الذي قام بينه و بين أخيه الطبيب و هذا الوقت الذي كانت فيه ورقلة تستعد لتجاوز مرحلة الصراع الداخلي و دخول مرحلة جديدة هي مقاومة مرحلة الفرنسيين ، و بزعامة محمد بن عبد الله الشريف .

و هكذا استقرت المرحلة الأولى عن نتائج سلبية أثرت على المنطقة ففي المجال السياسي انشغلت المنطقة بالصراعات المحلية و انصرفت عن الأعداء لمواجهة العدو الفرنسي في الشمال فضلا عن مدح العدو و فرصة للتدخل في القضايا الخاصة و إعطائه إمكانية التسرب إلى الصحراء عن طريق سياسة الاستنجاد التي طبقها بنو بابية.
وفي المجال الاجتماعي ، ازداد العداء استحكاما بين القبائل العربية لمتجاوزة كما تمتن التحالفات العائلية و العشائرية على حساب التحالفات القومية في مرحلة دقيقة من تاريخ الجزائر ، كما نتج في هذا المجال بالذات نقص السكان لكثرة الحروب [4].

أما المرحلة الثانية هي مرحلة مقاومة الفرنسيين فقد ارتبطت في الواقع بظهور محمد بن عبد الله ، و ابن شمرة في وقت متقارب و الذين طال صمودها في وجه الفرنسيين لكن مواقفها الأخيرة من كفاح الأمير عبد القادر كانت غامضة [5]
5

[1] - Trunelet .op.cit.les.frauncais.p.32

[2] - Ibld.p37p38

[3] - مات الحاج بن أحمد بن بابية في 19 جانفي 1851اثناء عودته من وهران التي قصدها في ديسمبر سنة 1850 لتأدية امتثال لقيادة الفرنسية .أنظر عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص93.

[4] - نفسه ،ص95

[5] - كان بن شهرة آغا من قبل الفرنسيين على قبائل الأرباع قبل انضمامه إلى حركة محمد عبد الله انظر :. ch.feraund.le sahra de condtationp 115

## 3. المبحث الثالث : الاحتلال الفرنسي لإقليم واد سوف 1854

أن فرضيات متعددة فيما يخص أصل تسمية منطقة وادي سوف بهذا الاسم فالدكتور اسكار(escard) يرى أن هذا الاسم يعني بلد الصوف أو البلد الأبيض إلا أن اشتقاقا أخر توجد من خلال دراسة تاريخية أو لغوية لأسماء المواقع الجغرافية الترقية في شكلها البدائي تعني سوف الذي يعني الوادي [1]

كانت أرض سوف في القديم تسمى الظاهرة قال القدماء أنها سميت بذلك لأنها أول قطعة أرض ظهرت بعد نقطة حين انحصر عنها ماء الطوفان كما أن أرض نقراوة ظهر منها جانب في ذلك وهو إلى الأن يسمى الظاهر [2]

ثم صارت تسمى أرض سوف [3] قيل أنها كانت محلا لأهل الصوفة لأن كل عابد من أهل التصوف ينقطع للعبادة فيها وقيل أنها سميت بذلك لأن أهلها الأولين كانو يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم.

وقيل كان بها رجل عليم سمي ذا السوف فسميت هذه الأرض به [4]وقيل سميت بمسوفة فرقة الملثمين من البرابرة وقال القدماء حين أتى الطرود إلى هذه النواحي قالوا اسكن تلك السيوف أي كثبان من الرمل [5]

اسم سوف ليس أبدا خاصا بمدينة إنه يمثل تعداد أفكار مقاطعة سماها العرب وادي سوف والمكونة من سبع قرى هي : الوادي . الكونين – تاغزت – الضمار- البهيمة – دبيلة – الزقام [6]

تقع وادي سوف بين خطي طول 6و8 شرقا بين دائرتي عرض 33.34 شمالا تقدر مساحتها 82000كلم2يحدها شمالا الجوف أو الظهرة : بسكرة .والحوش . وسيدي محمد بن موسى . والفيض . والزرائب .والمبتة وبودخان . ومن جهة الشرق نقرين . وأفركان . ونفطة ونفزاوة . ومنن جهة الجنوب المعبر عنه بالقبلة واحات طرابلس وغدامس وماوالاه ومن جهة الغرب ورقلة تماسين وتقرت وما أصيف لها من قرى التي تمر على طريق بسكرة منها وإليها.[7]

**طبيعة الأرض :**

---

[1] -DR.escard- etude sur le payedu souf.Bull de l' académie d'hippone(1886-1890)N 24-bone,1891

[2] - إبراهيم العوامر الصروف مرجع سابق ص 42.

[3] - يقال أنها مأخوذة من لفظة أزوف وهي كلمة بربرية معناهاالوادي وبحكم اختلاف تداول الألسنة حرفت وصارت سوف.أنظر . إبراهيم العوامر الصروف مرجع سابق 43 .

[4] - إبراهيم العوامر، الصروف ، مرجع سابق ،ص 42

[5] - نفسه ص49

[6] -Doms opcit. p255

[7] - ابراهيم عوامر ، المرجع السابق ، ص 41

إن البحار الرملية في سوف هي أساسا من الحصى والرمال وهذه الكثبان الرملية شبيهة بموجات بحرية ترتفع الواحدة بجانب الأخرى على مسافة لا متناهية .

✓ **الثروة المائية :**

على عمق 15 مترا من منطقة الوادي . و10 أمتار بقمار و3 إلى 4 أمتار بسيدي عون في شمال عمار وتربقاوي توجد طبقات مائية جوفية خاصة بالمنطقة الشمالية والشرقية للبلاد ويرى الأهالي أن هذه الطبقات المائية تعود إلى الأنهار المغطاة حاليا بالرمال.

✓ **مناخ المنطقة :**

يتميز مناخ المنطقة بكونه صحراوي [1] مميزاته الأساسية الحرارة والجفاف وفي منتهى البرودة شتاءا فقد ترتفع فيه الحرارة في النهار إلى ما فوق الخمسين درجة وتنخفض ليلا إلى ما يقارب الصفر [2]

يصل المدى الحراري أي الفرق بين أقصى درجة حرارة في النهار وأدنى درجة فالليل بين 20 و25 ، أمطار المنطقة قليلة تنتسب فيها الرياح الغربية والجنوبية الغربية في فصل الربيع والخريف وهي قوية أم الرياح فهي تكاد تكون دائمة قادمة من الشمال الشرقي والشمال الغربي شتاءا وتصبح جنوبية وجنوبية شرقية صيفا وجنوبية غربية أثناء الربيع والخريف.

وقال المفريزي" ومن عادة هذه الريح أنها تهب في أول النهار وكذلك تهب في أخر النهار ولا تهب قبله . ولا تبتدئ الهبوب في الليل لأن الشمس تبلغ موضع مهبها في ذلك الوقت فتخلل منها البخارات .

وضد ذلك الريح الصبا وتسمى عندنا بالريح البحري لأنها تأتي من ناحية البحر وهي النسيم البحري المعتدل الذي يتلذذ به الإنسان ويطيب النوم فيه ويجد المريض راحة عند هبوبه ويكون هبوب هذا الريح بالأسحار من الليل والغدوات من النهار ولا تهب بعد ذلك غالبا ومن منافعها تلقيح الشجر وترطيب الأبدان والأثمار.

وبعد النظر إلى هاتين الريحين فهواء سوف من أحسن الأهواء لاعتداله وعدم انحراف مزاجه وطيب نسيمه [3].

✓ **الأمطار :**

أما الأمطار بسوف فنادرة ولا تهطل إلا ببعض الجهات من الصحراء شتاء بينما تحرم منها الجهات الأخرى طول السنة ،وقد تهطل في جميعها لكن ذلك نادر كما أنه قد يكون في الخريف أو أوائل الربيع ،والسبب في قلة المطر بالصحراء هو بعدها عن الجبال والأشجار لأن البخار الذي يتصاعد من البحار وغيرها إذا وصل إلى كرة البرد المسماة عند العلماء بكرة الزمهرير أي شدة البرد بالجبال ونحوها يتحلل ويصير غليظة سحابا ورقيقة مطرا فينزل على الجهات التي صعد منها أو يقربها أو تنقله الرياح إلى غيرها من جهات الأرض

---

[1]. - A rnaud l'Algérie médical topographie climatologie pathogène profilasse acclimatent colonisation , paris ,p 20

[2] - ابراهيم عوامر ، المرجع السابق ، ص 57

[3] - إبراهيم العوامر ، الصروف..... ، مرجع سابق ، ص 57.

هذه الظروف المناخية سمحت لأنواع عديدة من النباتات والأعشاب والحشائش ،فمنه هذه الحشائش ما ساعد الرحل من البدو على ممارسة الرعي وتربية المواشي نذكر منها . البشنة .العرجف- الخبيز – اللبين – الحميض- والنخم- الشيح وفيها أعشاب للتداوي والرعي مثل الحرمل – الفجل –أما أشجار الحطب فهي الرتم – الزيناء.....إلخ

أما النباتات المسقية من خضر وفواكه فهي أنواع عديدة نذكر منها القرع – البطيخ –أنواع الفلافل –الحلبة – الحناء التبغ وأهم الأشجار النخيل مصدر لرزق السكان وأنواعها كثيرة ومتباينة ومن أهم أسماء النخيل بسوف – مايامي- دقلة نور . الغرس .تمرجوت. قندي. فاخت .رشتي . تاشلويت .الذكار . دقلة ما من . وغير هذا كثير

أهل سوف يتشبثون بالنخلة وغرسها وال'تناء بها وتشييدها ويتفاخرون بامتلاكها كما يحبون التمور.

أما الحيوانات وادي سوف فقد نجد الغزال والدواجن والطيور وهناك حيوانات انقرضت مثل النمر – الفهد – الحمار الوحشي الزرافة .ومن حشراتها نذكر الحنش – الورل – بوكشاش-بوبريص –الورغة - الشرشمان –العقرب – البوية.....الخ

السكان أن الدارس للتاريخ منطقة وادي سوف يجد التنوع تطور وأحداث وتعاقب أجناس مختلفة عليها وذلك من خلال ما اطلعنا عليها في المصدرين الأول كتاب العدواني الذي توسع في أصل الطرود وعدوان وأهم المحطات التاريخية لسكان وادي سوف وكذلك ابراهيم العوامر في كتابة الصروف وقد قسمنا هذه المحطات إلى نقطتين مهمتين . أصل السكان والتركيبة السكانية .[1]

✓ **أصل السكان**

البربر : الذين يكنوا وادي سوف هو بنو زنانة وهم فرق كثيرة منها زوارة ،زواغة ،دمر ، هراطيل .....حين قدم البرابرة إلى سوف بنو بها أماكن كثيرة منها الجردان والبليدة وتكرارات، المسنة أبي دخان ، العقلة .

كما وفد إليها الكنعانيون وقد عمروها عمرانا قويا وبنوا فيها بناءا كثيرا تقرب بئر بوزلفة بالقرب من عيون النازية طالت إقامتهم سيوف وكانوا أصحال أموال وإبل وتجارة قياسا على منهم بإفريقية .[2]

أما الرومان فقد أتوا إلى سوف في القرن الأول مسيحي وحلوا محل الكنعانيون وتعمقوا في أرضها وبقي الرومان فيها نحو ستمائة عام إلى أن تسلط عليهم الوندال . لكن بعد حرب دامت نحو ثلاث سنوات انجلى الوندال ثم يأتي الروم بعد ذلك فنزلوا بجهلمة وسحبان وبنوا أمكنة سواها للعزلة والعبادة والإستيطان

أما العرب فقد كان قدومهم مع الفتوحات الإسلامية من على حسان بن نعمان – فأسلم البربر أثنى عشر ألف أما البربر المختلطين بالروم بقوا جوالة ،ثم تجد عمران قسطلة والزاب ،وبقية أماكن سوف خراب ،ومع مرور العرب سوف نزلوا بنو حي سندروس قبيلة عميش ووقعت لهم مناوشات مع البربر وكان إستقرارهم مؤقتا وكانت قبائل هلال وسليم وعدوان تعيش في نواحي الكاف وقيروان التونسية – ثم انتقلو إلى الجردانية بشمال سوف في القرن

[1] - ابراهيم عوامر ، المرجع السابق ، ص 127 .

[2] - نفسه ، ص 130.

السابع هجري حيث وقع صراع في حدود 600 هـ(1204) بينهم من البربر انتهى بإنتصار عدوان أما قبيلة الطرود فقد كانت تعيش في طرابلس ثم في بلاد تونس واستقروا في نواحي عقلة الطرودي وبودخان ،المبنة في أواخر القرن السابع الهجري (690هـ-1592م) أما استقرارهم في مدينة الوادي فكان في حدود 800هـ حين استقرت قبيلة أولاد أحمد بالقرب من سيدي مستور الذي هاجر قبلهم من المغرب ونزل قرب تكسيت القديمة . ثم أتى إليهم قوم مرداس[1]

ألفتهم الناس وصاروا بين الذاب، وتقرات ، الجردانية ،تكست ، الصحراء ، القبلية . وتصاهروا معهم وصاروا منهم ،عاد الطرود عقلة الطرودي وإبلهم وسندروس ونواحي الفلوبة وبورقيبة لكن النزاع مع الزناتة عاد معهم وفي حدود 1016هـ 1608م أتت إلى سوف طوائف من المغرب ( أهل الأندلس ) وشكروا للباي أخلاق سكان سوف اتت إلى سوف طوائف من المغرب ( أهل الأندلس ) وشكر للباي أخلاق سكان سوف فربط معهم علاقات وكانت طيبة حتى دخول الإستعمار الفرنسي للبلاد فلم يرضخ سكان وادي سوف ولا قبائلها ولا بدوها ولا حضرها للسلطة الفرنسية وقاوموها مقاومة

- ✓ **التركيبة السكانية :** سكان المنطقة وادي سوف فقد ينقسمون إلى سكان حضروهم في أغلبيتهم مسلمون وبالإضافة إلى أقية يهودية وسكان الوادي والأرياف وكلهم مسلمون ،يتميز سطان منطقة الوادي سوف بالنزاهة والصدق وخفة الروح كما يصفهم الفرنسيون [2].
- ✓ **السكان الحضر :** يتجمعون في ثلاث قبائل هم أولاد سعود دبلة وقمار يظطرون للتنقل إلى الشمال وإلى مدينة تونس للمتاجرة بالتمور والحبوب ولا يتراجعون أمام أي عمل مهما كان شاق

أما البدو الرحل في هذه المنطقة فقد كانوا يعرفون بالمصاعبة وعشاش ينتقلون دون كلل وملل في الصحراء بصفة عامة ولا يقيمون بجوار الواحات إلا عند موسم جني التمور وقليل منهم يهاجر إلى المناطق التالية ويختلطون بالشعانبة ويرحلون معهم إلى الأبار الموجودة في جنوب غرب ورقلة ويختلطون بالنمامشة أما العدوان الذين تكلمنا عنهم سابقا الذين ينحدرون من أصول العرب الفاتحين الأوائل لشمال أفريقيا كانوا رعاة مواشي لكن مجيء القبائل الأخرى ومن مصر جعلهم يتخلون عن حياة البداوة والترحال ويتجهون إلى المدينة وهم يشكلون أغلب سكان التجمعات السكنية في سوف [3]

---

[1] - ابراهيم عوامر ، المرجع السابق ، ، ص ص 141-191.

[2] - ابراهيم عوامر ، المرجع السابق ، ص 201.

[3] - احمد بن سالم ، الأوضاع الصحية للجزائريين في منطقة وادي سوف خلال دورية أرشيف باستور الجزائر 1919- 1939 ، راسالة ماجستير في التاريخ المعاصر ، 2008 -2009 جامعة الجزائر ص 45 .

✓ **أوضاع إقليم واد سوف قبل الاحتلال الفرنسي :**

- لم يخضع إقليم سوف للحكم المركزي في عهد الجزائر العثمانية (1518م/1830م) إلا في بعض الفترات الأخيرة منه ،ذلك أن أغلب مناطق الصحراوية تكاد تكون في عزلة تامة عن الأتراك العثمانين بالجزائر ،حيث كانت تعيش شبه مستقلة وتخضع لنفوذ ما يعرف ( بالجماعة ) وهم العقلاء الذين يقع عليهم الإختبار من طرف الأهالي ،ولم تخرج منطقة وادي سوف عن هذا النظام غير أنها أصبحت تابعة إسميا وصوريا لنفوذ شيخ العرب الممثل لباي قسنطينة في الصحراء من جهة ،وكذلك ممثل السلاطين بني جلاب بتقرت من جهة أخرى ،وهذا من خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي [1]

والجدير بالذكر أنه بعض قرى سوف رفضت الخضوع للسلطة بني جلاب في حين إنقاذ البعض الآخر إليهم ، الأمر الذي جعل بعض سلاطين تقرت يحاولون إخضاع قرى سوف لسلطتهم بالقوة وجمع الإتاوات منها عنوة .

ففي سنة 1787م. ،كان الشيخ فرحات بن حلاب سلطانا على تقرت ونواحيها . وكان مستقلا عن الحكم العثماني أو بالأحرى عن باي قسنطينة حيث يرفض الإنطواء تحت نفوذه ،بل كان ينافسه في السيطرة على سوف ويريد الإستحواذ على الضرائب جميع قرى سوف ،مما جعل أصل الإقليم في موضع حرج أمام هذا الإنقسام في السلطة ،فبينما كانت سلطات تقرت يطالبهم بالإعتراف بسلطة وتسليم الجبايات إليه ،كان شيخ العرب ببسكرة يبعث إلى منطقة سوف من حين إلى آخر بعض جنوده من الأتراك العثمانين لجمع الضرائب .وبذلك انقسم أصل سوف مابين الخاصعين للطان تقرت والرافضين له ،لهذا عزم الشيخ فرحات على محاربتهم ومعاقبتهم ، مثل مافعل مع القسم الغربي سابقا فبعد أقتتال ضاري انهزم الدبليون بعدما قتل منهم الكثير فخربت مساكنهم ونهبت أمتعتهم وخضعوا لنفوذه ،وفي عام 1789 عاقب الشيخ فرحات أهل بلدة قمار بسوف أيضا ،فنزل عليهم بجيش يقوده محمد بن الحاج بن قانة وفرض عليهم دفع 25 ألف ريال سوفي وأمرهم أيضا أن يقدموا ما يكفي للمحلة من القمح والسمن والزيت وما يكفي دولهم من الشعير والحلفاء وأقام عندهم 25 يوما على هذا الحال ثم ارتحل راجعا[2].

وفي سنة 1791 قدم صالح باي ، حاكم بايلك الشرق من تقرت إلى قسنطينة ومعه ستة ألاف فارس . من العرب الشجعان وألف فارس من الأتراك حاصر بهم الشيخ فرحات لمرة أربعين يوما غير أنه لم يستطع فتح تقرت ،ما جعله يتركها ويستعمل الحيلة للقبض عليه وأن يخرجه من حضنه ويبعده عنه ،وهذا لإثارة الفتن والتورات صده بمنطقة سوف ولهذا ارغم فرحات فيما بعد على مغادرة تقرت قاصدا منطقة سوف للإنتقام وإسترجاع نفوذه وبسط الأمن والهدوء في المنطقة . لكنه لقي مصرعه أثناء هذه الحملة ،وبذلك تم الإعتراف بسلطة صالح باي على سوف وتقرت

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ..... ، المرجع السابق ، ص 166.

[2] - نفسه ، ص 167.

وعين الشيخ محمد بن الشيخ الحاج أحمد واليا على كل المنطقة ،مكان الشيخ فرحات ورغم ذلك بقيت بعض نواحي سوف كالوادي وعميش والطريفاوي ،مناهضة لسلطة بني جلاب[1] .

وقد واكبت هذه الأحداث حركة فكرية وأدبية وتجارية مزدهرة في يوف خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين . فقد اشتهر أهلها بالعلم والعلماء وحب المغامرة والهجرة والتجارة فكانوا يقودون القوافل التجارية بين أهم المحطات التجارية والأسواق الصحراوية فنجدهم يتجارون مابين وادي سوف وعن دامس وغزان وطرابلس والجرير وتونس من جهة ووادي سوف والهقار وتوات من جهة أخرى . ومن رحالات وادي سوف المصلحين ، البارزين والذين أثروا في تاريخ المنطقة ،الشيخ سيدي سالم الأعرج السوفي شيخ الطريقة الرحمانية [2]ومؤسسها بإقليم سوف والمقبور بزاويته الشهيرة بمدينة الوادي ،وهو محمد بن محمد بن سيدي محمد بن نصر بن عطية الشريف دفين القيروان وقبره يزار الآن

أما طريقته فقد أخذهخا سيدي سالم عن الشيخ سيدي علي بن عمر الطولق الشريف الملقب بـ" شيخ الزهاد وفخر العباد وسراج الطريقة ومعدن الحقيقة " فهو أخذها عن الشيخ عزوز البرجي الملقب أيضا " بابي بركات القدوم الهمام ذي النفع والفيض على جميع الأنام " فهو أخذها من " كهف الأنام وحجة الإسلام ذي الحجج الباهرة والكرمات الظاهرة وحيد الأولياء ورئيس النبلاء ". العامل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن باشا التارزي

وتستمر سلسلة الشيوخ في الأخذ عن بعضهم إلى السبطي نبي محمد صلى الله عليه وسلم . سيدا شباب أهل الجنة الفاضلين " الحسن" والحسين" وهما أخذاها عن باب المدينة العلم ابن عم سيدنا " محمد صلى الله عليه وسلم والدهما سيدنا علي بن إبي طالب " كرم الله وجهه " وهو أخذها عن سيد المرسلين محمد الصادق الأمين " صلى الله عليه وسلم " وهو عن جبريل عليه السلام وهو عن الحق جلا وعلا ، ترك سيدي سالم ولدين فاضلين هما : الشيخ سيدي مصباح هو الأكبر سنا والآخر سيدي محمد الصالح ، فالأول جرى على طريقة الأشياخ الذين يكتمون أمرهم أما الثاني فجرى على طريقة من يذيع ذلك ،لهذا فقد لازمه طلاب العلم والشيوخ ومنهم الشيخ ابراهيم بن محمد الساسي بن عامر السوفي الوادي حيث كتب في رسالة سماها : البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح ". نشرها أبوا القاسم محمد الحفناوي ،في كتابه تعريف الخلق برجال السلف حيث يظهر فيه خصال آل سيدي سالم وما قدموه من أعمال جليلة في نشر العلم وإرشاد الناس وإصلاح الفساد عن طريق زاويتهم بالوادي ،التي أصبحت عبارة عن خلية تضم العديد من طلاب حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم المختلفة ، حيث تخرج منها العديد من المعلمين والأساتذة الذين خدموا الدين الإسلامي . واللغة العربية في الجزائر[3] .

---

[1] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ..... ، المرجع السابق ، ص 167.

[2] - عرف اقليم سوف ثلاث طرق صوفية هي الزاوية الرحمانية بمدينة الوادي والزاوية التجانية ببلدة قمار والزاوية القادرية بالبياضة وعميش ولكل زاويا فروع اخرى في بقية قرى سوف وتعمل كلها على نشر التعليم وحف القرآن الكريم انظر : ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ، المرجع السابق ، ص 200.

[3] - ابو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1 سلسلة ابيس للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1991 ، ص 231.

✓ **إقليم سوف تحت النفوذ الفرنسي :**

لقد بدأت فرنسا تفكر في احتلال إقليم سوف ، منذ الأيام الأولى من سقوط مدينة قسنطينة في شهر أكتوبر 1837م حيث برهنت الأحداث على أن سوف أوما يعرف في ذلك الوقت بصحراء قسنطينة هي القاعدة الخلفية للمجاهدين والزعماء .

وبعد احتلال القوات الفرنسية لبسكرة عام 1844م ،إلتجأ خليفة الأمير عبد القادر وقائد الجهاد بالمنطقة محمد الصغير بن أحمد بن الحاج إلى وادي سوف ليعتصم بها ،ولهذا عملت القوات الفرنسية في الجزائر جديا على مر احتلالها إلى سوف . فأرادت جس نبض سكان المنطقة قبل الإقدام على تنفيذ مشروعها الإستعماري ،فبعثت بأحد شيوخ أولاد عمر ليخبر أهل سوف البلاغات التي أصدرها الوالي العام للجزائر عام 1845م وقد تقبل سكان المنطقة هذه الإعلانات بقبول حسن لأنها تراعي مصالحهم لهذا أسرعت القوات الفرنسية بتجهيز الطوابير العسكرية للسير نحو الإقليم ويقول الضابط " لورانت شارل فيرو" في كتابه " صحراء قسنطينة" والمنشور في الأعداد المتتالية من المجلة الإفريقية مايلي " إخلال السنوات الأولى لإحتلالنا للصحراء ومن أجل تثبيت مؤسساتنا اقتضت الضرورة لإخضاع أولاد نائل ثم الأوراس ثم النمماشة ، وحتى نتفرغ ونهتم بكل جدية لعملية سوف المضطرب جدا بتأثير من بن أحمد بلحاج اللزي طرد من الأوراس من طرف الجنرال بيدوBedeau فلتجأ إلى الوادي [1].

ومن هنا بدأ الإهتمام الفرنسي يزداد بمنطقة وادي سوف ففي سنة 1848م شرعت الإرساليات الإستكشافية في التوافد على سوف ،حيث وصل الضابط براكس(PRAX) للإقليم قادما إليه من الجنوب التونسي فيعتبر براكس من قدماء ضباط البحرية غير أنه هذه المرة أراد أن يتعرف على بحار الرمال بالصحراء فقام بهذه الجولة عبر الجنوب الشرقي الجزائري فزار وادي سوف ووادي ريغ وبسكرة ،ثم أصدر دراسة هامة إستفادت منها المصالح الإستعمارية وهي تحت عنوان " تقرت وسوف"[2] ثم أعقبها بدراسة أخرى حول التجارة الصحراوية والتجارة العابرة للصحراء عنوانها بـ تجارة الجزائر مع مكة والسودان وأصدر صكا بباريس سنة 1849 وفي سنة 1850 زار سوف الباحث المعروف أندريان بروبروجار( Adrien.berbrugger ) عن مدينة سوق أهراس فزار واحات الجريد ( الجنوب الغربي التونسي)ومنه انتقل إلى سوف وتجول في أرجائه ازار واد ريغ ومدينة ورقلة ووادي ميزاب والمنيعة وتوات ،و أصدر عنها دراسة بعنوان " النتائج المتحصل عليها من الإستكشافات المنجزة للتوغل في السودان " أعطت هذه الدراسة معلومات هامة عن سوف حالها حال بقية المناطق التي وصلتها البعثات للتمهيد والتوغل وبالتالي الإحتلال ومازاد في تسهيل المهمة هي الأوضاع السياسية والإجتماعية المتدهورة ، حيث أن وادي سوف تأثر بإحتلال الشرق الجزائري مثل بسكرة قسنطينة ، وثورة الزعاطشة والصراع الذي صاحب هذه الوقائع والمنافسات الشديدة التي دارت بيت عائلتي بوعكاز وابن قانة وكذلك سلاطين بن جلاب بتقرت [3].

---

[1] - ch fereaud ,notes hassidiques sur la province de cimstantime in revue n26 ,1882 , p 109-110.

[2] - PRAX , tou ggourt le souf , in revue de l'orient de l'Algérie 1848…, p 129.

[3] - ben Brugge projet d' explorations in extrait a la bibliothèque national Alger ,p 8.

وفي جانفي 1852م توفي سلكان تقرت الشيخ عبد الرحمان الملقب " بوليفة" تاركا إبنا وريثا هو عبد القادر الذي لم يتجاوز عمره ست سنوات لهذا تولي الحكم تحت وصاية جدته لالا عشوش وهي من عائلة بن قانة ، كان له منافس على الخلافة سلمان بن علي الكبير وهو ابن عم الحاكم المتوفي وعمره ثمانية عشر سنة وقد تلقى الدعم من تمناسين " وكذلك محمد الشريف بن عبد الله سلطان ورقلة ،ولهذا عارض الوالي العام للجزائر هذا الإجراء وكان يفضل تعيين واحد من أولاد ابن قانة حاكما على تقرت ، لكن السكان قاوموا هذه الفكرة حينذاك لهذا لم يبق أمام فرنسا إلا التدخل العسكري المباشر لتحقيق أهدافها [1].

وفي نفس الوقت حصل سلمان على دعم أولاد أولاد سعود من سوف وقدموا له ثلاثمئة (300) جندي من المشاة وبمساعدة هؤلاء إستطاع أن يستولي على تقرت بطريقة مفاجئة في أول أفريل 1852[2].

أرسل الفرنسيون أحمد باي في شنوق إلى سوف كقائد عليها ولمحاولة إبعاد السوافة عن سلمان ،لكنه فشل في مهمته ،غير أن سلمان بدأ في مداهة بعض السوافة ففي أفريل 1853 خسرا كثيرا من الدعم الباقي له في سوف عندما أغار على كوينين ،لكن قوات سلمان كانت من الضعف بمكان حيث لا تقدر على مهاجمة قمار فقد إكتفى بالرجوع توقرت ماي 1853 أمر الوالي العام للجزائر بحصار اقتصادي على الوادي وريغ وسوف ،فحين أظهرت بعض المقاطعات سوف كالزقم والبهية وقمار وتاغزوت وكونيين علاقتهم الحسنة ونواياهم الطيبة مع فرنسا وأرسلوا وفدا إلى بسكرة ليعرض دفع الضرائب لهذا سمح لهم بالدخول إلى أسواق بسكرة .

وفي نفس الوقت سلمان نفسه خليفة كشريف ورقلة ليعاونه في تجنيد أهل سوف – كما طلب الدعم من باي تونس ضد الفرنسيين فكان رد فعل الحاكم العام تعيين واحد من أولاد شنوف حاكما جديدا على تقرت . وقد حاولت فرنسا تجسيد فكرة الصراع بين الأخوة مثل مافعلت مع باقي المناطق فإنقسم أهل سوف إلى صنفين – الأول يتكون من أهل الوادي – قمار – البهيمة – الدبيلة إنحازوا إلى عائلة بوعكاز وأولاد سعود ، من سكان زقم وكوينين وتاغزوت مع عائلة بن قانة .

اتخذت فرنسا من انضمام سليمان إلى محمد شريف بن عبد الله ذريعة للغزو وادي سوف للقضاء على الثوار بعد لجوء محمد شريف وادي سوف 1854 [3] .

وصلت القوات الفرنسية الأمامية المتكونة من مائتي وخمسين جنديا نظاميا وألفي وأربعامئة إحتياطيين إلى توقرت في أواخر شهر نوفمبر 1854 إلى موقع المقارين استنفر الشيخ سليمان قواته وأخيرا أهل الوادي سوف ففزع له جمع غفير وأنضموا إلى محمد شريف ودخلوا بتوقرت يوم 28 نوفمبر وبذلك أصبحت قوات سلمان تقدر بأكثر من أربعمائة – فارس وألفين من المشاة [4]

---

[1] -ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ، المرجع السابق ، ص 172 .

[2] - نفسه ، ص 174.

[3] - ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ..... ، المرجع السابق ، ص 175 .

[4] - ابراهيم عوامر ، الصروف ..... المرجع السابق ، ص 114 .

إلتقى الجيشان في معركة طاحنة يوم 29 نوفمبر بالمقارين[1] تأرجحت كفة النصر بين الفرنسيين بقيادة الرائد مارمية وأتباع سليمان بين النصر والخسارة ،كانت نهايتها إنهزام جند الشيخ سلمان ترك وراءه خمس مئة شهيد ، وفر إلى تماسين مع محمد الشريف ثم انتقلا إلى سوف ثم إلى الوادي ومنها دخل القطر التونسي.

قد تركت معركة المقارين واحتلال توقرت وقع كبيرا في نفوس الناس ،وفي 1205 وصل العقيد ديفو Devaux إلى توقرت وبع التحامه مع الفرقة المحتلة قام بمراقبة الأوضاع ثم غادر وترك فرقة صغيرة لمراقبة المكان ،وارتحل بجيشه ليختبر أحوال سوف تمهيدا لإخضاعه للنفوذ الفرنسي وبعد ثلاثة أيام من السير وصلوا إلى إقليم سوف عبر الطيبات القبلية وأول دخول كان يوم 13.12.1854 لبلدة تاغزوت وقد اختارها القائد الفرنسي " ديفو" لمعرفة لموقف السكان المعادي لخصوم الفرنسيين في توقرت ،وتركوا الطابور الفرنسي يتجول داخل القرى بكل حرية .استراحت القوات بعض الوقت ثم توجهت إلى بلدة كونتين ،ثم زيارة الوادي ،ثم رجعت القوات إلى توقرت 1854.12.23 واعتبرت الأوساط الفرنسية أنها حققت نجاحا باهرا ،توالت على وادي سوف عدة أحداث بعد سقوط توقرت ، ولم تستقر فيه الأمور ففي خريف 1855 قام طابور الجنوب لمقاطعة قسنطينة بمسيرة إلى سوف تحت قيادة الضابط " ديفو " لترسيخ النفوذ الفرنسي بالإقليم مع طابور من بسكرة وقبيلة طابور من بوسعادة تحت قيادة العقيد بان (pien) نحو الواحات الجنوبية تجمعوا يومي 26،25 .11. 1855 في بسكرة ليتحرك بإتجاه وادي سوف

وصلت القوات الفرنسية إلى سوف يوم 05. 12 . 1855. واجتمع بقرية سيدي عون مابين 05. 06. 12 ثم بالدبلة وجمع المعلومات عن المنطقة منها معلومات حول محمد بن عبد الله ونشاطه وكذلك نشاط ابن ناصر بن شهرة المتواجد بنفزاوة غادرت القوات الفرنسية الدبيلة يوم 08. 12.وفي اليوم الموالي وصلت أخبار عن الطوابير الأخرى قادمة من الجنوب [2] لتحميه بعدما رتب أوضاع قمار اتجه إلى كونيين ليواصل سيره إلى الوادي يوم 11-12-1855. في 13-12 غادر الطابور الفرنسي الوادي تاركا وراءه الإستقرار والأمن ،وبعد مرور سنة كاملة من بسط نفوذهم اتجه الطابور نحو تقرت ليدخلها يوم 22-12 ويلتحم مع طابور بوسعادة [3]

ومن أجل تهدئة الأوضاع بإقليم سوف شيدت المصالح الفرنسية أبراجا للمراقبة تحرس الطرق والمسالك لحماية القوافل ونشر السلام وعلى اثر مشادات ومخاصمات بين صف قمار وصف تاغزوت وقدمت قوات الجنرال لاكروا –فانسوا (LACROIX.ANBIOS) إلى سوف لتراقب لتراقب أهله وتضغط عليه لتمثل لأوامر السلطات الفرنسية من جهة أخرى ، ثم إبعاد الناس في المشاركة في ثورة 1871 للشيخين المقراني والحداد ، لهذا أمرت السلطات عائلتي ابن قانة وبوعكاز[4] بتجنيد المقاتلين في صفوفهم خاصة بعد مغادرة على باي تقرت كما يشعر به من خطر من الأحداث التي تحدث في ورقلة – إلا أن المجاهد الشريف بوشوشة لاحقه واحتل سوف في مارس 1871 لكنه

---

[1] - ابراهيم عوامر ، الصروف ..... المرجع السابق ،ص 312.

[2] - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ص 156.

[3] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ، المرجع السابق ، ص 183 .

[4] - عبد الحميد قادري ، التعريف بوادي ريغ ، المرجع السبق ، ص18 .

تفاوض معهم وترك سوف واتجه حينذاك إلى مدينة تقرت 13 ماي 1871 وصولو إلى تقرت اين استقبلهم السكان بكل حفاوة وفي 24 جوان وصل علي باي إلى توقرت من بسكرة فهاجمه بوشوشة ففر علي باي إلى بسكرة .

أعادت السلطات العسكرية الفرنسية سلطتها على تقرت في أواخر الشهر ديسمبر 1871 ،واتهم علي باي عائلته بن قانة بضياع حكمه لمساعدتها لبوشوشة ولكن السلطات الفرنسية أبعدت علي باي .

وهكذا بدأت الأمور تسيير بنحو الحكم الفرنسي المباشر ،في مارس 1872.دخل سوف طابور فرنسي بقيادة الجنرال الفرنسي "قاليفي" CALLIFATرفقة أو أحد أبناء عائلة بن قانة كمترجم طمعا في السلطة على تقرت لكن فرنسا جاءت للحكم المباشر فأنشأت ملحقة بتقرت وأوكلت قيادة سوف إلى أحد الصباحية العربي مملوك[1] يوم 22 ماي 1872 لكن تم قتله في 11-1873 بعد هذه الحادثة زار الجنرال ليبير (LUBERT) وعين مكانه خليفة بين خليفة علي الطرود وأخر على أولا سعود

لكن تواصلت النزاعات فظهرت شخصيات أخرى فعين سي العقبي مكان الغربي مملوك بلقب خليفة علي سوف اعتمد على حمو موسى

لم تمضي إلا سنة اضطربت الأوضاع بحيث أن سعيد إدريس أحد ضباط الصباحية وهو آغا توفرت وورقلة ارتفعت مكانه بعد إلقاء القبض على بوشوشة 1874م أعطيت له إدارة سوف وأحل محل حمو موسى أحمد بن التواتي لكن المنطقة ، دخلت في صراع بين هاتين الشخصين أدت في نهاية المطاف بوضع سوف تحت المراقبة المباشرة لكن أعادت السلطات النظر في الأمر وأعادت تعيينهم من وفاتها.

لكن سنة 1883 اضطرب الأمن بسبب العدوان الفرنسي على تونس. وفي 17 جانفي 1885 أصدر قرار حكومي يقضي بإنشاء ملحقة الوادي فإستقلت الفرق العسكرية لتتركز في الوادي 31 ماي 1887.

وبمقتضى القرار الحكومي 1 جانفي 1893موالقاضي بإنشاء دائرة تقرت ارتبطت ملحقة الوادي بها بعد أن كانت تابعة لبسكرة ، تكون فيها سوف بلدية أهلية مستقلة عن البلدية المختلطة بتقرت.[2]

[1] - العربي المملوك : هو احد جنود الصبايحية الذين خدموا الادارة الاستعمارية من اصل ايطالي اعتنق الإسلام واتقن اللغة العربية نصب يوم 22 ماي 1872 قائدا على وادي سوف الا انه كان تابعا من الناحية الإدارية لاغا تقرت وقد اغتيل بعد عام من تنصيبه على يد رجل اسمه حميد وهو متجه الى قسنطينة ليوصل ابه الى مدرسة داخلية انظر : سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 295.

[2] - ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي ..... ، المرجع السابق ، ص 197 .

# الفصل الثالث :

# المقاومة الشعبية ضد التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي الجزائري

## 1- مقاومة الزعاطشة في بسكرة .

## 2- مقاومة بن ناصر بن شهرة في الاغواط

## 3- مقاومة بوشوشة والشريف محمد بن عبد الله

## الفصل الثالث: : المقاومات الشعبية ضد التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي :

### ❖ المبحث الأول : مقاومة الزعاطشة في بسكرة

تعد صورة الزعاطشة من الثورات الشعبية البارزة ، وهي بمثابة حلقة معينة من سلسلة بطولات الشعب الجزائري الذي جاهد لطرد المحتل وعدم السماح له بالتغلغل في أعماق الوطن وقد أطلق عليها اسم الثورة لأنها حولت التغيير الشامل لكافة الأوضاع السائدة آنذاك وبمشاركة واسعة للجماهير من أنحاء الوطن .

- **أسباب ثورة الزعاطشة :**

الثورة الزعاطشة ماشة أسباب عدة ومهما يكن فإن الظلم الاقتصادي هو من الدوافع الهامة لإشعال الثورة ، غير أنه ليس بالدافع الأساسي لأن الجزائريين يثورون غالبا بدافع الشرف و الدين و الوطن ويدل على ذلك تضامن سكان الناحية مع الثوار ، هكذا تضافرت كل هذه العوامل لاندلا ع ثورة عارمة هدفها التغيير الجذري للواقع المر المزري هذا وقد اشغل فتيلها الملازم سيروكا نائب قائد المكتب العربي ببسكرة بتصرفاته المتعجرفة.[1] وبهذه الأسباب العديدة و المترابطة و المتداخلة في بعضها البعض يمكن حصرها في النقاط التالية :

رفض أهل الواحة القاطع للاحتلال الفرنسي

صدى الثورة الفرنسية لسنة 1848م وعزل الملك الفرنسي (لويس فيليب) ، و الاطاحة بنظامه وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية كل ذلك أثر على الحياة السياسية بالجزائر فقد عزل الحاكم للجزائر الدوق دومال ابن الملك فليب وثم تعويضه بالجنرال كافيناك وذلك يوم 03 مارس 1848م.

ثم تلاه رحيل عدة كتائب من الجيش الفرنسي من الجزائر لتشارك في الثورة بفرنسا نفسها وتعمل على إخماد الفتن وفي نفس الوقت انتشرت أخبار مفادها أن بريطانيا قد أعلنت الحرب على فرنسا وأنها تستعد لشن حملة على فرنسا في الجزائر وقد وصلت هذه الأخبار لمنطقة الزيبان عن طريق العمال "البساكره" بالعاصمة [2] الذين يعودون إلى أهاليهم من حين إلى أخر فأشاعوا هذه الأنباء المثيرة التي فهمها أهل الزعاطشة على أن ساعة الخلاص والتحرر قد حانت فرفعوا لواء الثورة والجهاد

كان للظروف العسكرية التي عاشتها مقاطعه قسنطينة الدور الهام في تهيئه الفرص المواتية للشيخ بوزيان زعيم ثوره الزعاطشة للإعلان عن الجهاد ذلك أن جيوش المقاطعة قد جهزت لقمع الانتفاضات المشتعلة هنا وهناك في كل من

[1] - ابراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر ... ، المرجع السابق ، ص 65 .

[2] - ابراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ، المرجع السابق ، ص 50.

زواغه وبني يعلى وبني ميليكش في جبال جرجره و مقاومة أولاد دراج بالحضنة أولاد فرج في منطقه بوسعاده وغيرها وقد أدى كل ذلك إلى تناقص عدد القوات المرابطة في باتنة وبسكره والتي لم يزيد عددها عن800 رجل بالإضافة إلى غياب قائدهم سان جرمان عن دائرة بسكره فاستغل الشيخ بوزيان كل هذه الظروف في الإعلان عن حركه الجهادية[1]

آمل الشيخ بوزيان في مواصله الثورة التي قادها الأمير عبد القادر طيلة 17 عاما ذلك انه كان تابع للدولة الأمير و كان يشغل منصب شيخ واحة الزعاطشه ضمن موضفي إدارة المنطقة وتذكر بعض المصادر التاريخية انه كان من المرابطين والأشراف وانه محارب وشجاع من احدث الرماة وان سمعته كانت واسعة وشخصيته محترمه لقد حرب جنود احمد باي خلال حصاره لواحة الزعاطشه 1831فضلا عن نفوذه المالي ورغم استعمال العدو كل وسائل البطش والتعذيب من اجل معاقبه الثوار المجاهدين وذويهم ليكون عبره للآخرين مثل الإعدام التعذيب مصادره و إتلاف وحرق الأراضي وغيرها في الأحيان الأخرى استعمال الترويض والتدجين وشراء الذمم فان شعلة الثورة لم تخمد بعد بل استمرت مرفوعة يسلمها كل ثائر إلى من خلفه لذلك فانه الشيخ بوزيان قد اخذ مشعل الثورة عن الأمير عبد القادر لمواصله الكفاح في سبيل الله والوطن والذود عنه[2]

انتشار الروح الدينية والمقاومة للحفاظ على كيان الشعب العربي المسلم في الجزائر الذي بدا يتعرض للتحطيم للقضاء على شخصيته عن طريق سياسة الإدارة الفرنسية بالجزائر ذلك لان المواجهة ليست عسكرية فقط بل الحضارية أيضا كما أن الوازع الديني دوره الفعال في تعبئه الأهالي فقد اعتمد الشيخ بوزيان[3] في كسب ثقة وتأييد الجماهير وتقويه عزيمة مناصريه و ترسيخ ايمان كامل السكان بما كان يدعو إليها بان النصر مؤكد

وهذا حسب ادعائه لرؤية النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المنام[4] و أن الرسول الكريم قد قال له بان احد الكفار قد انتهى وسيبدأ عهد المؤمنين وبأنه مكلف بمحاربتهم و إخراجهم من الجزائر

[1] - مياسي إبراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء ، المرجع السابق . ص 59

[2] - مياسي ابراهيم ، المقاومة الشعبية ، المرجع السابق، ص 51 .

[3] - السيخ بوزيان : اسمه الحقيقي عبد الرحمان بن زيان وهو من اعراش وادي عيدي بالاوراس عين نائبا للامير عبد القادر بمنطقة الزاب الظهراوي وكان رجل دين مرابطا قاد ثورة الزعاطشة اين استشهد ، انظر موسوعة الاعلام ، الجزائر ، 1830 -1954 ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 ، ص 86 .

[4] - chferud , les ben djellol in revue africaine n 28 , 1884 , p 399.

لا شك أن الدافع الاقتصادي الدور الهام إشعال الثورة حيث ارتفعت الضرائب على النخيل ابتداء من شهر مارس 1849 من 0.25 فرنك إلى 0.40 فرنك للنخلة الواحدة والملاحظ أن هذا الارتفاع في الضرائب إلى تبرم السكان كما ألغت السلطات الفرنسية جميع الامتيازات القديمة للمرابطين والقاضية بإعفائهم من الضرائب و من بينهم الشيخ بوزيان نفسه الذي استغل هذا الوضع في إثارة الاحتلال [1]

- **انطلاق الثورة:**

اندلعت هذه الثورة في واحه الزعاطشه بمنطقه الزيبان الظهراوي على بعد 35 كيلو متر جنوب غرب مدينه بسكره وكان زعيمها الرئيسي هو الشيخ بوزيان المعروف ب احمد بوزيان مقدم الطريقة الدرقاويه بالمنطقة وكانت في السابق يعمل سقاء في مدينه الجزائر العاصمة و هو رجل ذو حيوية كبيره عمل تحت إمرة الأمير عبد القادر كشيخ على سكان الزاب الظهراوي وقد ادعى هيرديون انه غضب عندما لم تضمه السلطات الفرنسية إلى فرقه جنود المخزن بعد أن سيطرت على المنطقة ولهذا اغتنام فرصه غياب الجنرال سال حاكم مقاطعه قسنطينة إلى منطقه بجايه للقضاء على ثوره بني سليمان وإخلاء مركز باتنة من القوات فأعلن حركه الثورة بين سكان الصحراء وقدم نفسه لهم كرائد وزعيم وان كان وجود الحاج موسى الاغواطي إلى جانبك كرفيق في الثورة وهو ألد أعداء الأمير عبد القادر في تيارت

ويحكي هيريون عن الضابط سيروكا الذي أرسلته اليوم 16 ماي 1849 إلى الزعاطشة للاستعلام على الأوضاع وإلقاء القبض علي بوزيان الذي دعوه بالمشوش انه وجد الناس هناك يذبحون يوميا الخرفان لزعيمهم وشيخهم بوزيان الذي شاع أمره بأنه مبعوث من الرسول وروى عن احد الشيوخ أيضا الذي التقى به في ليواش بان السلطة والحكومة بالجزائر ستعود إلى الجزائريين المسلمين.

وقد حاول سيروكا أن يقبض على بوزيان ولكن سكان حالوا دون ذلك وأغلقوا أبواب الواحة في وجهه وحملوا كلهم السلاح وأطلق بوزيان على نفسه طلقات نارية من بندقيته إذانا باستعداده ورفاقه لاستعمال العنف مما اضطر سيروكا أن ينسحب من الزعاطشة ويتجه إلى بوشقرون.

نظرا لهذا الموقف الحازم والمتأزم اتجه دوبوسكي رئيس المكتب العربي لبسكرة إلى الزعاطشة وطالب هو الآخر من السكان أن يسلموا له بوزيان زعيم المشوشين كما دعاه ، فرفضوا كعادتهم وتأزم الوضع أكثر بقيام سكان

[1]- أبو القاسم سع الله الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 ، ص 352 .

الواحات طولقة وفرفار و بوشقرون بحمل السلاح للدفاع على بوزيان ورفاقه وحركته الذي زاد ذلك من عزمهم وتصميمهم على الكفاح والمقاومة .[1]

ولقد حاول الفرنسيون منذ البداية أن يعزلوا حوادث الزعاطشة ويحولوا دون انتشاها وامتدادها إلى جهات أخرى خاصة الزاب الغربي فكلفوا الشيخ العربي ابن قانة بإعداد فرق للحراسة في كل النواحي غير انه عجز عن أدائه لهذه الدورة لان الناس رفضوا أن يتجندوا لهذه المهمة بينما نجح بوزيان في توسيع دعايته وحركته إلى الحضنة والزاب الغربي وخاصة ليشانة وفرفار واستجاب أولاد سحنون في بريكة لندائه وحملوا السلاح وهم فرع من أولاد دراج وجندوا حوالي 800 فارس و 400 خيالا وعصوا خليفتهم بن مقران وقاد أولاد سلطان سي عمران بن جنان الذي جاء لنجدته وهاجموا زمالة وخاضوا معركة كبيرة ضده .

كذلك انتشرت الثورة إلى جهات الاوراس بفضل نشاط بوزيان ورسائله المتعددة التي كان يوجهها إلى زعماء السكان فبرز الشيخ حكمت بن الجودي شيخ أولاد زيان وتزعم الثورة والثوار في المنطقة وكانوا حوالي 400 رجلا وامتدت الحركة إلى وادي عبيدي كذلك وهاجم الثوار زمالة قائدهم بن عباس الذي كان متمركزا في واد الوطاية .

وظهر المرابط الشيخ عبد الحفيظ معدم الإخوان بن عبد الرحمن في خنقة سيدي ناجي واستمال إليه أولاد داود و أولاد عبدي وبني لسليمان وأهل نسيرة ولذلك عمت الثورة المناطق المحيطة بواحة الزعاطشة كلها واعتصم الشيخ عبد الحفيظ بالاوراس بعد المعارك الكثيرة التي خاضها معركة "سريانة" واستطاع أن يثير كل سكان المنطقة ويدفعهم إلى حمل السلاح دعما لحركة الشيخ بو زيان وذلك في سطيف وباتنة وغيرها تمكن أولاد صابر من قتل عدد من الجنود الفرنسيين وقطع الطريق على القوافل الفرنسية بين باتنة وبسكرة وعضد حركة هؤلاء أيضا الشيخ حامد بالحاج احد خلفاء الأمير عبد القادر القدماء فدعا الناس لحمل السلاح وخاض عددا من المعارك خلال أيام 19 و21 أكتوبر قتل خلالها 75 وجرح 267 من الفرنسيين وأعوانهم من بينهم الكابيتان باردوا ورئيس المكتب العربي فيتو وأربع ضباط بدرجة كابتان وضابطان بدرجة لوطنان وفشل الفرنسيين في اختراق الحصار والخنادق التي أقامها هو وكل رفاقه حول الواحة[2] .

[1]- يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرون ،طبعة خاصة ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، 2009 ، ص 91 .
[2]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ص 92- 93

وفي يوم 27 أكتوبر التحق الشيخ حامد بلحاج بقرية سيدي عقبة ثم ببوسعادة ليرأس حركة الثورة بها ويوسع نشاطها ورقعتها وفي نفس الوقت هاجم معه الشيخ ابن شابير مدينة بوسعادة وحاول أن يقتحمها ولكن الخليفة احمد المقراني عجل بنجدتها والدفاع عنها بمساعدة الكابيتان "بان" [1].

- **المواجهة :**

استطاع الشيخ بوزيان أن يقنع الجميع بالجهاد ويوحدهم تحت راية الدين الحنيف والجهاد المقدس فتكتلوا حوله و ثاروا ضد السلطات الفرنسية التي جاءت تجمع الضرائب في ذلك الوقت كذلك أمر الوالي العام للجزائر ضباط المكاتب العربية بان يقبضوا على الضباط الثائرين الرافضين للوجود الفرنسي فقام الملازم سيروكا بالتحرك نحو الزعاطشة للقبض على الشيخ بوزيان واصطحب معه شيخ بلدة طولقة وابن ميهوب صحبة رجاله الفرسان وتوجه الجميع إلى واحة الزعاطشة حيث وجدوا الشيخ بوزيان يتجول وحده في البطحاء التي تتوسط القرية فطلب منه الضابط الفرنسي أن يقف و يتبعه إلى مقر القيادة وأمره أن يركب بغلة معدة لهذا الغرض ، امتثل الشيخ بوزيان الأمر وصعد على ظهر البغلة ثم فجأة مزق خيط سجته فتناثرت حباتها على الأرض فنزل ليتظاهر بجمعها وهو بذلك يريد أن يربح بعض الوقت ليستعد أنصاره للمواجهة وفعلا سرعان ما انطلق وابل من الرصاص من بنادق المجاهدين أفزعت الفرقة الفرنسية العسكرية فأسرع الضابط الفرنسي ومن معه إلى باب القرية لفتحه بصعوبة ثم لاذوا بالفرار تاركين وراءهم حصانين وبرنسين أحمرين وبندقية إغتنمهم سكان الزعاطشة الذين خرجوا عن بكرة أبيهم بأسلحتهم ن وكانت هذه الحادثة بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت النار هذه الثورة العارمة[2].

وفي بسكرة قدم الملازم سيروكا تقريرا مفعلا إلى القيادة اخبرها فيه بان جميع السكان في واحة الزيبان مستعدون ويناصرون الثائر بوزيان وان الجهاد قد أعلن من مساجد القرى وعلى اثر هذا التقرير انتقل الضابط دي بوسيه رئيس المكتب العربي إلى زعاطشة ليطلب من السكان أن يسلموا له الشيخ بوزيان فرفضوا الانصياع وقال له المجاهدون : " إننا نرفض أن نسلم لكم الذي تطلبون وأننا سنقاتل عن آخرنا رجالا ونساءا من اجله [3].

تيقن الضابط دي بوسيه أن روح الثورة قد انتشرت في المنطقة وان سكان فرفار وفوغالة مستعدون لحمل السلاح دفاعا عن الزعاطشة وان شيوخ بوشقرون وطولقة قد تخلوا عن أوامر السلطات الفرنسية .... لهذا أدرك

[1]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ص ، 94

[2]- محمد العربي الزبيري ، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ن المرجع السابق ، ص 67 .

[3]- مياسي إبراهيم ، المقاومة الشعبية .. ، المرجع السابق ، ص53

الضابط الفرنسي أن وضعه في هذا الموقف محرج ، فتراجع إلى بسكرة ليتخذ الإجراءات اللازمة لمعالجة الموقف ، لذلك سارع النقيب "لافرونيه" بإعطاء أوامره لشيخ العرب بوعزيز بن قانة من القوم والحركة و يحاصر بهم واحات الزعاطشة وفرفار وليشانة ويعزلهم عن باقي القرى ويمنع عنهم المدد وكان النقيب يعتقد انه بأجرائه هذا سيحقق النتائج المرجوة وهي أن هذه القرى لن تتأخر في طلب الأمان خاصة بعد رواج الأخبار التي تفيد بوصول الطابور الفرنسي والذي سيضع حدا لهذا الشغب

- **مراحل ثورة الزعاطشة :**

مرت ثورة الزعاطشة بثلاث مراحل أساسية وهي : مرحلة الانتصار ومرحلة الحصار ومرحلة الانكسار.

بدأت المرحلة الأولى بوصول القوات الفرنسية إلى الزعاطشة يوم 16 جويلية 1849 تحت قيادة العقيد كاربوسيا فشدد الحصار على الواحات بخنق الثورة وإخمادها في مهدها والتخلص من قائدها الشيخ بوزيان حتى تسبب لهم الأمن بالمنطقة لكنها فوجئت بصلابة الثورة وإقدام المجاهدين الذين أمطروا القوات الفرنسية بوابل من الرصاص قضت على العديد من جنودهم وبعد ساعات طويلة من الاقتتال بين الطرفين تأكد العقيد كربوسيا من هزيمته فأمر ما بقي من الجنود بالرجوع إلى الخلف ، لكنه كان محاصرا أيضا من طرف سرايا مجاهدي أولاد نايل وبوسعادة والمسيلة الذين جاؤوا لمناصرة إخوانهم في الزعاطشة [1]

والذين كبدوا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وقد افلت الضابط كربوسيا وجنوده من قبضة المجاهدين بأعجوبة حيث انبطح مع من بقي من الأحياء إلى جوار القتلى موهما الثوار بأن الجيش الفرنسي قد قضي عليه تماما ولما تأكد كربوسيا من مغادرة المقاتلين المكان أمر جنوده بالقيام وفروا مسرعين إلى بسكرة .

كان هذا أول هجوم فرنسي على الزعاطشة للقضاء على الثورة لكن فشل فشلا ذريعا مما زاد من تأجج نار الثورة في صفوف الأهالي ودفعهم هذا النصر إلى الالتفاف حول الثورة وامتداد لهيبها إلى مناطق أخرى حيث لقي هذا النبأ المفرح وقعا شديدا في نفوس الشيخ المرابط سيدي عبد الحفيظ مقدم إخوان الرحمانية برفع لواء الجهاد ، فاستجاب له العديد من القبائل وتحرك الجميع لتحرير مدينة بسكرة وكان موكب المجاهدين يحظى في طريقه باستقبال من طرف القرى المجاورة كما كان يتطوع إليهم العديد من الرجال

[1]- مياسي إبراهيم ، المقاومة الشعبية .. ، المرجع السابق ، ص 54.

وينخرطوا في صفوف الثورة لنصرة الشيخ عبد الحفيظ أمره لخلفائه بحط الرحال والتمركز على الضفة اليسرى لواد براز لقضاء الليلة هناك .[1]

وفي نفس الوقت أرسل القائد عبد الحفيظ رسولا إلى شيخ سيدي عقبة الباي بن شنوف يطلب منه المؤازرة والانضمام إلى الجند المسلمين لمحاربة العدو المشرك ولكن بن شنوف غدر وخان وأسرع بإخبار السلطات الفرنسية التي استعدت وخرج في الحين قائد دائرة بسكرة سان جرمان على رأس قوة كبيرة ليباغت بها المجاهدين قبل طلوع الفجر وحينما وصل سان جيرمان إلى واد براز وجد الهدوء مخيما على المكان وفي غياب الحراسة الكافية ضرب القائد الفرنسي الحصار على معسكر المجاهدين ومع آذان الصبح انطلقت الرصاصات الأولى وبدأت المعركة وقاتل المسلمون قتالا عنيفا ، لهذا استطاعوا في الساعات الأولى من المعركة أن يهزموا القوات الفرنسية ويقتلوا قائدهم الرائد سان جرمان برصاصتين في الرأس ، لكن شدة المباغتة وإحكام الحصار جعلت قوة المجاهدين تتقهقر و تنهزم ، مما اجبر سيدي عبد الحفي على الانسحاب من ميدان المعركة تاركا وراءه حوالي مائتي شهيد وأسرع بالاعتصام في الجبال المجاورة ريثما ينم صفوفه ويجمع شتاته استعدادا للهجوم مرة أخرى لتخليص بسكرة .

أما الفرنسيون فقد رجعوا إلى قواعدهم ظافرين رغم أنهم خسروا قائدهم وجزءا هاما من قواتهم ولما وصل نعي سان جرمان إلى الجنرال هيربون حاكم مقاطعة قسنطينة آنذاك عين العقيد كربوسيا خلفا له ثم توجه بنفسه لمحاصرة الزعاطشة .

بدأت مرحلة الحصار بتحرك الجنرال هيربيون نحو واحات الزعاطشة وقد انتظر الصيف ، فصل الحر الشديد وانخفاض درجة الحرارة حتى لا يتعرض الجيش الفرنسي لقيظ الصحراء

- **حصار الزعاطشة :**

تجمعت القوات الفرنسية بـ (( كدية المائدة)) المقابلة لبلدة الزعاطشة يوم 07 أكتوبر 1849 على الساعة الثامنة صباحا وقدر عدد الجنود بـ4463 جندي .

والجدير بالذكر أن واحة الزعاطشة يحيط بها سور ضخم لحمايتها من غارات الأعداء وتوجد بها عينان تعرفان بعين معكوف وعين الفوار كما يحيط بجميع المساكن خندق كبير وكانت الديار تقارب بعضها البعض

[1]- إبراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ، المرجع السابق ، ص 55 .

حيث يسهل التنقل عبر السطوح فلا عن المناطق الصغيرة بين المنازل التي تسمح بالتنقل من حي إلى آخر دون الظهور إلى العيان[1].

لا شك أن هذه التحصينات المحكمة والغابات الكثيفة والمسافات التي تفصل بين الواحات كلها مصاعب تجعل القوات الفرنسية في وضعية سيئة لذلك كلما اقتربت من الزعاطشة إلا تكبدت خسائر فادحة أرغمتها على التراجع منهزمة مما جعل الجنرال هيربيون يشتكي من الوالي العام الجنرال شارون الذي لم يزوده بالقوات اللازمة للحصول على نتائج هامة وإعطاء الدرس القاسي لهذه الواحات لكي لا تنساه أبدا وتسليط أقصى العقوبات عليها لتبقى عبرة للآخرين ومن ترتيبات الحصار الذي ضربه هيربيون احتلال الزاوية التي تقع على مسافة نصف كيلوا متر من الكدية والتي بها مدرسة تعلوها مئذنة مرتفعة نسبيا كما أن موقعها الاستراتيجي يوفر شروط تثبت الحصار والانطلاق للهجوم

كما بدأت العمليات العسكرية باحتلال موقع التقاء الطرق والذي يربط الزعاطشة ببلدة طولقة حتى تمنع سكان الواحة الأخيرة من تقديم أية مساعدة لجيرانهم ، ثم أعطيت الأوامر للمدفعية بان تقصف أسوار البساتين المحيطة بالزاوية لإحداث ثغرة فيها وبعد ما هدمت بعض حيطان السور وهجمت القوات الفرنسية على الزاوية ولكنهم تركوا وراءهم عددا من القتلى يقدر بـ25 قتيلا منهم ضابطا واحدا ، أما الجرحى فعدد 47 [2].

ثم نصبت بطارية المدفعية في مكان يبعد عن الزاوية بحوالي سبعين مترا في طريق ليشانة لكونه موقعا هاما للهجوم وعلى الفور شرع على تحصينه بأكياس مملوءة بالتراب لهذا أسرع المجاهدون بمنهم وصوبوا لهم وابلا من الرصاص ، ورغم ذلك فقد تم احتلال الزاوية ورفع فوق مئذنتها العلم الفرنسي وهذا من اجل احكام قبضة الحصار على كامل واحة الزعاطشة وتضييق الخناق عليها وقد كلف ذلك القوات الفرنسية خسائر باهظة في الأرواح والعتاد ، غير أن الشيخ بوزيان استطاع أن ينفذ من هذا الحصار ويرسل الرسل إلى مختلف الأنحاء ليطالب النجدة والمدد للاستمرار و مقاومة الأعداء فتوافدت عليه الكتائب والإعانات من جميع الأعراش وتفيد المصادر التاريخية أن أجنادا كثيرة غادرت وادي سوف في طريقها إلى ميدان القتال كذلك قدم خليفة الأمير عبد القادر الأسبق محمد الصغير بن احمد بلحاج من نفطة في تونس على رأس كوكبة من الفرسان للقتال بجانب إخوانهم في الزعاطشة كمنا انضمت القبائل التي غادرت التل إلى مكان الثورة وقدموا كل ما لديهم من إمكانيات

[1]- محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص 67.

[2]- إبراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ن المرجع السابق ، ص 56 .

و انفكت النجدات تصل إلى ميدان المعركة من طرف سكان بوسعادة وأولاد نائل وغيرها من القبائل الصحراوية[1].

- **الهجوم الأخير :**

طالب الجنرال هيربيون النجدة من السلطات الفرنسية والتي وصلته من قسنطينة وباتنة وبوسعادة وسكيكدة وعنابة فجدد الهجوم بقوة هائلة تحت ضباط بارزين ومشهورين في ميادين القتال أمثال الضباط بارال ، والعقيد كانروباز ، و لومان ، وأخيرا العقيد دومانتال ، وقد قدرت قواتهم بأكثر من 800 رجلا فضلا عن عتادهم الضخم وأسلحتهم ومدافعهم الفتاكة وهذا دون ذكر الجموع الاحتياطية والمرتزقة .

إن الحصار الذي ضرب على الزعاطشة منذ أوائل شهر أكتوبر وقد استمر أي يوم 28 نوفمبر 1849 تاريخ الهجوم الأخير الذي أعطيت فيه التعليمات صارمة بإبادة كل واحة وقتل جميع الأحياء بمن فيهم الأطفال والنساء والشيوخ وقطع كل الأشجار بما فيها النخيل مصدر رزق السكان أمام هذا الهجوم الكاسح صمد سكان واحة الزعاطشة ولم يطلب أي فرد الأمان أي رفع العلم الأبيض للاستسلام بل اشتبك الثوار مع الجنود الفرنسيين بالسلاح الأبيض من شارع إلى شارع ومن دار إلى دار حتى امتلأت الشوارع بالجثث [2]

وبعد معارك طاحنة احتلت القوات الفرنسية كل الشوارع والساحات والسطوح حوالي الساعة التاسعة صباحا فسكتت المقاومة وأجهزوا على الجرحى .. وبعد أن سقطت كل الدور وسكتت جميع الأرواح بقيت دار بوزيان قائمة ومنها كان ينطلق الصرب فوضع العدو في أساسها الألغام ونسفت بمن فيها ، واختلطت بالدخان والغبار وأنات الجرحى بأصوات الحجارة المتهاوية ومن وسط الركام خرج بوزيان شامخ الرأس كأنه شيخ صحابي من رفاق عقبة بن نافع فانهال عليه ضربا قبل أن ينجلي عليه الغبار والدخان فسقط شهيدا مضرجا وبعد أن تأكد العدو انه لم يبقى في الزعاطشة حي من بشر ولا حية من الشجر أقام على باب معسكر هيربيون مقصلة رفع عليها ثلاثة رؤوس : رأس الشيخ بوزيان ، ورأس ابنه الشاب خوفا من أن يأخذ بثأر أبيه ذات يوم ورأس شيخ لطالما حارب الفرنسيين منذ 1833. وهو الحاج موسى درقاوي المعروف ببو حمار [3] وصلت

[1]- إبراهيم مياسي ، المقاومة الشعبية ن المرجع السابق ، ص 57.

[2]- نفسه ، ص 69.

[3]- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية ، المرجع السابق ، ص 355

الأخبار إلى العديد من القبائل وعلمت بهذه الجرائم الشنيعة فتأثرت كثيرا وعزمت على الانتقام لموتاهم والأخذ بالثأر على المساجد التي هدمتها مدافع الحصار والغابات والنخيل المقطوعة التي تعتبر ثروة للزعاطشة [1]

- **النتائج : ثورة الزعاطشة :**

لهذه الثورة نتائج عديدة يمكن إجمالها فيمايلي :

1- انتهت ثورة الزعاطشة بخسائر فادحة حيث خربت الواحة بكاملها وعن آخرها فقد أباد الجيش الفرنسي سكانها وقطع نخيلها واستعمل أبشع أنواع العذاب ومارس كل أصناف العنف والإرهاب والإجرام التي يندى جبين الإنسانية منه قطع الرؤوس البشرية وتعليقها على الأبواب أو على خناجر البنادق نكاية وتشفيا في العرب . وعن فضاعة الجنود الفرنسيين فقد شهد شاهد ما أهلها حيث يذكر المؤرخ الفرنسي المعروف والورع والقريب من الأحداث بوديكور (( إن الجنود الزواف قد انقضوا على الذين لم يسعفهم الحظ في الهروب حيث رأى جندي اخذ طفل صغير من رجله وضرب رأسه على الحائط ليهمشه وغيرها من الأحداث الشنيعة التي لا يمكن وصفها ...))

2- أثارت ثورة الزعاطشة تضامنا رائعا أظهرهما كل الأهالي كذلك أثارت استغراب العدو من تصميم السكان العنيد على إفشال كل مخططاته ومواصلته الحرب حيث لم يطلب أي احد الأمان ورغم فضاعة الحرب واليأس من الانتصار [2].

3- احتلال مدينة بوسعادة لأنها قامت بانتفاضة بقيادة محمد علي بن شبيرة وزعيم ديني دعا إلى الجهاد أثناء ثورة الزعاطشة وأرسل النجدات إلى الشيخ بوزيان ، وفي نفس هاجم الحامية الفرنسية المتواجدة في بوسعادة منذ سنة 1843 وقد انظم إليه أولاد نايل وعدد آخر من مجانة لمحاولة فك الحصار على الحامية الفرنسية التي التجأت إلى الجامع الكبير لبوسعادة وكانت هذه القوة تحت قيادة العقيد دوماس الذي قام بالهجوم على المدينة يوم 14 نوفمبر 1849. واستطاع فك الحصار وإنقاذ الحامية وبعد نجاح الضابط دوماس في مهمته فرض على السكان غرامة ثقيلة قدرت ب8000 فرنك ونصب الضابط "بان" كقائد المكتب العربي ببوسعادة وتجريدهم من كل أمتعتهم تسديد الغرامة المفروضة عليهم مما جعل العديد منهم يفر من بوسعادة ويتوجه إلى تونس حيث جعلها مستقرا ووطنا جديدا ولم يرجع أبدا

[1]- إبراهيم مياسي ، احتلال الصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، 70 .

[2]- نفسه ، ص 72.

4- حرق واحة نارة التي تقع على وادي عبدي بالاوراس فقد لقيت مصيرا كمصير الزعاطشة على يد كاروبير الذي تلقى على إثرها إلى رتبة جنرال حيث تقدم هذا الضابط إلى القرية بقوة هائلة قوامها ثلاثة فرق من الجيش وذلك يوم 05 جانفي 1850 فقتل وهدم واحرق وسوى الأرض بها على من فيها ثم تبعتها عملية واسعة في الأوراس بقيادة الضابط "سان آرنو"

5- اندلعت انتفاضات زواوة والتي كان مسرحها المنطقة الواقعة ما بين تيزي وزو وسور الغزلان حيث جرت معارك طاحنة انتهت باستشهاد بومعزة وفي يوم 02 اكتوبر1849[1] .

6- برهنت ثورة الزعاطشة على عجز العملاء والخونة وخداعهم وتيقنت السلطات الفرنسية من ضعف ابن قانة (شيخ العرب ) بل ساورتهم الشكوك في ولائه لذلك عاقبته السلطات الفرنسية بتقليص نفوذه وزجت به في تنافس داخلي مع أفراد أسرته وتنافس خارجي مع أسرة بو عكاز وأنشأ قيادة جديدة في السحاري عينوا عليها بولخراص بن لخراص والذي سيلعب الدور البارز في ترسيخ أقدام الاحتلال الفرنسي في المنطقة وبذلك ينافس وينقسم البلاد مع بن قانة كما فتنوا المنطقة إلى قيادات جديدة جعلوا بها قادة جدد حتى لا يترك النفوذ المباشر فيها لأولاد بن قانة وحدهم وقد اتبعت السلطات الفرنسية هذا الإجراء مع كل الأسر الجزائرية المتعاملة معها حيث أعطتها سلطات محدودة تسمح للحاكم الفرنسي بالمراقبة عن كثب [2] .

[1]- إبراهيم مياسي ، احتلال الصحراء الجزائرية ..... ،ص 73 .

[2]- نفسه ، ص 74 .

### ❖ المبحث الثاني : مقاومة الاغواط بن ناصر بن شهرة

لقد قاوم أهل الجنوب الاحتلال الفرنسي كما أهل الشمال منذ أن وطئت قدماه ارض الجزائر [1]. فأهل الجنوب كما وصفهم الجنرال الفرنسي شارل فيرو :«...إن الرجل العربي في الجنوب يقضي كامل يومه دون الالتفات إلى الغد ... أن مستقبله الوحيد الذي يشغل باله هو الذي وعد به المؤمنون الصادقون ... وإذا دعي إلى الجهاد الديني نسي كل شيء عائلته خدمته حطامه وتناول بندقيته ثم امتطى فرسه ... أن الموت بالنسبة إليه جزاء .وشعب كمثل هذا يكون خطيرا جدا ويجب أن يقرأ له حساب ... أن العربي في الجنوب الجزائري جندي وفارس بالطبع ... يقشعر صوته لسماع صوت البارود فيسرع إلى سلاحه ولا ينشغل بغير تفقد ذخيرته الحربية ، أماإلىأين يقاد فهذا الأمر لا يعنيه فالمهم انه يعرف بأنه ينال الجنة إذا قاتل الكفار ومات .... وعندئذ لا يحده شيء ولا يقف عند حد يضاف إلى هذا أن العربي في هذه المقاطعة من بلاد الجزائر يؤمن كثيرا بتاريخ مجده وينقاد بسهولة إلى الدعوات الدينية .»[2]

كما وقف في وجه البعثات التنصيرية [3] وهذه الشخصية القوية الرافضة للاحتلال الأجنبي والخضوع للكفار التي اكتسبوها من تكوينهم الديني ومن بيئتهم وأخرجت من بينهم رجالا أبطالا آمنوا بالجزائر وحدة متكاملة وكلا لا يتجزأ وباعواأنفسهم في سبيل الحفاظ عليها ورد المحتل عنها [4] ومن بين هؤلاء الأبطال بن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله وبوشوشة الذين نذروا أنفسهم للجزائر لاسترجاع حريتها .

[1] - محمد العربي الزبيري ، مقاومة الجنوب الاحتلال الفرنسي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1972 ، ص 05 .

[2] - نفسه ، ص 80 .

[3] - محمد علي دبو ، النهضة في الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج1 ، نشر وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 ، ص ،51 .

[4] - اسماعل العربي ، المقاومة الشعبية تحت لواء الأمير عبد القادر ،ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 220-221.

✓ **بن ناصر بن شهرة أصله ونشأته :**

ولد عام 1804 بالأرباع[1]، كان أبوه ابن شهرة وجده فرحات قائدين وشيخين بالتوالي على عرش الأرباع وقد ذكر " رين " أنأصل عائلته من الساقية الحمراء جنوب الأطلس الصغير على المحيط الأطلسي ومن هناك هاجر أجدادهإلى الجزائر [2]

كانأشقر اللون احمر الشعر كثيف شعر الحاجبين ، يعتم مثل الأمير عبد القادر ويلبس الحايك من الصوف وينتعل الحذاء الطويل .

لقد نشأ بن ناصر بن شهرة في جو ملؤه الحياة العربية القحة ، كما نشأ على الكرم والفروسية وأحداث الفر والكر وكان ماهرا في رمي الرصاص في يصيب مرماه ولا يكاد يخطئ وكان إذا حمي الوطيس في المعركة تلثم وأقدم على القتال كما نشأ متمسكا بسيرة أسلافه شيوخ الأرباع وزعماء الصحراء حيث انتمى بعض الشيء الى الطريقة القادرية [3] وارتبط بشيخها احمد الشاوي بالاغواط وهو الأمر الذي جعله خصما وعدوا مثل أبيه وجده للطريقة التجانية وإتباعهاحيث كان طليعا بالصحراء عليما بخباياها أو كما وصفه "لوي رين" كان الملاح الحقيقي للصحراء[4] .

وقد تزوج بن ناصر بن شهرة من ثلاث زوجات كانت الأولى بنت سلطان مدينة الاغواط احمد بن سالم مما يدل على رفعة شأنه وشأن عائلته والتي طلقها بعدما رفضت مرافقته إلىأعماق الصحراء أين عزم على مقاومة الاحتلال الفرنسي ولكن عندما خضع صهره احمد بن سالم استنكر ذلك عليه [5].

---

[1]- الأرباع حيب ابراهيم الساسي عوامر ، ومن العرب القحطانية فهم ابناء الربيع بن زياد بن ربيع بن قنان بن سلمة بن المعقل بن كعب بن حرث بن كعب بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن ادد وهو منجح بن زيد بن يشحب بن يعرب بن قحطان ، انظر : ابراهيم السباس العوامر ، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف ، المرجع السابق، ص 76 .احمد بن ابي قصيبة ، بن ناصر بن شهرة احد ابطال ثورة 1871 ، الاصالة ،ع6 ، السنة الاولى جانفي 1972 ، 556-57.

[2] - Louis rin , ibid,p664 .

[3] - تنسب الطريفة القادرية الى الشيخ عبد الرحمان الجيلالي ن ابي موسى الحسني ولد ( 471 هـ /1079م ) وتوفي (561هـ/1160م ) ببغداد وهي من اقدم الطرق الصوفية هورا في العالم الاسلامي ، تعتبر الزاوية الام لمختلف الطرق الصوفية التي جاء بعدها ، كما توجد الزاوية الام للطريقة ببغداد ويعتبر الشيخ المصطفى بن المختار الفريسي اول من اسس فرعا للطريقة القادرية بالجزائر سنة 1200 ، انظر : ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1998، ص 42-43. بالاضافة الى عمار هلال ، الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا والصحراء ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة الجزائر 1988 ، ص109.

[4] - عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 5، ط 8، شركة دار الامة للنشر التوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص182.

[5]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، المرجع السابق ، ص 218 .

وبمدينة ورقلة تزوج بن ناصر بن شهرة من بنت احد قادتها ،وهو المخادمة [1] وكانت تسمى الياقوت والتي توفيت بعدما أنجبت له ولدين محمد وبن شهرةّ ، ليتزوج مرة أخرى من المرابطية "نوة " أخت مولاي عبد القادر الإدريسي والتي أنجبت له ولدين وثلاث بنات [2].

كان البنية التي نشأ بها بن ناصر بن شهرة والخصال التي شب عليها جعلته يرفض الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ البداية لذلك قرر التصدي له ومنعه من التوغل نحو الجنوب الجزائري بكل ما أوتي من قوة ويقول في ذلك " رين : «... كان بن ناصر بن شهرة الذي خلق أباه كآغا على الأرباع 1846 كان يقوم منذ سنة 1851 بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية ولم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أوأن يهاجم القبائل التي رضخت لنا....»[3]

كما اشتهر بن ناصر بن شهرة بدعوة القبائل للتمرد على الاحتلال الفرنسي وذلك عن طريق الخطب والوعود حيث نجح إلى حد بعيد في عمله هذا ، فهم ما دفع بالإدارة الاستعمارية إلى تغيير ممثليهم في المنطقة واستبدالهم بموظفين آخرين أكثر طاعة وإخلاصا[4].

لقد بدأ بن ناصر بن شهرة جهاده سنة 18551م ضمن قوات القائد محمد بن عبد الله الشريف الذي شن ثورة للتصدي لزحف السلطات الاستعمارية نحو الجنوب الشرقي الجزائري ، بعدما بايعه أهل الاغواط وتقرت وورقلة على السمع و الطاعة والجهاد فخاض ضد القوات الفرنسية عدة معارك كان له النصر فيها وكبدها خسائر فادحة في العتاد والأرواحوأثناءإحدى المعارك قرب مدينة ورقلة تمكن سي حمزة (من أولاد سيدي الشيخ ) وقواته من التغلب على الشريف محمد بن عبد الله .لذلك اعتقلوه ووضعوه هو وعدد من زعماء الأرباع في إقامة جبرية بمعسكر قرب بوغار وفي يوم 05 سبتمبر 1851م غادر بن ناصر بن شهرة معسكر إقامته الجبرية ببوغار متخفيا بعد أن سئم حياة الإذلال والخضوع واتجه إلى الشهبونية فلحقه في الحين جنود من الصبايحية بقيادة الملازم "كروز " ذو الأصل اليهودي من اجل إيقافه وإعادته فلقن لهم درسا بليغا فقد كان أول تجربة له في الكفاح الثوري فقد اعتقلهم جميعا وانتزع منهم أسلحتهم ثم أطلق سراحهم وأمرهم بالعودة من حيث جاؤا ليلغو رؤسائهم على لسانه بأنه لا

---

[1]- المخادمة : من العرب الهلالية الذين استقروا بمنطقة ورقلة ، سميو بهذا الاسم نسبة إلى جدهم ابو مخدم يعود نسبهم الى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوزان بن منعور بن عكرمة بن حفصة بن فيس بن عيلان ، انظر : ابراهيم عوامر ، الصروف ..... ، المرجع السابق ، ، ص 371 .

[2]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص182 .

[3]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص 183 .

[4]- صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ الى غاية الاستقلال ( المراحل الكبرى ) ، دار العلوم ،عنابة ، الجزائر ، 2005 ، ص ص 273 - 279 .

يطيع بعد اليوم السلطة الفرنسية ولن يقبلها وسيتحدث عن السلطة الحقيقة التي تمثل الدين والاستقلال ، ويعني بذلك الحكم الوطني الجزائري الحقيقي .[1]

كان الشريف محمد بن عبدالله آنذاك قد عاد منالمشرق واستقر بالرويسات وبدأ حركته الثورية المسلحة فاتجه إليه بن ناصر بن شهرة من اجل تنسيق العمل معه وتدبير الأمور وفي 31 جويلية 1852 سيطر بن شهرة على قرية قصر الحيران و حضنها واتصل به سكان الاغواط للتعاون معه فبدا محمد الشريف بن عبدالله و بن ناصر بن شهرة في جمع المؤن والأسلحة واجريا الاتصالات مع الشريف عبد الله بالاحرش ، الخليفة السابق للأمير عبد القادر وباشاغا نايل من قبل فرنسا فلم تفلح هذه الاتصالات ولم تجدي نفعا[2] .

وبعد ان تمكن الجيش الفرنسي من احتلال مدينو الاغواط ومدينة ورقلة عام 1853 بمساعدة سي حمزة ولد سيدي الشيخ ، اتجه بن شهرة إلى نفطة وتوزر بالجرير التونسي ، كماوجه رسالة إلى باي تونس محمد باشا يحيطه علما بذلك ويعلمه بأنه وجه إليه أخاه سي النعيم وبعض رفاقه لزيارته وطلب منه أن يستوصي به وبرفقائه اللاجئين لدى الاعراش ومما ذكر له في رسالته قوله : « ... ونحن مهاجرين استوصى (كذا) بنا خيرا (كذا) جميع الراعايا ، كاعراش الهمامة وغيرهم لأننا خارجين (كذا) من بلادنا في طاعة الله ورسوله ولا يحضا في بلادنا حرمة إلا من اجل الدين ...» وهذا إن دل فإنما يدل على شيء وحيد إلا وهو العزة والكرامة والوطنية الصادقة .[3]

وفي تونس متن بن ناصر بن شهرة علاقاته وصلاته بكثير من اللاجئين الجزائريين واخذ من هناك يشن الغارات المتوالية على الأعوان الفرنسيين داخل حدود الجزائر وكثيرا ما كان يشاركه في هذا العمل ثوار ولاجئين آخرين خاصة محمد بو علاق اليعقوبي ومما جعل الباي محمد الصادق باشا يوجه رسالة إلى وزيره خزندار يطلب منه العملعلى اعتقالهما ووضع حد لنشاطهما [4].

[1]- العربي منور ، تاريخ المقاومة في القرن التاسع عشر ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2006 ، ص 201 .

[2]- يحي بوعزيز ، ثوارات ..... ، المرجع السابق ، ص219.

[3]- نفسه ، ص218-219.

[4]- يحي بوعزيز ، مع تاريخ الجزائر .... ، المرجع السابق، ص 524.

عندما اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864 [1] عاد بن ناصر بن شهرة إلى الجزائر متخفيا ودخل إلى ورقلة واتصل بي لعلا يوم 06 أوت في عين طاقين واشترك معه في المعارك التي دارت بالمنطقة ووصل يوم 21 أكتوبرإلى واد النسا جنوب برزينة .

ومن هناك واصل سيره مع ثوار أولاد سيدي الشيخ إلى وصلوا إلى سيد الحاج الدين في صحراء مارين بواد زرقون ومحيقن وتاجرونة والملية حيث عصفت بهم الإحداثإلىأن التقوا جميعا في منطقة وادي ميزاب قرب بني يزقن في متليلي وتومرات ، وأصبحوا يمثلون قوة هائلة في المنطقة ولكي تصدقهم القوات الفرنسية ماديا عمدت على حجز قوافل بني ميزاب التي تنتقل بين الشمال والجنوب حتى تسلط عليهم وعلى المؤيدين لهم حرب التجويع وذلك خلال شهر نوفمبر من نفس العام .[2]

وفي خلال عام 1956 رجع بن ناصر بن شهرة مرة أخرى إلى ورقلة بصحبة سي علا وفي ربيع العام الموالي توجها معا بصحبة سي الزوبير وسي احمد ولد حمزة وغيرهما إلى المنيعة و وعين صالح لتجنيد الناس إلى الثورة من توات والشعابنة والطوارق ، وفي 1869 وصلت حركتهم إلى عين ماضي مركز التجانيين حيث اقتحم سي علا وابن عمه سي قدور تلك القرية والمقر الديني للتجانيين فأظهر شيخها ميله مما دفع السلطات الفرنسية إلى اعتقاله يوم 10 فيفري 1869. مع حوالي ثمانية عشر من زعماء القرية ونفيهم إلى بولوغين بالعاصمة ثم إلى بوردو بفرنسا .[3]

وعندما بدأ الشريف بوشوشة حركته في هذا العام اتصل بابن بن شهرة وعملا معا على تنسيق جهودهما في ميدان الكفاح فالتقيا في قرية المخرق وقنيفيد على الضفة اليسرى لوادي مزي [4].

وعند وصول الأمير " محي الدين بن الأمير عبد القادر " إلى نفزاوة بطرابلس الغرب اتصل بابن ناصر بن شهرة الذي كان كثير التردد على منطقة نفطة لتأمين المال والسلاح للمقاومة فالتقى به على الحدود رفقة الشيخ سليمان بن جلاب سلطان تقرت السابق الذي كان قد ابعد إلى تونس منذ عام 1854 والشيخ إبراهيم بن عبد الله مقدم

[1]- اندلعت هذه المقاومة من طرف اولاد سيدي الشيخ فرع الشراقة تحت قيادة زعيمهم سي سليمان بن حمزة انظر : ابو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج1 ، ص ص 179 -189. وانظر ايضا : العربي منور ، المرجع الشابق ، ص111-113 .

[2]- يحي بو عزيز، ثورات ... ، المرجع السابق ، ص120.

[3]- احمد قصيبة ، المرجع السابق ، ص 58-59.

[4]- يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر ..... المرجع السابق ، ص 221 .

الطريقة القادرية بورقلة والشيخ محمد زروق بن سيدي صالح السكري الذي كان له دور كبير في مقاومة الزعاطشة سنة 1849 وغيرهم من الزعامات التي كان لها ماضي مشرف في مقاومة الاحتلال .[1]

ومن هناك شرع الأمير محي الدين رفقة الشيخ بن ناصر بن شهرة الدعوة للجهاد وتأمين المؤن والذخيرة وتجنيد الناس وذلك عن طريق مراسلة زعماء المناطق الجزائرية ومن بينهم الشيخ المقراني وكانت هذه الرسائل بعضها من إمضاءالأمير محي الدين وبعضها الأخر من إمضاء الشيخ بن ناصر بن شهرة[2] وكان من جملة الرسائل حوالي 44 رسالة وقعت في وادي القائد العسكري لناحية بسكرة وكانت موجهة إلى كل من علي باي آغا تقرت وورقلة والى أعيان سوف والاغواط ومتليلي ومزاب والمخادمة والشعانبة والى الشريف بشوشة وغيرهم[3].

بعد لقائه بالأمير محي الدين بدأت مرحلة جديدة من مقاومة بن ناصر بن شهرة الذي استقر رفقته بعين صالح على رأس قوات من ثوار الجنوب الشرقي وهناك اجتمعنا مع قوات شريف بوشوشة وقوات سي الزوبير من أولاد سيدي الشيخ [4].

ومن هناك شنت هذه القوات هجوما على القوات الاستعمارية تمكنت على اثرها من السيطرة على تقرت وورقلة ونقرين وتبسة ، مستغلين انشغال القوات الاستعمارية بمواجهة المقراني والشيخ الحداد [5].

وقد تم استشهاد المقراني واسر الشيخ الحداد ، كان للشيخ بن ناصر بن شهرة دور كبير في مساعدة آل المقراني على الدخول إلىالأراضي التونسية هروبا من بطش المستعمر [6] وقد عينه بوشوشة أغا وخليفة على تقرت بعد أن سيطر عليها وبقي حتى علم باتجاه بو لخراص بن قانة إليها فغادراها يوم 16 أكتوبربإشارة من بوشمال وبن قوبي الهاربون من الشمال ومتن جبهتهم سي الزوبير ولد سيدي الشيخ فاتخذ بني يزقن الميزابية مستودعا هاما

---

[1]- ومن الزعامات التي التقى بها الأمير محي الدين كذلك الشيخ مصطفى بن عزوز مقدم الزاوية الرحمانية بنفطة والذي قد كان فتح بها زاويته لكل الجزائريين المنفيين منطرف الادارة الاستعمارية او الفارين من اضطهادها وكذلك محمد بن العشابي البسكري والشيخ الميزوني مقدم زاوية الكاف ، الذي عين كاتبا للامير محي الدين ومحررا لرسائله ومحمد بن احمد الصغير ابن خليفة الامير عبد القادر السابق على الزيبا وسيدي عقبة ..... ومحمد بن علاق اولاد يعقوب . انر : يحي بوعزيز ، ثورة 1871 ودور عائلتي المقراني والحداد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1975 ، ص 165. وانظر ايضا " عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص 185.

[2]- عن رسائل الامير محي الدين والشيخ بن ناصر بن شهرة وتأثيرهما على الجزائريين على السلطات الاستعمارية وموقف والده انر : يحي بوعزيز ، ثورة 1871.... ،ص ص 166-173.

[3] -lious riun histoure de L'insurection de 1871 en Algérien Alger ,1891, p105-108.

[4]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع الشابق ، ص 185.

[5] -lious riun, opcit,p 138-139.

[6]- لقدكان عدد المقرانيين الذين التجأ إلى تونس اثر معركة عين طيبة حوالي 500 شخص انر : يحي بوعزيز ، ثورة 1871 ، المرجع السابق ، ص 329.

لذخائرهم والياتهم الحربية ومؤنهم وبعد إلقاء القبض على بومرزاق وزعيم المقرانيين يوم 20 جانفي 1872. غرب الرويسات كان بن شهرة قد قاد باقي المقرانيين من عين طيبة في أعماق الصحراء إلى داخل البلاد التونسية[1] وبعد انسحاب الأمير محي الدين إلى تونس اثر هزيمته أمام قوات الجنرال بوجي بوادي الحميمية في 26 مارس 1871 و أسر الشريف بوشوشة بالقرب من عين صالح سنة 1874 ، كما تفرق اغلب قواتهما وبقي الشيخ بن ناصر بن شهرة يناوش القوات الاستعمارية انطلاقا من الجريد ونفزاوة التي غادرها مرغما من طرف باي تونس إلى بيروت في 02 جوان 1875. رفقة الشيخ الكبلوتي وفي بيروت استمر بجوار الأمير الدين حتى وفاته عام 1884 عن عمر 80 سنة أي بعد عام من وفاة الأمير عبد القادر [2] فلم يقدر لابن شهرة أن يموت في وطنه الذي كافح عنه طويلا بل مات غريبا على أن جهوده لم تذهب سدى فقد انتقم له أبناء شعبه وأدبوا عدوه وطردوه في الثورة التحريريةالكبرى ثورة أولنوفمبر 1954.

## 1. المبحث الثالث :كفاح بوشوشة محمد الشريف بن عبد الله في ورقلة :

### ❖ أولا مقاومة بو شوشة :1839 1874

- **أصله ونشأته :**

هو محمد بن التومي بن إبراهيم الملقب بوشوشة ولد ببلدية الغيشة بالقرب من أفلوا حوالي 1839 حسب رأي الدكتور أبو القاسم سعد الله[3] وحسب رأي الدكتور يحي بو عزيز فإنه ولد في 1826 أو 1827 وهذا ما ذهب إليه أيضا محمد الأخضر السائحي[4] أما بالنسبة للقب بوشوشة فهو نسبة إلى كثافة شعر رأسه أو لخصلة بارزة فيه كما يحتمل أن يكون أهله قاد شاركوا في مقاومة الأمير عبد القادر .

لقد نشأ بوشوشة في البادية حيث مارس مهنة رعي الغنم وهي مهنة تربي وتزرع المسؤولية واليقظة الدائمة ، يكون ممتهنها دائم الصحة والنشاط كما تعلم الفروسية والشجاعة من أجداده تزوج من عائلة أولاد سيدي الشيخ وهي الزنجية التي استغلتها بعض المصادر الفرنسية لتأكد ما وصفت به الشريف بوشوشة من صفات دينية والتي كان من بينها انه كان راع وشريف مزيف وانه ليس من النبلاء ولا المرابطين ، القي عليه القبض

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات ..... ، المرجع السابق ، ص 222.

[2]- يحي بوعيز ، وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة ، مجلة الثقافة ، العدد 31 ، السنة 6 ، 1976 ، ص ص 39-48.

[3]- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900 ، ج1 ، طبعة خاصة ،عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ص278.

[4]- يحي بو عزيز ،كفاح الشريف محمد بن عبد الله ، مجلة الثقافة عدد 33 الجزائر ، 1976،ص ص 11-28.

سنة 1862 كما سجن في بوخنينيس ما بين سيدي بلعباس ووهران لكنه تمكن من الفرار في السنة الموالية أي عام 1963 واللجوء إلى منطقة "الفيقيق" بعيدا عن عيون الفرنسيون[1] .

كما لم يلبث الشريف بوشوشة طويلا بالفيقيق فسرعان ما غادرها إلى نواحي توات أين بدأ يجمع الأتباع استعداد للثورة المحتملة ،في هذه الأثناء اندلعت ثورة أولادي سيدي الشيخ عام 1864 فكان دور الشريف بوشوشة الإغارة على العدة والقوافل لا والقبائل التي تتعامل معه بتشجيع من سي لعلى من كبار أولاد سيدي الشيخ قبل أن يطلب من سي الزبير أن يعينه في قوات أولاد سيدي الشيخ .

- **ثورة الشريف بوشوشة 1869-1874:**
- **الوضع السياسي والاجتماعي في الصحراء :**

لقد كان هناك عائلتان كبيرتان توارثتا السلطة النفوذ في الصحراء الشرقية منذ عهد الأتراك وهما عائلة بو عكاز وعائلة بن قانة. أما عائلة بو عكاز فقد كانت عائلة تتولى منصب شيخ العرب ، وتتوارثه وبعد الاحتلال الفرنسي تم تعين علي بو عكاز عام 1852 رئيسا لأولاد ساولة فرع أشراف الدواودة المنتمين إلى عرب رياح الهلالين وتمتد سلطتهم العائلية على منطقة وادي ريغ وحوض ملغيغ وبسكرة والزاب الحضنة إلى أولاد عبد النور ويخضع سلطان تقرت لنفوذها وحمايتها واستمالت إليها زاوية طولقة الرحمانية مما جعل أتباع هذه الزاوية في منطقة باتنة يساندونها وفرضت هذه العائلة الاتوات والضرائب السنوية على سكان المنطقة الممتدة بين التل والواحات جنوب مدينة قسنطينة ومن أشهر زعماء هذه العائلة عامي 1870 -1871 علي باي آغا ورقلة وتقرت [2] .

أما عائلة بن قانة فأهلها من قبائل الحدرة بضواحي ميلة شمال قسنطينة كانت تشتغل هناك مهنة الحدادة ثم انتقل بعض أفرادها إلى منطقة بسكرة كما يعتبر الحاج بن قانة صهر بو عكاز فمنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر 1858 اسند باي قسنطينة الحاج القلي منصب شيخ العرب إلى الحاج بن قانة فتسبب ذلك في ظهور الصراع بين الصهرين بوعكاز وبن قانة وقد يكون الباي قصد ذلك[3] .

[1]- ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 277- 278.

[2]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ..... ، المرجع السابق ، ص 224

[3]- مياسي ابراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص72

واشتدت الحوادث وتواتر الخصومات بعد ذلك وكان هذا الخلاف والشقاق من الأسباب خسارة الحاج احمد باب في حربه ضد الفرنسيين لأنه لم يجد المناصرين له وكان زعيما في البداية الاحتلال هو محمد الصغير بن قانة

وقد استمال بن قانة إلى صفهم زواية تيماسين التجانية ليدعموا صفهم من الناحية الدينية وبعد الاحتلال انضم أولاد بن قانة إلى الفرنسيين بينما انضم جماعة بوعكاز إلى الأمير عبد القادر قبل أن يخضعوا للفرنسيين كذلك بعد مدة وأصبحت بذلك مناطق نفوذها متشابكة ومتداخلة فبعض القرى والدواوير والمدن تخضع لعائلته بن قانة والبعض يخضع لعائلة بو عكاز. وألقيت مدينة بسكرة خاصة سلطة الضباط الفرنسيين اللذين كلفوا بمراقبة العائلتين وحفظ التوازن فيما بينهما واستعمالهما في خدمة أغراض السيطرة الفرنسية وتوسعها إلى الصحراء [1].

أما الإخوان القادريون في واد عبدي فقد بقوا على الحياد ولم يصلوا إلى أي طرف من العائلتين وكانوا أكثر استعدادا من غيرهم للثورة ضد الفرنسيين كلما حانت أي فرصة ، كما اشتغلت هذه الخصومات والنزاعات بين العائلتين وطغت على كل المشاكل الأخرى في المنطقة حتى أحداث ثورة 1871 بالشمال فجماعة الوصاية من بن قانة وكانوا في الثورة ضد قائدهم الذي كان من صف بو عكاز .

وفي 12 افريل 1871 اتجه "اللي طنوا كولونيل ادلير" حاكم منطقة باتنة إلى بسكرة واستدعى إليه محمد الصغير بن قانة وعلي باي رئيس العائلتين وحملهما مسؤولية شخصية عن كل ما يحدث بالمنطقة من مشاكل وخصومات وأمر الكلونيل "كرو" على باي بان يتمركز بالزاب الشرقي لحماية جنوب منطقة بسكرة كما أعطيت الأوامر إلى بن قانة ليركز عدد من القبائل بين الوطاية و الدوسن لمقاومة الاضطرابات وحفظ الأمن [2].

وهكذا كانت منطقة الصحراء الشرقية ومصطبرة وقلقة اشتدت فيها الصراعات التي غذاها الفرنسيون وشجعوها وفق مبدأ فرق تسد وعندما انطلقت ثورة المقراني والحداد انتشرت عدواها إلى الجنوب و استغلها كل الغاضبين والناقصين ، ولعب سليمان لن دروعي دورا كبيرا في إثارة قبائل الاوراس ومشارف الصحراء وأجرى اتصالات مع ثوار الشمال وفي نفس الوقت نشط بوشوشة و بن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله في دفع سكان الواحات الصحراوية إلى الثورة ومن خلال هذا نتحدث عن بوشوشة ونشاطه [3].

---

[1]-. يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ..... ، المرجع السابق ، ص 225

[2]- رضوان تسافو ، الحملة الفرنسية العسكرية على منطقة وادي ريغ وردود الفعل الشعبية 1854 -1874 ، مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 2014 ، ص 12 .

[3] -lions ruin, opcit,p 318

- **ظهور جماعة المداقنة وبداية حركة بوشوشة :**

في حوالي عام 1860 طرد احد رجال التوارق من أهالي كلخيلة بالهقار بعد أن أصبح معدما فقيرا فاتجه بأولاده السبعة إلى " حب الريش" من شعانبة ورقلة واستقر هناك بين أهلها واستعار بعض الجمال وأخذ يطارد الغزلان عدة شهور 1863 وخطف من عائلة أولاد شهيب التابعة لأولاد زيد من فرع شعانبة المواضي بعض الجمال فطارده علي بن الأشهب رئيس العائلة بصحبة محمد حاود زعيم أولاد فرج وقتلوه مع ستة من أولاده واستعادوا بعض جمالهم أما الابن السابع الصغير فقد نجا ببعض الجمال واتجه بها إلى عين صالح.

وفي مجاعة 1867 اضطر الناس إلى أكل جذور الأعشاب والأفاعي وهاجر أهل بوخنينيسة إلى المنيعة بحثا عن موردا للرزق وأغار بعض زعمائهم وهم سالم بن شراير والأخضر بن حورية والشيخ بن زكري على نفزاوة خلال الصيف وقطعوا بعد ذلك صحراء الحمادة بين واد الشبكة وواد النساء ، ومن هناك إلى لعالية وزلفانة والمنيعة[1] حصلت مشادات كلامية بين ابن شراير ومعطى الله بوظفر الشعباني ، و بوبكر بن عبد الكريم فقال معطى الله لبوبكر سراق تعتدون على من يفعل معكم الخير فانتم مثل طوارق"مداقنات" وبقيت هذه التسمية علما بعد ذلك على الجماعة التي دأبت على اختراق الصحراء لممارسة السطو والخطف حسب رأي لوشاتولي[2].

وكان بوشوشة صمن جماعة المداقنة هذه الأخيرة التي تأسست في تيديكلت 1869 واسمه الحقيقي محمد بن التومي بن إبراهيم ويدعى بوشوشة أي الفارس ولد بقرية الغيشة بجبال العمور في تاريخ لا نعرفه والمتوقع أن يكون ذلك في مطلع القرن التاسع عشر ومارس الفروسية ويتصف بالشجاعة وادعى أمام محكمة تأديبية بمدينة معسكر يوم 22 ديسمبر 1862 [3].

وفي عام 1863 فر بوشوشة من سجنه في بوخنيفيس واتجه إلى فيجيج بالحدود المغربية ومن هناك اتجه إلى توات واخذ يجمع حوله الأنصار والأتباع ويجهز نفسه لحركة قادمة كما تمركز في عين صالح سنة 1869 وأعلن نفسه ليبايعوه الشعانبة المواضي وفي العام الموالي 1870 بايعه شعانبة ورقلة فأخذت حركته تمتد وتنشر حيث

[1]- يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر ... ، المرجع السابق ، ص 226

[2] - le chatelier , les madagants , revue africaine ; p 39- 46.

[3] - lions ruin, opcit,p . 79

ادعى قارو بان بوشوشة كان من أتباع السنوسية المتمركزة بجبغوب وان نشاطه بين سكان المخادمة كان من اجل ضمهم إلى هذه الطريقة وتحفيزهم على مقاومة النفوذ والسيطرة الفرنسية[1] .

وفي عام 1870 بدأ بوشوشة يتقوى بكثرة الأتباع كما شجع الناس لمبايعته في الواحات الجنوبية وخلال شهر مارس اصطدم بسكان الأرباع وجماعة السعيد تبة في الحمادة واستولى على المنيعة في شهر افريل والقي القبض على القائد جعفر وسجنه وفي يوم الخامس من شهر ماي كان بضواحي الميزابية وبعد أسبوع كان في آبار سبسب مع الأخضر بن محمد وسكان الأرباع ومن هناك اتجه إلى عين صالح و أخذ هو وأتباعه يهاجمون خصومهم وأوان الفرنسيين وحرك معم سكان الجنوب وبعد أن أقام مدة في عين صالح غادرها في عام 1870 عائدا إلى الشمال وقصد الرويسات وكان في نيته اقتحام تقرت لكنه وجد صعوبة في ذلك وتمركزت عدد من الجنوب الرماة بها فاتجه في نفس اليوم إلى ورقلة التي فتحت أبوابها له بدون مقاومة نظرا لوجود عدد من المؤيدين بها كما تعاون الدواودة في تخريب متاجر الميزابيين الذين حاولوا أن يقاوموه ويرفعوا سيطرته وكانت ورقلة مبايعة لآغوية علي باي من عائلة بو عكاز الذي كان آنذاك في حاسي الناقة وبعد أن سيطر بوشوشة على ورقلة عين عليها بن ناصر بن شهرة آغا على أمل أن تكون أهم قاعدة له بعد ذلك في حركته الثورية إلى كل الجبهات .....[2]

وفي اليوم الثامن من مارس اتجه بوشوشة إلى قمار فقاومه شيخ الزاوية التجانية محمد الصغير بن الحاج ، ورفض أن يستقبله وعزم أن يستعمل ضده القوة بأتباعه إذ ما حاول أن يقتحم القرية أوضح بوشوشة له بأنه ليس من غرضه مهاجمة الزاوية ولكن مهاجمة الزمالة علي باي ولكن السوافة لم يوافقوه أيضا رغم حصول الخلاف بينهم واتفقوا على أن يدفعوا له مبلغا من المال على أن يرحل في الحال من قمار فتجنب بوشوشة الصدام معهم إلى مويت القايد واتصل هناك بعدد من الرسائل بالشيوخ والزعماء التابعين لصف بن قانة عرضوا عليه مساعدتهم له إذا أراد أن يغير على تقرت ويقضي على سلطة ونفوذ علي باي وتصفية قواته بها التي تتألف من حوالي سبعة وستين جنديا من الرماة من بينهم موطي وكان من ضمن من راسله عرب قبلي وسلماية وأولاد رحمان وأولاد موليت وشيخ نزلة بو شمال بن محمد ابن قوبي وشيوخ محاربة ، الحاج احمد علي الطرابلسي والحاج ابراهيم بن

[1]- يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر ... ، المرجع السابق ، ص 227.

[2]- عما بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962 ، ط3 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008 ،ص145 .

الحاج عمر مقدم الزاوية الرحمانية بنفطة وكل من حارب علي باي ويقاوم سلطته ونفوذه ويسعون لتحطيمه والقضاء عليه .[1]

حيث كان علي باي في هذه الفترة معسكرا بعين الناقة بجوار السيد الموهوب ابن شنوف فقام بإرسال مجموعة من القوم إلى الزاوية ووجه زمالته إلى الزيبان حتى يبعدها عن الأخطار التي أخذت تحدق به من كل جانب

ففي اليوم الثالث عشر من شهر ماي وصل بوشوشة إلى تقرت أمام باب عيسى وفتحت المدينة أبوابها له في اليوم التالي في جو من الزغاريد والفرحة واعتصم أنصار علي باي في قصبة المدينة وصمدوا للدفاع فترة من الوقت ثم خرجوا بعد مفاوضات على أن لا يعترض لهم عندما يغادرون المدينة ولكن بمجرد أن ابتعدوا عنها هاجمهم خصومهم وقتلوا معظمهم ، بقي بوشوشة بتقرت حتى اليوم الواحد والعشرين من شهر ماي ثم عين بوشمال بن قوبي آغا عليها واتجه إلى الجنوب وحاصر زاوية التيجانيين المعارضين له في تيماسين ولم يصل إلى نتيجة فرحل عنها إلى بلدة عمر وبصحبته أسرى تقرت فأطلق سراحهم جميعا يوم الثاني والعشرين من ماي ماعدا زوجة احد الأوربيين والجندي أمبارك بن السعيد الذي اتخذه طباخا له ومن بلدة عمر وال سيره إلى عين صالح ليجمع الأنصار والمؤن ويدبر الخطط الجديدة بعد أن أصبح له قاعدتان هامتان ورقلة وتقرت [2].

أما بالنسبة لعلي باي فبعد أن علم بأحداث تقرت يوم 18 ماي اتجه إلى بسكرة وحاول أن يحتج إلى الحاكم الفرنسي ضد أولاد بن قانة الذين اتهموهم بكونهم المساعدين والمحرضين لبوشوشة على غزو ورقلة وتقرت ولكن الحاكم الفرنسي اتهمه بالإهمال وتوعده بتقديمه للعدالة لتلقي كلمتها حوله فعلى أساس هذا الجواب اتجه علي باي في أوائل شهر جوان إلى واحة أنسيقة على بعد 24 كلم من واحة مراير التي يتمركز بها اتباع بن قانة[3] ثم تقد إلى فراير نفسها التي فر منها أصحابها وقام هو بسلب ما وجده هناك من أمتعة وأثاث وفي طريقه إلى تقرت وجد كل قرى نزلة وتبسبست والزاوية وتامرنة خالية من سكانها الذين فرو إلى تقرت بسبب انعدام الأمن وانتشار الاضطرابات والقلاقل ولم يعودو إليها بعد مصي نصف شهر وعندما وصل علي باي إلى تقرت فرض عليها الحصار بأتباعه من أولاد عمران و أولاد نايل وأولاد بن زكي وهاجموها يوم الثامن جويلية وجرت معركة كبيرة قتل وجرح من خلالها خلق كثير من الطرفين وفشل في استعادتها واضطر إلى أن ينسحب عنها

[1]- يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر ... ، المرجع السابق ، ص 228.

[2]- ابو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج1 ، ،المرجع السابق ، ص145 .

[3] -lions ruin, opcit,p 628

بعد أن عاد إليها بوشوشة وحصلت بينهم معركة دامية يوم العاشر من جويلية قتل فيها عدد كبير من الناس وانسحب علي باي إلى بسكرة يوم الثالث عشر جويلية تاركا سكان وادي ريغ وجنوب وادي جدي لمصيرهم.

بعد أن عاد بوشوشة إلى تقرت اخذ يتنقل بينها وبين الدوسين و غيرها من قرى المنطقة من أجل الدعوة لحركته هو وناصر بن شهرة وحاول أن ينتقم من أولاد زكري الذين ساعدوا علي باي في أحداث تقرت فاستمال إليه ثلاث شخصيات هامة من أولاد جلال ليساعدوه على ذلك وهم الطيب المومسمي الباشاغا بن محله محمد بن الحاج عمر وفي نفس الوقت توجه بن ناصر بن شهر مع جماعة من الشعانبة إلى المهاري وأولاد زربة يوم 20 جويلية على بعد 28 كلم من أولاد جلال ليهاجموا أولاد الساسي من أولاد زكري وانتزعوا منهم قطعان مواشيهم وإبلهم وبهذا كونوا قوة كبيرة واتجهوا بها يوم التاسع عسر من شهر أوت إلى واد الشعانبة في الشمال قرب واد النساء وبين الهاجيرة والنقوسة فهجموا على أعدائهم واستعادوا قطعان مواشيهم ونسائهم .[1]

إلا أن بوشوشة لم يسكت على هذا العمل فهجم عليهم لكنه تعرض لهزيمة نكراء وفقد عددا كبيرا من أنصاره وقطعان مواشيه وجماله وتعهد له سكان الزقم وكوينين وتازروت من أتباع بن قانة وأرغم على دفع مبالغ مالية مقابل رحيلهم عنهم ففعل ، كما قد اهتم بوشوشة بشراء الأسلحة والذخيرة التي نشطت تجارتها آنذاك في مالطة وتونس بواسطة اليهود والمالطيين الايطاليين وفي موانئ قفصة وسوسة نابل ومدن قفصة والكاف وعندما علمت السلطات الفرنسية بالأمر عملاء يهود لها بتونس طلبت من الجالية اليهودية بتونس أن تأمر اليهود بالكف على التجار في الأسلحة وبيعها للثوار فامتثل زعمائها للأمر وعلقوا بيعهم منشورا دوريا أكدوا في عدم وجود أية فائدة تعود على اليهود من تجارة البارود والأسلحة ..[2]

وحتى السوافة بقمار والواد ، دبيلة وكلا من أنصار بوعكاز امتنعوا عن ذلك بأمر من زاوية تيماسين التيجانية مما أدى إلى مشادات بين أنصار بن قانة وأنصار وبوعكاز في قمار وقتل وجرح فيها عدد من الطرفين كما حصلت مشاكل مماثلة في زريبة الواد .

فبغد هذا الحوادث كلها غادر بوشوشة ورقلة ووصل إلى تومرات يوم 31 أوت على بعد 20 كلم جنوب العاطف بميزاب معه حوالي 600 فارس من المخادمة التابعين للشعانبة بوروبة وبعض قبائل الصحاري وهناك

[1]- يحيي بوعزيز ، ثورات الجزائر .... ،المرجع السابق ، ص 222.

[2]- نفسه ، ص 231.

حضر اليه سي الزبير ولد بو بكر ولد سيدي الشيخ مع جماعة من شعانبة المواضي وقائد الشعانبة برفقة احمد بن احمد ذو السمعة الكبيرة لدى كل سكان الصحراء [1] .

صاهر سي الزبير بوشوشة وزوجه من البنت زينب ابنة جلول وتم العرس يوم 01 سبتمبر 1871 ودامت الأفراح أربعة أيام وكافأ بوشوشة صهره الجديد سي الزبير فعينه آغا على ورقلة وسط الزغاريد وولولة النساء وذلك في مكان بن ناصر بن شهرة [2].

وفي اليوم الرابع سبتمبر غادر بوشوشة ورقلة إلى بني يزقن وراسل سكانها طالبا منهم الخضوع والمبايعة ودفع الأتوات كبرهان على ذلك فرفضوا وصمموا على مقومته والانتقام منه لما فعله في إخوانهم الميزابيين الذين نكب بهم في ورقلة عندما سيطر عليها لأول مرة منذ بداية حركته .

فقاموا بترحيل أطفالهم وعائلاتهم إلى القصور في الجبال واتجه القادرون على الحرب قرب بني يزقن في جو من الأناشيد والحماس الشديد للمقاومة فخاف بوشوشة وتظاهر بإعطائهم مهلة شهر وثلاثة أيام ليتدبروا أمرهم ويفكروا جيدا في الأمر وعاد هو إلى ورقلة [3]عبر زلفانة وقسم قواته إلى ثلاث فرق

1- فرقة اتجهت إلى تاجرونة غرب الاغواط
2- فرقة اتجهت إلى الشكو شمال ميزاب
3- فرقة بقيادته هو وأغار بها على سكان غرداية وبريان وتاجرونة

وعندما وصل إلى ورقلة وجد في استقباله صهره الزبير وبن ناصر بن شهرة ومحمد الشريف بو عبد الله وعددا من زعماء تبسه جاؤوا لتقديم التحية والتهاني إليه على نجاحه[4].

وفي يوم السابع منال شهر نوفمبر هاجم بوشوشة القائد بولخراس بن قانة والسعيد عتبة وجماعتهما في كريف جلية بين العريش والقرارة وخلال هذا الهجوم أصيب بوشوشة بجروح بالغة وقتل عدد من رفاقه وفقد زمالته وكان المقرانيون الغارون من الشمال قد حضروا هذه المعركة .

[1] -lions ruin, opcit,p 619

[2]- يحيي بوعزيز ، ثورات الجزائر .... ،المرجع السابق ، ص 231.

[3] -lions rinn , opcit,p 619

[4] - Rinn deux documents, revue africaine ; p 39- 46

وبعد هذه المعركة حمل بوشوشة إلى حاسي القطار للعلاج من جروحه الخطيرة ومن هناك اتجه إلى حاسي بوروبة واستقر بها منذ 30 نوفمبر إلى أن شفي من جروحه فعاد إلى نشاطه وألف يوم 17 ديسمبر خمس فرق من قواته بحاسي بوروبة فرقه بقيادته هو وصهره سي الزبير فرقه الشعانبة و فرقه المخادمة فرقه بن ناصر بن شهره وأخيرا فرقه المقرنين الفارين من الشمال اتجاه جميعا إلى حاسي قدور ومن ورائهم القوات الفرنسية تطاردهم من هناك إلى حاسي تمزقيده وفي يوم 2جانفي 1872 انتزع الجنرال دولاكرو ورقة من أنصار بوشوشة ثم زحف على تقرت وسيطر عليها كذلك[1] .

في 9 جانفي التحم الثوار بالقوات الفرنسية التي كانت تلاحقهم واستولى الفرنسيون على معظم زمالك بوشوشة بما فيها من الأغنام والجمال والخيام والحبوب والنمور و الزرابي والنساء والأطفال والخدم كما قتل في معركة عدد كبير من هم أحفاد بن ناصر بن شهرة وقبض الفرنسيون على شخصين من قافلة المقرنين هما عبد العزيز بن محمد قاضي واد الساحل قبلي ومحمد بن حمودة قاضي مجانة حيث استولوا على مجموعه من الأموال وأغنام السعيد بن داود المقراني كذلك[2].

وعلى اثر هذه هي المعركة الفاصلة افترق شمل الثوار بوشوشة اتجاه إلى الجنوب الغربي نحو قورد عيش يوم 10 جانفي كما انفصل عنها الشعانبة و اتجه إلى عين الطيبة في الجنوب بالإضافة إلى انفصال صهره عنه سي الزبير الذي اتجه إلى عين صالح بعد أن فقد كل شيء ماعدا امرأتين وأربعة جمال كما نجد ابن ناصر بن شهره والمقرانيون اتجهوا كذلك إلى عين الطيبة جنوبا ومنها إلى الحدود التونسية وقد اعتقد بوشوشة بعد هذه النكبة انه آي احد لا يمده بالمال والرجال لمواصله حركته خاصة المخادمه و المقرونين حيث اتهامه المقرانيون بأنهم سبب في ضياع زمالته بل وفي محاوله اغتياله يوم 11 جانفي وهو في خيمته طعنه احد أصدقائه المدعو مولاي العربي من ورقلة ولكن وراء هذه المؤامرة حتى يستولي على مبلغ من المال أرسل إليه من تونس بقدر ثمانين ألف فرانك قديم و عندما وقع بومرزاق أسيرا في يد الفرنسيين بعد هذه الحادثة بحوالي أسبوع أعلن الجنرال دولاكروا انه هو الذي قتل بوشوشة استنادا إلى هذه الحادثة مما يرجح أن له يد في هذه المؤامرة وأشيع كذلك بان زوجته زينب بن جلول هي التي دفعت مولاي العربي الورقلي لاغتياله [3].

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر .. ، المرجع السابق ، ص 232.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ج 1 ، المرجع السابق ، ص 286 .

[3] -lions rinn , op.cit,p 636

كما اتجه بوشوشة بعد نكبته إلى مزوية في عين صالح ومن هناك إلى نواحي الساورة كما استقر في كرزاز لدى احد الكرزازيين بعض الوقت ثم رحل إلى القرارة في ابريل 1873 بنصيحة من أولاد الأشهب المواضي ثم إلى توات حيث ألف من جديد قافلة من الفرسان ولأخذ يمارس الإغارة على خصومه في أنحاء كثيرة من الصحراء وفي أواخر شهر جويلية 1873 ظهر بالمنيعة وأغار على قطعان أولاد يعقوب بين الاغواط والبيض وجبال العمور فاقترب من ورقلة فتعرض له آغاها الجديد وكلف أخاه السعيد بن إدريس بمتابعته وملاحقته فانسحب إلى الخنافس وواجهه ابن ادريس في حاسي الناقة خلال شهر ديسمبر فانتزع منه زمالته وزوجته وفاطمة بنت جلول التي طلبت منه أن يعيدها إلى أهلها أولاد سيدي الشيخ فكانت هذه نكبة أخرى له.

ومن هناك اتجه بوشوشة إلى جنوب شرق عين صالح واستقر مدة من الزمن في هضبة "مويديردقانت" وعلم هناك أن زوجته قيدت إلى تيماسين وسلمت إلى أعدائه التيجانيين فاتجه الى هناك على رأس 150 فارسا ووصل إلى ضاحية الزاوية يوم 13 فيفري 1874 واستولى على 150 هودجا عثر عليها في المراعي المحيطة بالقرية وهذا ما يؤكد تأصل طبيعة السلب فيه وفي أتباعه على الحاجة وعلى المرارة التي يشعر بها بعد أن فقد كل شيء حتى زوجته .

وكان الجنرال "ليبير" يعسكر آنذاك في مصماط شرق الهاجيرة قرب ذراع البقيل بواد ريغ فوجه السعيد بن إدريس ليلاحقه وعثر عليه يوم 19 أوت في ربوات حاسي بو كلوة وتلاحم معه في المعركة ولم يستطع أن ينال منه فعاد إلى ورقلة حيث أعدت له قوات أخرى كبيرة ومسلحة وشرع في ملاحقته ابتداء من يوم 4مارس 1874 وكان يعسكر في كدية بو يحفين في واد عقاربة الذي يتصل بواد "مويديردقانت" كما عمل السعيد بن إدريس على الإحاطة به يوم 24 مارس وتمكن من اخذ معظم زمالته وأمواله وجماعته واشتدت المعركة على الأرض والرمال[1] .

وفي نهاية المعركة وقع بوشوشة أسيرا في يد بن قدور احد رجال السعيد بن إدريس في معركة الميلوك جنوب عين صالح يوم 13 مارس وقيد هو وغيره من المعتقلين إلى ورقلة عاصمته الأولى في بداية ثورته ومن هناك وجه إلى قسنطينة وأودع السجن عدة شهور ثم قدم إلى المحاكمة وصدر ضده الحكم بالإعدام ونفذ فيه يوم

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر .. ، المرجع السابق ، ص 235.

29 جوان 1875 بمعسكر الزيتون في ضواحي مدينة قسنطينة [1].وقد كافأت السلطات الفرنسية بن إدريس وأخاه على هذا النجاح فجعلت عليها نيشانين[2].

أما بقية الثوار فقد تجمعوا في عين أحقان بعد المعركة واتجه الشعانبة وبعض الرجال أولاد سيدي الشيخ إلى عين صالح بينما اتجه الطوارق منهم إلى الهقار وبقوا يواصلون نفس العمل في طول الصحراء وعرضها من الجزائر إلى السودان ، من فزان إلى توات حتى عام 1883 تحت اسم المداقنة.[3]

### ❖ ثانيا : مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1841- 1875)

- **أصل هذا الرجل وحياته الأولى :**

ينتمي محمد بن عبد الله إلىأولاد سيدي احمد بن يوسف فرع قبيلة أهل روسل قرب عين تموشنت [4] وكان في عام 1840 رجلا لا سمة له أي غير معروف فتوجه بعائلته إلى مدينة تلمسان كما اشتغل معلما للقرآن الكريم في زاوية أولاد سيدي يعقوب المنتمية إلىأولاد سيدي الشيخ . فعندما تزعم آغا روسل مولاي الشيخ علي المعارضة ضد الأمير عبد القادر واستمال إليه محمد بن عبد الله وقدمه للناس على انه رجل شريف ونبيل قدم من المغرب الأقصى وهذه الظاهرة عامة في عدد من الرجال الدينيين الذين تزعموا الثورة بالجزائر و قيل عنهم أنهمأشراف قدموا من السوس الأقصى والمغرب الأقصى .

وفي يوم 15 ديسمبر 1841 جرى لقاء بين الكلونيل" تيمور " حاكم وهران ومولاي الشيخ علي ، ومحمد بن عبد الله و مصطفى بن إسماعيل زعيم بني عامر والخصم اللدود الأمير عبد القادر وذلك في بني عامر قرب عين تيموشنت كما حصل الاتفاق بينهم على التعاون في محاربة الأمير عبد القادر حيث منح الفرنسيون لمحمد بن عبد الله لقب السلطان ، وعينوه خليفة على سكان المنطقة الغربية ، فتحمس للعمل تحت سيطرتهم ضد الأمير عبد القادر حسب رواية ترومليي[5] .

وفي يوم 14 جانفي 1842 عندما شرع الجنرال بيدو في الزحف إلى مدينة تلمسان تحت إمرة الجنرال بيجو كان السلطان محمد بن عبد الله ضمن قواته بإتباعه وقومه كما طمع في أن يعينه بيجو خليفة من قبله عليه في

---

[1] - Le chaterlier , ((les Mardagants)) ;p 46-49.

[2] - ibid , p 49-51

[3]- lions rinn , op.cit,p 13

[4]- يحي بوعزيز ، كفاح الشريف محمد بن عبدالله ، مجلة الثقافة ، عدد 33 ، الجزائر ، يونيو ، 1976، ص 11.

[5] - c. trumelet :les francais dans les desert , paris 1865 ; p p 37-39.

أواخر الشهر [1] وتم له ما أراده في البداية غير انه تعرض للمضايقات لم يكن يتوقعها دفعته إلى تغيير موقفه واتجاهه كما حمل لواء الثورة ضد الفرنسيين لمدة تقرب ثلاثين عاما بالجزائر . فلقد طلب ن حاكم تلمسان أن يحلف على المصحف لتأكيد إخلاصه للفرنسيين وهذا يسير لأنهم يشكون في إخلاصه لهم كما طلب منه أن يترحم على عدد من الموتى الفرنسيين الذين قتلوا خلال المعارك قبيل احتلال المدينة وذلك خلال حفل دفنهم ، وهذا تحدي واضح للشعور الإسلامي لذلك رفض السلطان محمد بن عبد الله ذلك حسب رواية ترومليي : «... إنني معكم إلىأن يحكم الله بافتراقنا ....»[2]

وكان محمد بن عبد الله يداول على الاعتكاف فقي ضريح مسجد العالم الأندلسي الشهير أبي مدين شعيب بحي العباد للتعبد ظاهرا وللاتصالبأنصارهوأتباعه لوضع خطة الخروج عن طاعة السلطات الفرنسية في الحقيقة والواقع وحتى لا يثير شكوك الفرنسيين حوله اشترك معهم في معارك نازا ضد القوات المغربية أثناء مشاكل الأمير عبد القادر [3] وبقي عدة سنوات بعد ذلك خامل الذكر كما رسخ صلاته بفرق الكولوغلي التي كانت تمثل شرطة المدينة ليدعم نفوذه ومركزه من جهة وليحمي نفسه وعمله خلال استعداداته لتنظيم رحيله عن المدينة من جهة أخرى

- **رحلته إلى البلاد المقدسة واتصاله بمحمد بن علي السنوسي :**

في أحد الأيام من عام 1844 استيقظ الفرنسيون صباحا ليجدوا مكتوبا على جدران مدينة تلمسان عبارة : «محمد بن عبد الله ناصر الدين أبقاه الله وسلطه على رقاب الكافرين »[4] فمن الطبيعي أن يعتقلوه وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل السلطات الفرنسية تطلب منه وتنصحه بان يذهب إلى الحج للتخلص منه ومن مشاكله وشغبه المقبل الذي بدأت رائحته تشم من بعيد فقد ظن محمد بن عبد الله أن هذه النصيحة وهذا الرأي بمثابة أمر لابد من تنفيذه وفهم منه انه طرد طردا مهذبا فغادر تلمسان وهو غاضبا وحاقدا بصحبة عائلته وكاتبه سي محمد بن علي واتجه إلى وهران وركب باخرة المرسى الكبير نقلته إلىالإسكندرية ومن هناك اتجه إلى مكة والمدينة المنورة وادى فريضة الحج حيث اتصل بعدد من الجزائريين المنفيين والمطرودين والهاربين من الضغط الاستعماري الفرنسي و الذين دعاهم ترومليي بالمشوشين كعادة كل الفرنسيين الذي يعتبرون الثوار الوطنيين مشوشين [5]. فكان من ضمن من اتصل بهم محمد بن عبد الله السيد ، محمد بن علي السنوسي الذي طرد من الجزائر عام 1849

[1]- الأمير محمد ،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، الإسكندرية ، 1903 ، ص ص 263-267.

[2] - Trumelet ,op.cit., p39-40.

[3]- الأمير محمد ، المصدر السابق ، ص ص 290-293 .

[4]- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2099 ، ص 103.

[5] - Trumelet ,opcit, p p 43-45

فوثق صلاته به وانشأ معا زاوية دينية هناك جعلاها بمثابة ملجأ لكل الجزائريين والمهاجرين يلتقون فيها لأداء واجباتهم الدينية وتدارس مشاكل بلادهم السياسية كما يعملون على تنظيم المقاومة ضد السيطرة الفرنسية بحكم قربهم من بلادهم وذلك في عقود الأربعينات و الخمسينات والستينات من القرن الماضي .

ومن هناك اخذ كل من محمد بن عبد الله ومحمد بن علي السنوسي يراسلان رفاقهما أو أصدقائهما بالجزائر وتونس وطرابلس ويتتبعان أخبار بلادهما " الجزائر" بانتظام وأحيانا يرسلان مبعوثين خاصين لنشر مبادئ طريقتهما الدينية ولبث أفكارهما السياسية وحث الناس على مقاومة السيطرة الفرنسية في الباطن ويظهر أن محمد بن عبد الله ومحمد بن علي السنوسي كانا موطدين العزم على العودة إلى الجزائر عندما تسمح لهم الفرصة ، فكانت أوضاع الجزائر في هذه الفترة مناسبة لقيام بالثورة ضد المحتلين وفي هذه الأثناء عملت فرنسا على نقل عدد من قواتها إلى فرنسا بعد ثورة 1848 احتياطا للطوارئ وكان الحاج احمد باي ما يزال أتباعه يواصلون المعارك في الجبل رغم استسلامه في صيف 1848 وفي العام الموالي 1849 ثار سكان الزعاطشة والزاب الظهراوي كما امتدت ثورتهم إلى الحضنة غربا والاوراس شرقا والقل والزاوغة شمالا حيث ظهر بن ناصر بن شهرة بحركته انطلاقا من أواخر عام 1846 واخذ هو الآخر يحث سكان الأرباع بمدينة الاغواط على حمل السلاح [1]

- **عودة محمد بن عبد الله إلى الجزائر**

وهذا الوضع لم يكن غائبا على أعين بن عبد الله والسنوسي فقرر استغلاله حيث طلب السنوسي من محمد لن عبد الله أن يسبقه إلى الجزائر ويبدأ العمل للأعداد للثورة هناك ولكي يقنعه بذلك أكد له بأنهأهل لتلك المسؤولية كما أكد له بأنه سيأتي من ورائه متخفيا ، أن السنوي خرج من الجزائر منفيا على عكس بن عبد الله الذي طلب منه أن يتجه لأداء فريضة الحج وهو نفي مهذب كما ذكرنا سابقا لا يحول دون رجوعه إلى الجزائر .

ورغم تحمس محمد بن عبد الله للعودة إلى بلاده إلا انه تردد في البداية لخوفه من عدم النجاح في مهمته وقلة وسائل الدعم الضرورية لها غير أن تشجيع الدوائر التركية ودعم السنوسي له جعله يقبل ويقطع حبل التردد ومما يثبت تأييد الأتراك له ولرفيقه هو انهزم على العودة بسرعة لبلده فاخذ طريقه إلى طرابلس الغرب رفقة حاكمها

[1]- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق ، ص 104.

التركي عزت باشا في نهاية عام 1849 [1] وفي هذه الحالة لم تكن نوايا عزت باشا واضحة من خلال زيارته إلى الحجاز ، هل كانت للحج أم للزيارة أم لمثل هذه المهمة ؟

وصل محمد بن عبد الله إلى طرابلس الغرب أوائل عام 1850 ومن هناك اتجه إلى وادي سوف عبر غدامس وتقرت كما استقر بزاوية الرويسات وبقي طوال عام 1850 يراقب الأمور عن كثب ويدرس الأوضاع عن قرب وفي شهر فيفري 1851 فكر بجد في القيام بتجربة أولى في ميدان الكفاح فاتجه إلى تقرت وكان محمد بن علي السنوسي قد عاد هو الآخر من الحجاز حيث استقر بطرابلس من هناك ويراسل غيره في تأييد لحركته وكان ضمن من راسلهم السنوسي هو زعيم المخادمة عبد الله بن خالد الذي طلب منه ان يقف إلى جانب محمد بن عبد الله ويعضده في عمله الثوري .[2]

- : ذاع صيته وامتد نفوذه فشعر بنوع من القوة ، فكانت ورقلة أول هدف وضعه نصب عينيه ليستولي عليها نظرا للمشاكل التي كانت تعانيها ولم تعترضه صعوبات كبيرة في الاستيلاء عليها عندما اتجه إليها بصحبة زوجته مريم وكاتبه محمد بن علي وزعيم المخادمة عبد الله بن خالد فاتخذها مركزا هاما ومقرا لنشاطه ويحررها من الكافرين[3] .

كما لعب بن خالد الخادمي نفس الدور لحمل الناس على الاعتراف بزعامة محمد بن عبد الله وعلى أساس هذه الجهود بايع الورقليون محمد بن عبد الله سلطانا عليهم في شهر أوت 1851 .

وبعد سيطرته على ورقلة فكر محمد بن عبد الله في السيطرة على تقرت التي تخضع لسلطة عائلة بن جلاب منذ أزمنة طويلة فاتجه إليها وانظم إليها سلطانها السابق سليمان بن جلاب كما انظم إليه سكان مليلي يوم 12 ماي 1851 وهاجموا جميعا أولاد " مولات " بالزيبان ثم هاجموا ابن جلاب وقتلوا له 85 رجلا وأرغموه على الاعتصام في قصره [4]

---

[1]- ذكر شارل فيرو ان محمد بن عبد الله عاد مع السنوسي نفسه الى ليبيا عبر الرويسات بصحراء مصر والجبل الاخضر بليبيا وان احمد ابن حمدان خوجة آمين السكة سابقا بالجزائر قد عين دفر دار لعزت باشا بطرابلس انظر:

comtiutine , p p 108-112.chareles feraud,le sahara de

[2]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ..... ، المرجع السابق ، ص 157-158.

[3]- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق ، ص 105 .

[4] - Trumelet ,opcit, p 56

على اثر هذه الحوادث غادر بن عبد الله تقرت واتجه إلى جبال العمور بجمع المزيد من الأنصاروالأتباع والمؤن والذخائر كما صادر أملاك العائلة شيخ نفوسة واعتقل أفرادها كالشيخ بوحفص وإخوته وسجنهم بالرويسات قرب ورقلة وغزا بعد ذلك في شهر ديسمبر دوار أولاد سعد بن سالم في أولاد نايل فأخذ يستعد لغزو مدينة بريان الميزابية وكاتب باقي المدن الميزابيةالأخرى طالبا منها الخضوع وتقديم فروض الولاء والطاعة ولكنهم رفضواوأعلنوا استعدادهم لمحاربته.[1] وهو نفس الموقف الذي اتخذوه ضد بوشوشة ويظهر أن سوء سلوكهما ومعاملتهما هي السبب في هذا فتحدوه إذاأراد القتال أن يتجه لمحاربة الفرنسيين أعداء البلاد ويظهر انه لم يكترث لهذا التحدي فاقترب من متليلي وعسكر إلى جنوبها بصحبة عدد من الشعانبة والمخادمة والأرباع وبعد مناوشات صغيرة ومحدودة عاد أدراجهإلى ورقلة وعين السيخ الطيب بن يابية شقيق الشيخ بوحفص رئيسا على نقوسة [2].

وفي شهر فيفري 1852 حاول محمد بن عبد الله أن يتوسع إلى الشمال فاعترضه قوم الأغا الشريف الاحرش زعيم أولاد نايل واحد أبناء خليفة الاغواط في جبل العمور فحصلت بين الطرفين معركة ومناوشات محدودة عاد على إثرهاإلى الجنوب وأغار على بعض جهات ميزاب وفقد خليفته في إحدى هذه المعارك

وفي شهر مارس غزا منطقة الاغواط فاخفق في محاولته فاتجه إلىأولاد يعقوب وغزا جهاتهم في واد زرقون ومن هناك اتجه إلى منطقة الزيبان حيث قاد يوم 22 ماي 2800 رجلا إلى واحة متليلي جنوب بسكرة ولربما خاض لأول مرة معركة ضد القوات الفرنسية قبل أن يواصل سيره إلى الجنوب .

وقد تعاون أغا الاغواط يحي بن معمر بن سالم مع محمد بن عب الله في محاولة السيطرة على مدينة الاغواط مركز أخيه الخليفة احمد بن سالم بسبب حقده وغصبه عليه ففرض عليها حصارا يوم 15 سبتمبر 1852 ولكن الجنرال يوسف انجدها بسرعة وأبعدهما عنها [3].

- **استعدادات الفرنسيين ضد محمد بن عبد الله :**

بعد هذه الحوادث اتجه محمد بن عبد الله في أكتوبرإلى جبال العمور لجمع المزيد من الأنصار والمؤن بعد أن اتضح له أنأعداءه ينظمون ضده مقاومة شديدة وقد أدرك الفرنسيون خطورة حركته فأخذوا يدربون أمورهموقام الجنرال

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ..... ، المرجع السابق ، ص 158.

[2] - Trumelet ,opcit, p 56

[3]- يحي بوعزيز ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المرجع السابق ، ص 106.

راندون بتجنيد ثلاث فرق كبيرة لمحاربته من وهران ومعسكر والمدية الأولى بقيادة الجنرال يوسف تمركزت هذه الفرقة في مدينة الجلفة منذ عام 1852 والثانية بقيادة "بيلسي" وكانت متمركزة بالبيض والثالثة بقيادة ماكمهون كلفت بحماية منطقة بسكرة والواحات الشرقية وقسنطينة [1].

وفي 04 أكتوبر خاض محمد بن عبد الله وأتباعه معركة كبيرة في الرق قرب غدير مزي ضد القوات الفرنسية وقتل منها 200 رجل وغنم من أعوانها حوالي 20 ألف رأس غنم وإلفي جمل واستقبل سكان الاغواط محمد بن عبد الله بحفاوة بالغة وبمثابة الفاتح الأكبر[2].

- **تعاون أولاد سيدي الشيخ مع الفرنسيين ضد محمد بن عبد الله :**

تأثر الفرنسيون من الهزيمة السابقة فاستقدموا نجدات أخرى من البيض بقيادة بيليسي التي وصلت إلى الاغواط يوم 02ديسمبر وشنت حملة ضخمة على المدينة يوم 04 سبتمبر التي كانت في منتهى الوحشية والضراوة لما صحبها من أعمال وحشية وذلك لعدم تكافئ القوتين في العدة والعتاد فراح ضحية هذه الهزيمة حوالي 800 جزائري حسب رأي " قاروا" فان عدد المقتولين ألفين من بينهم عدد من الفرنسيين[3] فجرح بن عبد الله نفسه وتنسحب إلى ورقلة وكان من ضمن من اشتركفي الهجوم على الاغواط " سي حمزة ولد سيدي الشيخ " الذي كرمه الفرنسيون وعينوه بعد ذلك خليفة على المنطقة المسندة بين الجلفة والحدود المغربية .

وقد ارتكب الفرنسيون في الاغواط بعد احتلالها أبشع الضائع فاستحلوها للجنود ثلاثة أيام يقتلون الناس بالجملة ويرمون جثثهم في الآبار ، لمدة ثمانية أيام وهم يقتلون الناس الذين يستسلمون لهم بالجملة عشرة فعشرة حتى حفيت السيوف كما مارس الجنود النهب والسلب لحلي النساء والاعتداء على عفافهن .[4]

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ..... ، المرجع السابق ، ص 159

[2]- اسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 119- 120 .

[3]- ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 35.

[4]- شارل اندري جوليان ، تر ، محمد مزالي ، تاريخ افريقيا الشمالية ، مؤسسة تاولت للطبع والنشر ، 1968،ص 390.

- **انضمام ناصر بن شهرة إلى محمد بن عبد الله وانسحابهما إلى تونس :**

وبعد هذه الأحداث التي تعرضت لها مدينة الاغواط المتمثلة في كل من الاحتلال القاهر والغزو العسكري بالإضافة إلى ماتحمله الشعب من مظاهر التقتيل الجماعي والتشريد والتفقير والتجهيل والتعذيب بكل أساليبه توقف نشاط بن عبد الله بعض الوقت إلىأن شفي من جروحه ثم عاد إلى نشاطه ابتداء من فيفري 1853 وحرض الفرنسيون ضده أغا ولاد نايل الشريف الاحرش والخليفة سي حمزة ولد سيدي الشيخ ولكن بن عبد الله وجد بن ناصر بن شهرة نعم الرفيق في الكفاح واتصل بهفي تاجرونة كما انظم إليه النعيمي الذي كان غاضبا من أخيهسي حمزة ولد سيدي الشيخ [1]

وفي 14 سبتمبر 1853 اشترك بن عبد الله وسي النعيمي في محاولة غزو الاغواط مرة أخرى في يوم عيد النحر وفي طريقهما إليها هاجم أولاد تيفور واتجه إلى متليلي عبر تاجرونة وخاضوا عدة معارك [2].

وقد تفطن الفرنسيون لاستعمال سي حمزة ولد سيدي الشيخ ضده وضد رفاقه وحركته الخاصة بعد أن انضم سي النعيمي إليه فجندوا له قوات كبيرة توجه بها من البيض يوم 03 نوفمبر وكانت تقدر بحوالي ألفي رجل مدعمة بقوات دوريو وبارال و نيقو والتقوا كلهم في نقوسة وحصلت عدة معارك بها وفي بريزينة والرويسات هزم فيها بن عبد الله ورفاقه كما جرح بن ناصر بن شهرة فالتجؤإلى واد مدة من الوقت ثم انسحبوا إلى نفطة التونسية وبقوا هناك عدة شهور قبل أن يعودوا إلى الجزائر .

- **موقف السلطات التونسية من حمد بن عبد الله وحركته :**

يظهر أن بن عبد الله كان يقوم بنشاط ثوري داخل الحدود التونسية فتضايقت منه السلطات الفرنسية وكذلك السلطات التونسية ففي رسالة المصير احمد باشا باي تونس إلى قنصل فرنسا بتونس ردا على رسالته السابقة قال له فيها بأنه يعلم بأمر « الرجل الشريف الذي قدم من المغرب وانه طلب منأمير لوائه " احمد زروق "بطرده وعدم قبوله في عمالتنا »[3].

[1]- اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 121.

[2]- عبد الحميد زوزو ، محطات في تاريخ الجزائر ، دار هومة للطبع والنشر ، الجزائر ، 2004 ، ص 101 .

[3]- إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 121.

وفي رسالة أخرى له إلى نفس القنصل في تاريخ لاحق قال له :«... أما بعد فان رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم إلىأطراف بلادنا من ناحية الجريد وأمرنا بطرده وإبعاده وعدم قبوله » وابلغه بعد ذلك بأنه عازم على استعمال القوة بطرده من ايالته ولو لم يصدر منه أي شيء [1].

✓ **عودة محمد بن عبد الله إلى الجزائر واعتقاله :**

وبعد إقامته في تونس لعدة شهور عاد بن عبد الله محمد إلى الجزائر في شهر سبتمبر 1854 واتجه إلى ورقلة بصحبة سليمان بن جلاب السلطان السابق لتقرت ولكن حاكمها سي الزبير وبد سيد الشيخ قاومهما فانسحبا إلى واد ريغ مرة أخرى واعترضتهما القوات الفرنسية في مقارين يقودها كل من الكولونيل ديغو الذي قدم من بوسعادة والاغواط وجيري وحصلت معركة كبيرة بين الطرفين هناك يوم 29 نوفمبر انسحب على إثرها ابن عبد الله وسليمان بن جلاب إلى تقرت يومي 1 – 2 ديسمبر إلى التوالي وطبقوا أساليب العنف والقسوة ضد السكان كعادتهم كلما تغلبوا على مدينة أو قرية .[2] وقد استغل الفرنسيون كل هذه الحوادث ليبسطوا نفوذهم على الصحراء وبلاد سوف ووادي ريغ وواحات وادي ميزاب بمقتضى اتفاقية افريل 1853[3].

أما بن عبد الله فقد بقي في تونس حتى عام 1858 ثم عاد مرة أخرى إلى الجزائر واتجه إلى منطقة توات ومن هناك إلى الاغواط في محاولة لاستعادتها كما اهتم في هذه المرة بأمره الباشاغا سي بوبكر ولد حمزة ولد سي الشيخ واخذ يطارده ويتبعه حتى حاصره في العرق الغربي واعتقله في أواخر عام 1861 وسلمه إلى الفرنسيين الذين نفوه إلى فرنسا وفرضوا عليه إقامة جبرية في سجن عسكري بساحة دوبيريقون في جزيرة كورسيكا [4].

✓ **عودته من المنفى خلال ثورة أولاد سيد الشيخ :**

لا ندري كم بقي في السجن والإقامة الجبرية ولا ندري متى أطلق سراحه بالضبط كما لا ندري أين ذهب بعد ذلك [5] ولكن على أي حال فقد ظهر بالجزائر مرة أخرى بعد انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864

---

[1]- إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص122 .

[2]- عبد المجيد بن نعيمة ، مواقف شيوخ بني جلاب من الاحتلال الفرنسي ، الملتقى التاريخي ، حكم بني جلاب لمنطقة وادي ريغ ، جمعية الوفاء للشهيد ، ص 127 .

[3]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 158.

[4]- اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص122.

[5]- يحي بو عزيز ، المرجع السابق ، ص 158 .

[1]انظم إلى سي لعلى وسي الزوبير وسي محمد الذين حملوا لواء الثورة بعد مقتل الباشاغا سليمان بن حمزة وبقي معهم مدة من الوقت يخوض المعارك ثم اختلف معهم وانسحب إلى تونس لعدة سنوات أخرى.

وعندما اندلعت ثورة المقراني والحداد والصبايحية بالحدود عام 1871 عاد مرة أخرى إلى الجزائر ليشارك في المعارك إلى جانب رفاقه القدماء ، فاتصل بابن ناصر بن شهرة في تقرت وبوشوشة في ورقلة وربط صلاته بأولاد خليفة الثائرين ومحي الدين ابن الأمير عبد القادر الذي قدم متخفيا من طرابلس إلى نفزاوة ومنطقة تبسة ليتزعم الثورة هناك [2] وفي 10 ديسمبر اشترك بن عبد الله مع أولاد خليفة في مهاجمة واحة ليانة بالزاب الشرقي وجرحوا شيخها وقتلوا رجلين ومن هناك عبر الحدود إلى نفطة حيث التقى هناك بثوار أولاد سيدي عبيد وأولاد خليفة وغيرهم وقادهم يوم 20 سبتمبر إلى نقرين واقتحموها وأعلن للناس بأنه مبعوث من الله لتحرير البلاد من الفرنسيين .

وفي 26 سبتمبر عسكر في جبل وق وهاجم يوم 28 العلاونة الذين كانوا يعارضون حركته والتجأ إلى جبل الجرف وخاض في نهاية الشهر معركة الركيز ضد القوات الفرنسية وهزمها بحيث لم ينج من أفرادها إلا عدد قليل منهم الكابيتان لوفروا بعد وصول نجدة سريعة من الشريعة . وبعد هذه المعركة اتجه بن عبد الله إلى بئر الله العليق ولحقه هناك أتباع زاوية سيدي عبيد ليدعموا حركته ويبايعوه ويهنؤه على الانتصار الساحق ن ومن هناك تقدم إلى جبل داكسي كما انظم إليه عدد من القبائل والأهالي مثل اولاد رشاش وكان اكبر من انم إليه "عمر بن مسعود الكومنت" الذي كان يتزعم الثورة قبل ذلك في" مستيوه " بجبال الاوراس [3]

وفي يوم 12 أكتوبر 1871 غادر بن عبد الله معسكره واتجه إلى واد بودخان ومن هناك إلى منطقة الكاف التونسية بعد أن ضعف أمره وقل أتباعه فاعتقله الباي وسجنه 1876 بعد مقتل العربي المملوك حاكم سوف [4].

[1]- سعيد بورنان ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر ، ج1 ، ط 2 ، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004 ، ص 161 .

[2]- ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 362.

[3] - lious riun, opcit,p 616.

[4] - Trumelet ,opcit, p 99.

- **ماهي حادثة العربي المملوك ؟**

كان هذا الرجل من الفرنسيين ومن ضمن الفرق الصبايحية ويذكر هنري قارو بأنه من أصل ايطالي ارتد على دينه المسيحي ولا ندري متى حصل ذلك وقد يكون العكس هو الصحيح فيكون ارتد عن دينه الإسلامي ، ولعد نهاية أحداث ثورة 1871 قام الفرنسيون بإعادة التنظيم الإداري للصحراء واصدر الجنرال " دولاكروا " القرارات والتعيينات التالية :

- ✓ تعيين باي على رأس قيادة جديدة في باتنة يوم 2 فيفري 1872
- ✓ تعيين الصبايحي محمد بالحاج بن ادريس ، المتجنس بالفرنسية آغا على ورقة
- ✓ تعيين حمو بن حرز الله الدواودي من اولاد زكري قائدا على منطقة الشمال وادي ريغ
- ✓ حولت تقرت إلى منطقة ملحقة استحدث بها مكتب عربي منذ 22 ماي 1872
- ✓ كونت منطقة قيادية محايدة تحتد زعامة اولاد بن قانة لتفصل بين قيادة العربي المملوك وقيادة المكتب العربي بتقرت [1].

وهكذا بفضل هذه التعيينات برز العربي المملوك وبالطبع لم تكن سياسيته لينة مع الجزائريين بل كان يسيء إليهم ويتعامل معهم بشدة وعنف وخاصة إذا كان ادعاء قارو صحيح بأنه مرتد فقد كان المقاومون القدماء أمثال محمد الصغير بن عبد الرحمن يعرفون موقفه هذا .

وفي عام 1873 كان العربي المملوك في إجازة فاتجه بعائلته وأولاده لزيارة بعض أصدقائه فتعرض لهم عدد من الناس على رأسهم الطرودي السوفي فقتلوه هو وزوجته وابقوا على ابنيه الطفل والبنت كما استولوا على كل أمتعته وهربوا إلى داخل الحدود التونسية والتجؤا إلى محمد الشريف بن عبد الله في قرية لعوينة بمعتمديه "دوزي " في نفزاوة بالمرازيق جنوب تونس فاستقبلهم حيث أورد السيد محمد المرزوقي رسالة إلى السيد محمد الصغير بن عبد الرحمن ووجهها إلى الشريف محمد بن عبد الله يطلب منه فيها أن يحتفظ بأولئك الناس وتلك الأشياء التي حملوها معهم مما يدل على أن محمد الصغير بن عبد الله على علم بقضية اغتيال العربي المملوك إن بم يكن هو المحرض عليه [2]. وعلى أن الشريف محمد بن عبد الله يؤكد هذا الاغتيال أيضا إن لم يكن قد شارك في التخطيط له ، ومن جهة أخرى فان هذا الاغتيال يدل على أن العربي المملوك له سوابق مع السكان .

[1]- اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 125 .

[2]- نفسه ، 125.

- **اعتقال محمد بن عبد الله واضطهاده من طرف السلطات التونسية :**

وعندما علمت السلطات الفرنسية بمقتل العربي المملوك احتجت بشدة لدى باي تونس وحكومته وطالبت بإلقاء القبض على القتلى وتسليمهم إليها وبعد ثلاث سنوات من البحث علمت الحكومة التونسية بوجود هؤلاء القتلى في بالمرازيق فراسلت فرقة عسكرية بصورة سرية إلى كاهية نفزاوة احمد بن حامدي طالبتهم بالبحث عنهم وعن الأمتعة التي استولوا عليها واكتشف أنهم يوجدون في كفالة الشيخ محمد بن عبد الله فركب إليه في ربيع عام 876 على رأس حوالي خمسين فارسا وهاجموا منزله في غيابه ووجدوا لمتعة العربي المملوك عنده لأنه احتفظ بها كأمانة لصديقه محمد الصغير بن عبد الرحمن وأباح للجنود منزله فنهبوا كل مافيه من أمتعة وحبوب وحلي وأصواف و غيرها وهي أشياء كثيرة جدا حسبما جاء في وثائق الشاهدات التي أوردهامحمد المرزوقيوعندما وصل الخبر إلى الشيخ الشريف محمد بن عبد الله في بوفليجة حيث كان يهرب بعائلته وأغنامهتأكدبأنهم لابد سيسعون لاعتقالهمهو فرحل في الحين إلى أولاد دباب قرب حدود طرابلس وتطاوين واستقر في وادي دغسن ولكن بعض ضيوفه من قتلى العربي المملوك وقعوا بأيادي السلطات التونسية فسلمهم خير الدين إلى السلطات الفرنسية بالجزائر

واستعمل كاهية نفزاوة الحيلة لإلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله فاتجه إليه وادعى له بأنه يريد أن يتوسط في إزالة الخلاف الموجود بين أولاد دباب فانطلق قاصدا حي أولاد شهيدة المحاورة فاعتقله في الطريق وكتفه واشرع إلى نفزاوة حيث بقي هناك عدة شهور في المعتقل إلى أن تدخل لصالحه عامل نفات على بن خليفة لدى الباي فأطلق سراحه وأخذ إليه تحت كفالته على إلا يقوم بأي نشاط سياسي .[1]

فعند ما عين علي بن خليفة هذا عاملا على إقليم الأعراض وخلفه في مكانه بنفات "إبراهيم الجويني " تعاونا معا لدى الباي وكانا يعطفان على محمد بن عبد الله ، فاصدر الباي قرارا يرفع الإقامة الجبرية عليه فعاد إلى منزله وقريته بالعوينة ليعيش عيشة متواضعة ولشدة توثق الصلات بينه وبين محمد الصغير بن عبد الرحمن خليفة عبد القادر ببسكرة ، فانه استضافه عندما باع أرزاقه بالجزائر والتحق به في تونس ثم هاجر إلى مكة حيث توفي هناك والتزم بعد وفاته هناك على أداء الديون عليه بتونس والجزائر كما أطلق اسمه على احد أحفاده وفاءا لتلك الصداقة المتينة بينهما .

[1]- يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر ..... ، المرجع السابق، ص 166 .

- **مصير الشيخ محمد بن عبد الله بعد الاحتلال :**

بعد احتلال تونس عام 1881 من طرف الفرنسيين غادر بن عبد الله قريته إلى الحدود الشرقية الجنوبية بجوار طرابلس مدة ثم عاد مع باقي المهاجرين إلى الجنوب التونسي وبقى يتصل بقريته بواسطة أبنائه فقط وأخذ يتنقل بين بو فليجة والجفارة بالصحراءإلى أن توفي عام 1895 فنقلت جثته إلى دوز وما يزال .

وهكذا كانت حياة الشريف محمد بن عبد الله كلها كفاحا منذ نشأته إلى وفاته وامتدت فترة كفاحه حوالي نصف القرن وشملت الجزائر وتونس وطرابلس فهو من مكافحي المغرب العربي الكبير .

# خاتمة

لم يكن التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية وليد ألصدفه بل كان تخطيط مبرمج منذ مدى بعيد وذلك أنالعملية قد بدأتبإرسال الجحافل الأولى من المغامرين المستكشفين من رجال الدين المسيحيين إلى الصحراء أمثال رونيه كاى و دو فيريه وبواسوليه و فلاترس و دوماس بيليسيه ..... وغيرهم تقمصوا شخصيات متعددة وهو عبارة عن شبكه من العيون والجواسيس المتمردين في أشكال رجال الدين وأطباء و متسولون وضباط متنكرين في لباس أهلالمنطقةأو علماء جيولوجيا أو ضباط متنكرين لكي يخف نواياهم المبيتة وقد تعرض الكثير منهم إلى الهلاك بعد أن كشف سكان الناحيةأمرهم وبعد أن قاموا برحلاتهم وجالوا في أرجاء الصحراء وقدموا تقاريرهم ومذكراتهم وبحوثهم عنها حثوا فيها فرنسا خاصة على احتلال هذه الأراضيالزاخرة بالثروة المعدنية فضلا عن كونها مناطق استراتيجيه بالغه الأهمية

لذلك عزمت فرنسا على احتلال الجنوب الجزائري الصحراوي وبدأت قواتها تكتسح أبواب الصحراء بعد سقوط مدينه قسنطينه في قبضه الاحتلال ولتتمكن السلطات الاستعمارية من بسط نفوذها في أرجاء الصحراء توجهت نحو الجنوب فتمكنت القوات الفرنسية من احتلال بوابه الصحراء بسكره و بسط نفوذها في المنطقة وبعد التفرغ من الزيبان توجهت إلى بوابه أخرى بالصحراء المتمثلة في مدينه الاغواط و بعد معارك طاحنه و تضحيات جسام ووقعت المنطقة في قبضه الاحتلال الفرنسي ليلج بعد ذلك إلىالأفاقالواسعة من الصحراء ولإتمام هذا الاحتلال كان على السلطات الاستعماريةأن تتوسع إلى الجنوب من بسكره والاغواط لتحميه ظهرها احتلت المناطق الإستراتيجية من وادي ريغ ووادي سوف و واحات ورقلة وهي الواحات الآهلة بالسكان في الجنوب الشرقي من الجزائر وهي المدخل الأول للصحراء الكبرى فلقد واجهه الفرنسيون بعد احتلالهم للصحراء الجزائرية عامه الجنوب الشرقي خاصة مقاومات عديدةومختلفة من مقاومه سياسيه قام بها التجار والعلماء واعيان البلاد و مقاومه شعبيه مسلحهتز عمها رؤساء وزعماء القبائل الشيوخ تحت راية الجهاد في سبيل الله و الشرف والأرض والعرض وبهذا خاضت مناطق الجنوب الشرقي على غرار باقي الوطن مقاومات ضد العدو المغتصب بداية من الاحتلال الفرنسي لبسكرة 1844 رغم إمكانياتهاالمحدودة و أسلحتهاالبسيطةالتقليديةإلاأنها استطاعت أن تلحق الكثير من الهزائم بالجيش الفرنسي في العدة والعتاد كما برهنت إنها ليست ثورات قامت من اجل الجوع ولا يكون السبب اندلاعها الجانب الاقتصادي وإنما هدفها النبيل والوحيد هو الدفاع عن الدين والشرف ولاسترجاع ما سلب منهم.

ومن خلال ما سبق ذكره في الفصول السابقة يمكن رصد جمله من النتائج المترتبة عن سياسة التوسع الفرنسي في مناطق الجنوب الشرقي وبحكم تنوع هذه السياسة وشموليتها لمختلف الميادين فكذلك سترد هذه النتائج متنوعة وشامله لمختلف الميادين أيضا وهي نتائج مرتبه حسب ميادينها وسنوجزها في النقاط التالية:

- التدرج في عمليه التواصل مما أدىإلى احتلال أهم المدن والواحات الإستراتيجية
- شموليه عمليه التواصل من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق
- عدم مراعاة الجنود حرمه الأماكنالمقدسة والعمل على تدنيسها

- تنميه الفلاحة المضاربية التي تحصلت على فوائدها الشركات الرأسماليةالامبرياليةالاستعمارية منذ سنه 1880 كما استفادةأعوانالإدارة من بعض المسلمين أنفسهم الذين كونوا طبقه إقطاعيهالارستقراطية وسطى مكنتهم من الحصول على العديد من الامتيازات و على بعض المناصب مقابل تأدية الولاء والطاعة للفرنسيين
- القضاء على تجاره القوافل وذلك في إنشاء العديد من الطرق بجانب الخطوط الحديدية بحيث أصبح يتم نقل البضائع والسلع الصحراوية عن طريق العربات والشاحنات التي كانت تنقل عبرها وهذا ما إذا في الأخيرإلى ضعف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب.
- تراجع الاقتصاد الريفي المنتشر في الواحات الصحراوية و خاصة في منطقه وادي ريغ التي بلغت فيها الاستثمار الأجنبي في غرس الأشجار والنخيل بنسبه كبيره ونظرا لغياب الاستغلال الغير عقلاني للمياه الجوفية.
- القضاء على الثروةالحيوانية التي تراجعت بنسبه 8 %بسبب نظام العشابة الذي فرضته سلطه الفرنسية على مربي المواشي.
- إرهاق كاهل سكان بالضرائب والعقوبات الجماعية والغرامات الحربية قصد اعترافهم بالاحتلال الفرنسي
- إنالتركيبةالسكانيةالمتماسكة لمجتمع الجنوب لم تكن في صالح عمليه التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري بل ساهمت في حد كبير في تأخير هذه العملية عشرات السنين والدليل على ذلك هو عدم تمكن القوات الفرنسية من فرض سيطرتها المطلقة على الصحراء والجنوب الشرقي .
- تفتيت المجتمع الجزائري وتقسيمه إلىثلاثةأقساممالأولإعلانهصراحة موالاته لفرنسا والثاني إعلانا عن مقاومه لها والثالث قليل جدا ركن إلى الحياد

-إثارة النزاع والشقاق بين الأسرالكبيرة كذلك النزاع الذي كان قائما بين عائله بوعكاز و عائله بن قانه في منطقه بسكره وللأسف الشديد فان هذا النزاع ساهم بشكل كبير ومباشر في تمزيق الروابط بين الأسر و تمكين الاستعمار من السيطرة وبسط النفوذ في الجنوب الجزائري

- النفيوالإبعاد الذي استهدف الكثير من زعماء المقاومة في الجنوب الجزائري نظرا للفرنسيين تأتي عقب أي انتفاضه شعبيةوالغاية منها الردع واحتواء حركه المقاومة

- تدهور وضعيه السكان المعيشية بشكل رهيب وعليه في المناطق الجنوبيةأصبحت تحت وطأة الفقر والمجاعةوالأمراضوالأوبئةالفتاكة بعدما صدرت منهم كل ممتلكاتهم وتعرضهم في مختلف وسائل الاستعمار الفرنسي البشعة

- الهجرة خارج التراب الوطني بعد أن ضاقت سبل العيش وفقد الإنسان كل ممتلكاته لما بالمصادرة أو بالسطو أو بالظروف الطبيعية والمجاعات التي عاصفة بيه وللعلم فان هذا الخيار لم يكن إراديا وبالتالي هذه الهجرة هي هجره غير إرادية تارة جماعيةوتارةأخرى فرديه فهناك الكثير من الأسر والعائلات الجزائريةالتي هاجرت من هذه الأقاليمالصحراويةنحو

دول الجوار وخلاصه القول إن هذه النتائج المختصرة ساهمت إلى حد بعيد في مده التوسع الفرنسي ليس حول الجنوب الجزائري فحب بال طال ذلك إلى دول الجوار في تونس في عام 1881

# الملاحق

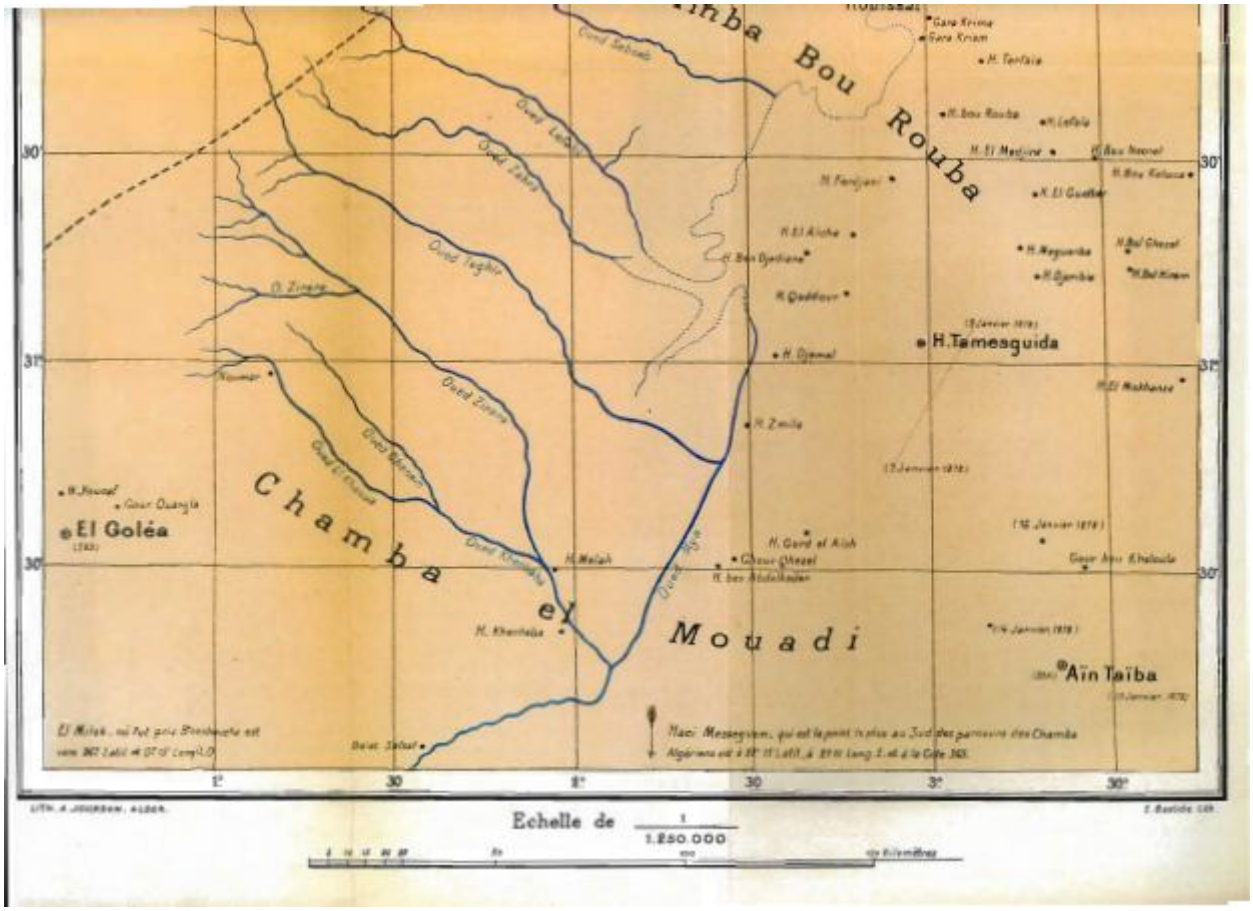


-Dumas le Sahara algérien étude géographiques et historique sur la région DU SUR ETABLISENEENT .FRANCAISPARIS1856.P70- CHARLES FERAUNDI LE SAHRA DE CONTOUTOUk ALGER1887. P 675.

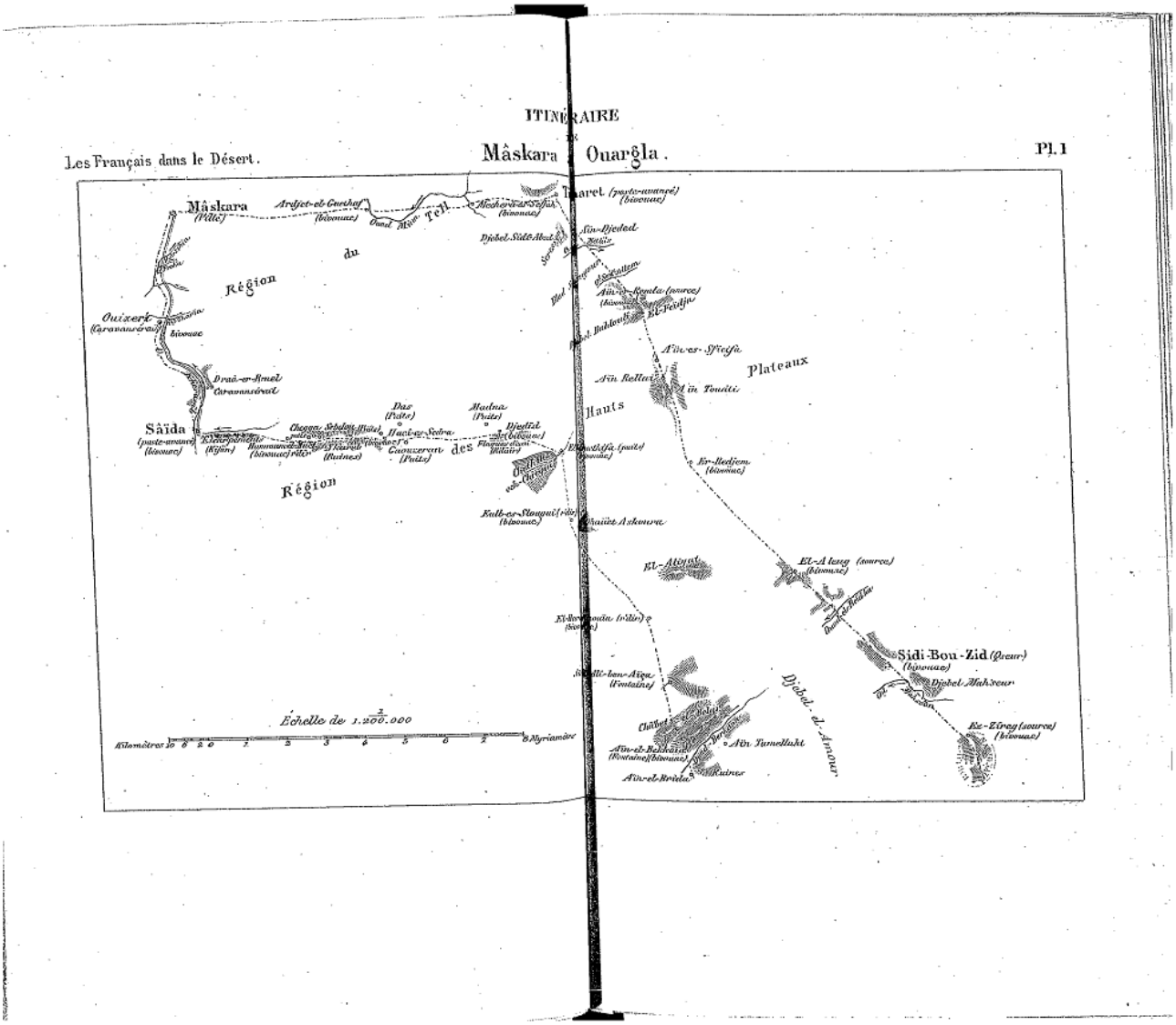


- Le colonel c. trumeler , les français dans le désert ,1985, p 553

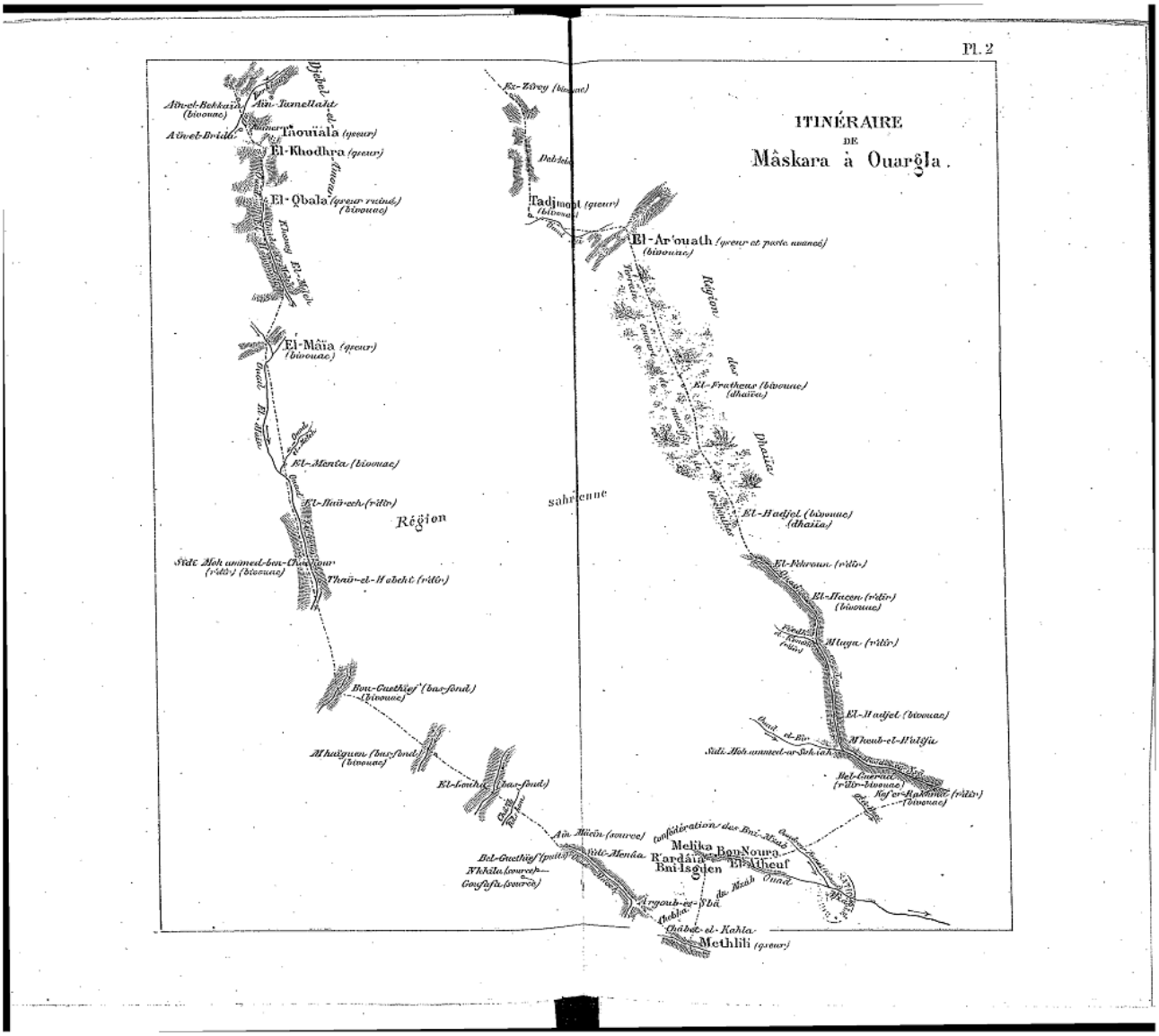


- Le colonel c. trumeler , les français dans le désert ,1985, p 554

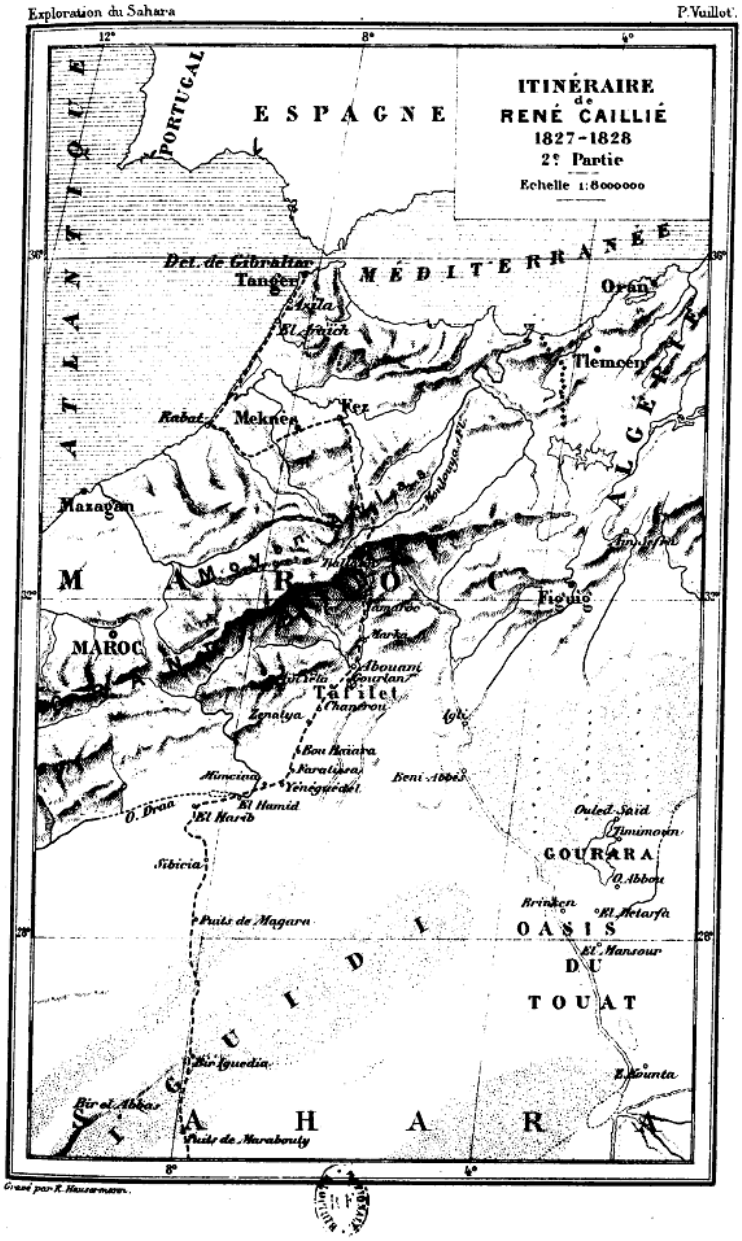
Exploration du Sahara
P. Vuillot.
ITINÉRAIRE
de
RENÉ CAILLIÉ
1827-1828
2e Partie
Echelle 1:8000000
ESPAGNE
PORTUGAL
MÉDITERRANÉE
Det. de Gibraltar
Tanger
Oran
Tlemcen
Rabat
Mekinez
Fez
Mazagan
MAROC
Figuig
Tafilet
Abouani
Ghourlan
Beni Abbes
Ouled Said
Timmoun
GOURARA
OASIS
DU
TOUAT
Puits de Magara
Sibicia
El Hamid
El Harib
Oued Draa
Erinken
El Hetarfa
El Mansour
Zenaga
Bou Bekara
Yenegue del
Tabelbala
Ouled Abbou
Bir Iguedia
El Kounta
Bir el Abbas
Puits de Marabouty
SAHARA
Gravé par R. Hauserman.

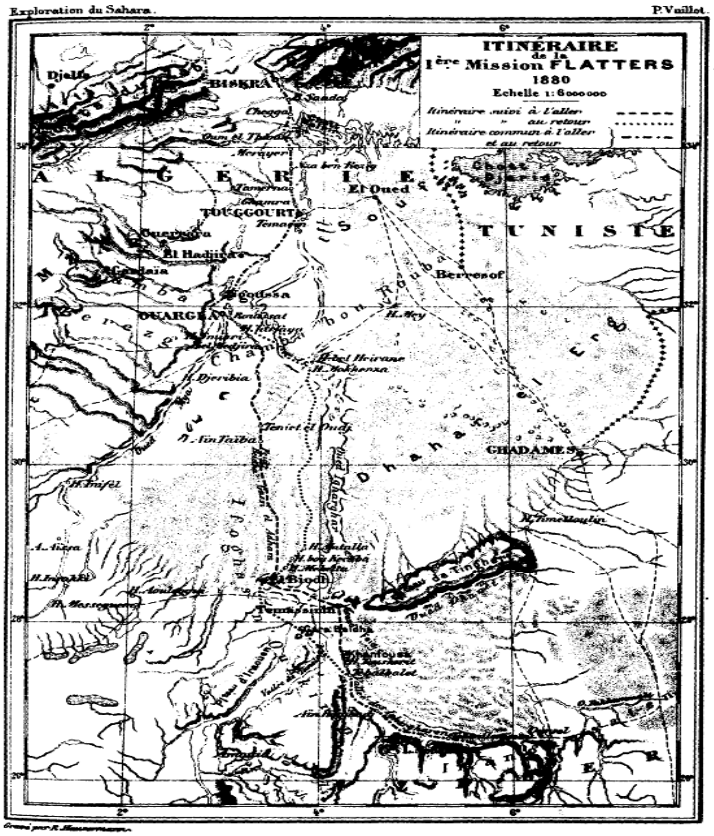


- p. vuillot ; l'exploration du sahara , paris ,1895 , p 227-229

الثائر بن ناصر بن شهرة كما تخيله لحد الرسامين،

الشيخ الشريف محمد بن عبد الله،

التقطت هذه الصور من متحف المجاهد لولاية الاغواط

الشيخ التلي بلكحل لما احد نواب الامير عبد القادر ، انضم ، بلتباعه إلى كل من بن ناصر وبن عبد الرحمان.

الشيخ الشريف بوشوشة من مواليد بلدية الغيشة (الاغواط).

التقطت هذه الصور من متحف المجاهد لولاية الاغواط

# البيبليوغرافيا

# قائمة المصادر والمراجع :

- **المصادر:**


1) ابن بطوطة ، تحفة الرسائل في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تحقيق منتصر الكيناني، ج2،مؤسسة الرسالة للطبع و النشر ، بيروت 1985.
2) أبو الحسن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، تر عبد الرحمن حميد ، ط 2، بيروت 1983
ابو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1 سلسلة ابيس للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1991 .
3) الحسن بن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، تر محمد الحجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1982
4) شارل اندري جوليان ، تر ، محمد مزالي ، تاريخ افريقيا الشمالية ، مؤسسة تاولت للطبع والنشر ، 1968
5) شارل هنري تشرشل ، حياة الامير عبد القادر ، تر سعد الله ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ،تونس ، 1974
6) عبد الرحمن بن خلدون تاريخ العلامة ابن خلدون كتاب العبر ، مجلد 07 ، القسم الاول ، دار الكتاب البناني بيروت ، 1981
7) عبد الله بن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء، و العلماء بتلمسان ، تحقيق محمود الصالح ، منشورات السهل ، الجزائر 2009.
8) عمر بن محمد العدواني ، تاريخ العدواني ،تح سعد الله ، ط1 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996
9) محمد صالح العنتري ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة أو استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ، مراجعة وتقديم يحي بو عزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991
10) محمد عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و مآثر الأمير عبد القادر ، ط2 ، شرح وتعليق حقي ممدوح ، دار اليقضة ،بيروت ، 1964
11) مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، تر محمد العربي الزبيري ، ط2 ، الجزائر ،1981
12)
13) مذكرات الأمير عبد القادر ،تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون ، ط3 ، دار الأمة ، الجزائر ، 1998
14) هنريتشو فون ماتسان ، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، تر ابو العبيد دودو،ج3 ، ش و ت الجزائر ، 1976
15) ياقوت حموي ، معجم البلدان ، تح فريد عبد العزيز جنحي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990

16) محمد ابراهيم الساسي العوامر,الصروف في تاريخ وادي سوف,ط2,الابيار ,الجزائر.

➢ **المراجع:**

1) أحميدة عميراوي ، من تاريخ الجزائر الحديث ، مطبوعات جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة .
2) ـــــــــــ ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916 ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2009
3) بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للتوزيع و النشر، 1981.
4) بن عبد القادر الجزائري محمد ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الامير عبد القادر ، ط2 دار اليقضة العربية ، بيروت ، 1964
5) بن نعيمة عبد المجيد ، مواقف شيوخ بني جلاب من الاحتلال الفرنسي ، الملتقى التاريخي ، حكم بني جلاب لمنطقة وادي ريغ ، جمعية الوفاء للشهيد
6) بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962 ، ط3 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2008
7) بورنان سعيد ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر ، ج1 ، ط 2 ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004
8) بوعزيز يحي ، ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط1 ، دار البعث ، قسنطينة ، 1980 .
9) ـــــــــــ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2099
10) ـــــــــــ ، كفاح الشريف محمد بن عبدالله ، مجلة الثقافة ، عدد 33 ، الجزائر ، يونيو ، 1976
11) ـــــــــــ ، مع تاريخ الجزائر الملتقيات الوطنية و الدولية ، طبعة خاصة دار البصائر للنشر و التوزيع الجزائر ، 2009
12) بوعزيز يحي ، وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة ، مجلة الثقافة ، العدد 31 ، السنة 6 ، 1976
13) الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ، ج 5، ط 8، شركة دار الامة للنشر التوزيع ، الجزائر ، 2007
14) حليمي عبد القادر ، جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، دمشق ، 1968.
15) خليفة عبد القادر ، الهياكل الاجتماعية و التحولات المجالية في التركة وتقرت، رسالة ماجستير في علم الاجتماع جامعة قسنطينة ، 2005 ،
16) رضوان شرف الدين احمد ، الاحتلال الفرنسي لتقرت 1854 ال النهايات والتبرير ن الملتقى التاريخي لبلدية تقرت 29 – 30 ديسمبر 2004

17) الزبيري محمد العربي ، مقاومة الجنوب الاحتلال الفرنسي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1972
18) زوزو عبد الحميد ، محطات في تاريخ الجزائر ، دار هومة للطبع والنشر ، الجزائر ، 2004
19) سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998
20) ـــــــــــــ ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، ط2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1982
21) ـــــــــــــ ، والحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1900 ، ج ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي 1992
22) ـــــــــــــ ، الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900 ، ج1 ، طبعة خاصة ،عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009
23) عبد الجواد محمد الطاهر ، عاصمة وادي ريغ ايام بني جلاب ، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب ،افريل 1998 ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت
24) العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها ،ط1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 . .
25) ـــــــــــــ ، المقاومة الشعبية تحت لواء الأمير عبد القادر ،ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982
26) العربي إسماعيل ، تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986
27) علي بن موسى بن السعيد ، كتاب الجغرافيا ، تح اسماعيل العربي ، الكتب التجارية للطباعة والنشر ، بيروت
28) علي دبو محمد ، النهضة في الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج1 ، نشر وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007
29) فركوس صالح ، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ الى غاية الاستقلال ( المراحل الكبرى ) ، دار العلوم ،عنابة ، الجزائر ، 2005
30) قادري عبد الحميد ابراهيم ، التعريف بوادي ريغ ، تقرت ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد 1999 .
31) زكريا مفدي ، الإلياذة الجزائر ، المعهد التربوي الوطني ، الجزائر
32) محمد عبد الحليم بيشي ، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية ، دار زمورة ، الجزائر ، 2013 .
33) محمود فرج ، إقليم التوات خلال القرنين الثامن عشر ، التاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزئر2007
34) المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية ، دار القصبة للنشر 2009 .

35) مريوش أحمد ، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل السكان الهقار ، 1916 م ، مجلة المصادر 11 ، الجزائر 2005

36) مياسي ابراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934 ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 .

37) ـــــــــــ ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 – 1934 ، الجزائر دار هومة 2012 .

38) ـــــــــــ ، توسع الاستعمار الفرنسي في جنوب الغربي للجزائر (1881-1921) ،مطبعة الزينة الجزائر ،1996

39) ـــــــــــ ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999

40) هلال عمار ، الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا والصحراء ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة الجزائر 1988

➢ **المجلات والموسوعات:**

1) بو عزيز يحي ، كفاح الشريف محمد بن عبد الله ، مجلة الثقافة عدد 33 الجزائر ، 1976

2) ـــــــــــ ، وثيقتان جديدتان عن الكفاح الشريف محمد بن عبد الله ، الثقافة ع33، وزارة الإعلام و الثقافة الجزائر 1976

3) العربي إسماعيل ، مالك الاسلام والعربية الى الصحراء الكبرى مجلة الثقافة ، ع62 س 11 مارس – افريل 1987

4) موسوعة الأعلام ، الجزائر ، 1830 -1954 ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954

5) مياسي ابراهيم ، جهاد الشيخ عبد العزيز شريف مجلة الثقافة عدد 109 , الجزائر ، اغسطس ، 1995

6) ـــــــــــ ، (الصحراء الكبرى ) الجزائر من خلال الاكتشافات قبل و بعد الاحتلال ،" مجلة المصادر و المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ع 2، 2005

➢ **المذكرات :**

1 /شافورضوان ، مقاومة منطقة تقرت وما جاورها للاستعمار الفرنسي ، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر ، 2006- 2007

2 /شافورضوان ، الحملة الفرنسية العسكرية على منطقة وادي ريغ وردود الفعل الشعبية 1854 -1874 ، مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

**3.**خليفة عبد القادر, الهياكل الاجتماعية والتحولات الاجتماعية في تقرت,رسالةماجستير,في علم الاجتماع ,جامعة قسنطينة 2005.

**4-** بن سالم احمد الاوضاع الصحية للجزائرين في منطقة وادي سوف من خلال دورية ارشيف باستور الجزائر 1919-1939 رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر جامعة الجزائر 2008-2009.

5-المقالات:

1-شافو رضوان:الاحتلال الفرنسي لتقرت1854 النهايات والتبرير,في الملتقى التاريخي لبلدية تقرت29-30ديسمبر2004.

2-عبد الجواد محمد الطاهر,عاصمة وادي ريغ ايام بني جلاب ,الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب ,افريل 1998,منشورات جمعية الوفاءللشهيدتقرت.

## ❖ المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

1) A rnaud l'Algérie médical topographie climatologie pathogène profilasse acclimatent colonisation , paris
2) Aline remey: histoire toponyme et tradition oral DUN dais arabe berbère étendes sciences économiques et sociales K Sorbonne année universitaire 1973-1974

3-ARNAUND ,seige d' un ainmadi el haje , (A E K) ben Malidin in revue africe ,t 7/8 n 47 -48 mars, 1864

3) Bernard , Deuxième MisionFlatters , historique rapportavec document , Algérie, 1882
4) Bouaziz ben gana, le chiek el arab , étude historia su la Bamille Ben gana , Alger , Bastid Jordan 19930

-5ch fereaud ,notes hassidiques sur la province de costantine in revue n26 ,1882 ,

5) Daumas le Sahara algérien étude géographiques et historique sur la région dusuretabliseneent.français aris1856charlsferaundllesahradecontoutoukalger1887.

6) E .M amgim ;histoire du laghautin ;R.A 1894, alger
7) Flatters , Les deux missions du colonel Flatters an Afrique , Paris 1884.
8) Grammont , le colonel Falatters , in Reue Africaine , N 026 , 1882
9) lion roches ,trante de a travers l' islam en 1832-1864 osis l' ibairefermine ,1884
10- MAC- MAHON mèmoire.duc de magenta souvenir de publies le compte G4Y demi rible,paris.1932.

# الفهرس

الفهرس


| العناوين | الصفحة |
|---|---|
| شكر وعرفان | |
| الإهداء | |
| قائمة المختصرات | |
| المقدمة | أ-ب –ج- د |
| **الفصل التمهيدي : الخصائص الطبيعية للصحراء الجزائرية** | 10 – 18 |
| الموقع الجغرافي للصحراء الجزائرية | 10 |
| الخصائص الطبيعية | 15 |
| الجانب البشري | 18 |
| **الفصل الأول:التنافس الاستعماري الأوربي على الصحراء الجزائرية** | 20- 33 |
| البعثات الاستكشافية للصحراء الجزائرية | 21 |
| أسباب الاهتمام الأوربي بالصحراء الجزائرية | 24 |
| الرحلات رحلة دوماس ، ورحلة فلاترز | 28 |
| **الفصل الثاني : مراحل التوسع العسكري في الصحراء الجزائرية 1844–1852** | 35 - 94 |
| احتلال بوابة الصحراء بسكرة 1844 والاغواط 1853 | 35 |
| احتلال منطقة تقرت وورقلة 1853 | 69 |
| احتلالإقليم وادي سوف 1854 | 85 |
| **الفصل الثالث :المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري** | 96 - 134 |
| مقاومة الزعاطشة في بسكرة | 96 |
| مقاومة بن ناصر بن شهرة الاغواط | 107 |
| مقاومة بو شوشة والشريف محمد بن عبد الله | 113 |
| الملاحق | 135 |
| الخاتمة | 137 |
| البيبليوغرافيا | 141 |
| الفهرس | 149 |